

يَا بَرِّ تَقْرِبْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

تأليف

السيد نaser Al-muayyad Al-Badrani



سلسلة الرحلات إلى التقالين

(٤٢)

ياليلات قومي يعدهمون

تأليف

السيد ياسين المعروف البدرياني

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

مقدمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ
مُحَمَّدٌ وَآلِهِ الْمَيَامِينِ

من الثوابت المسلمة في عملية البناء الحضاري القويم، استناد الأمة إلى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة، والأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدي ل مختلف التحديات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلزلة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالة باستخدام أرقى وسائل التقنية الحديثة.

وإن أنصفنا المقام حقيقته بعد مزيد من الدقة والتأمل، نلحظ أن المرجعية الدينية المباركة كانت ولا زالت هي المنبع الأصيل والملاذ المطمئن لقادسي الحقائق ومراتبها الرفيعة، كيف؟ وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمته المقدسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والطهارة عليهما السلام بأبهى صورها وأجل مصاديقها.

هذا، وكانت مرجعية ساحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني - مدّ ظله - هي السباقة دوماً في مضمار الذب عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة، فخطت بذلك خطوات مؤثرة والتزمت ببرامج ومشاريع قطفت أينع الشمار بحول الله تعالى.

ومركز الأبحاث العقائدية هو واحد من المشاريع المباركة الذي أسس لأجل نصرة مذهب أهل البيت عليهما السلام وتعاليمه الرفيعة.

ولهذا المركز قسم خاص بهم بمعتنقي مذهب أهل البيت عليهما السلام على مختلف الجهات، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من إنتاجات وآثار - حيث تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاء التي من الله سبحانه وتعالى بها عليهم - إلى مطبوعات توزع في شتى أرجاء العالم.

وهذا المؤلف - ((ياليت قومي يعلمون)) - الذي يصدر ضمن ((سلسلة الرحلة إلى الثقلين)) مصداق حي وأثر عملي بارز يؤكّد صحة هذا المدعى.

على أن الجهد مستمر في تقديم يد العون والدعم قدر المكنة لكل معتنقي المذهب الحق بشتى الطرق والأساليب، مضافاً إلى استقراء واستقصاء سيرة الماضين منهم والمعاصرين وتدوينها في ((موسوعة من حياة المستبصرين)) التي طبع منها عدّة مجلّدات لحد الآن، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يتقبل هذا القليل بوافر لطفه وعنايته.

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، ونخص بالذكر فضيلة السيد علي الرضوي الذي قام بمراجعة هذا الكتاب وإعداده للطبع، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم

محمد ﷺ.

لقد عشت سنين من عمري في مدیني العزيزة دير الزور على شاطئ نهر الفرات، ولمّا بلغت العشرين من العمر بدأت استنشق هواءها الروحي، وتجاوיבت بكل مشاعري وكيناني مع علمائها الأفاضل أستقي منهم السلوك الصحيح، والخلق الحسن، وبعد مرحلة طويلة من هذه الرفقة المباركة - إضافة إلى تجوالي في معظم أنحاء القطر العربي السوري طلباً للمعرفة واستزادة منها - التقيت بعینات من أهل القرى والمدن مما جعل بيني وبينهم بعض المناقشات والمحاورات التي ولدت عندي حافزاً جديداً لأن أعيد النظر في قراءاتي السابقة، وأن أقارن بينها وبين كتب أخرى وما تحمل في طياتها من قضايا التاريخ ومجرياته.

ولقد وجدت عند الكثير ممن كنت أحاورهم وآخذ منهم تقاعساً عن افتحام الحقيقة وصمتاً أمام الدليل الواضح متمشين في ذلك مع ما يطلب الواقع ومع ما هو موروث عن الآباء والأجداد، لكنني عزمت على العمل الدؤوب والاستمرار في تقصي الحقيقة ومعرفتها، تلك الحقيقة التي عتم عليها

تاریخ المبطنين الجباء وتقاعسهم، إلّا أَنّی قلت: فليکن القرآن الكريم فیصلًا
بینی وبینهم.

فلنلتَّعلُّم من القرآن الكريم، ولنرشد الغافلين، وننذر المعاندين المنحرفين
عن موكب النور الإلهي.

ونحن حين نستعرض الأحداث والمبادرات والمقدّمات والنتائج التي يكشف القرآن الكريم عنها الستار، فما ذلك إلّا واجبٌ شرعي ملقي على عاتق كلّ مسلم يؤمّن بالله وبرسوله وبقرآنـه الكريم.

لقد أجهدنا أنفسنا لأكثر من عشرين عاماً كي نتلاحم مع أبناء بلدنا في حوار دؤوب، إلّا أننا وجدنا الأعذار والإجابات التي كانت بالأمس هي نفسها أعذار اليوم لا تختلف في جوهرها ولا في مضامينها الخاوية من الحقيقة، ويتعمل ويحتاج البعض بطول الطريق، لكنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَتَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخْرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١).

يا إخوتي، الحق والحق أقول: إن الطريق شائك وطويل واجتيازه مجهد،
عبر مجتمع لم يعرف البحث عن الحقيقة، الأمر الذي لا يتيح للداعية أن
يوضح ما يريد، أو أن يمد بصره حتى نهاية الطريق، ذلك لأن الأمة انحدرت
وانحرفت اتجاه مظلم خطّه لها المستعمرون والطامعون الغاشمون الذين يقونون
لأمّتنا الإسلامية بالمرصاد، ويضعون في سبل الداعية من الحواجز والعرaciيل ما
يصعب عليه تجاوزها والتغلب عليها.

٤٢ : (٩) التوبة (١)

إِنَّ الْمُسْلِمَ لِلْحَقِّ لَا يَسْتَهْدِفُ مِنْ وَرَاءِ دُعْوَتِهِ مَكْسِبًا مَادِيًّا أَوْ هَدْفًا دُنْيَوِيًّا إِلَّا ثَوَابُ وَأَدَاءُ الْوَاجِبِ، وَإِنَّ الْهَدْفَ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ الشَّاقِ هُوَ بَنَاءُ الْأُمَّةِ مِنْ جَدِيدٍ وَإِعْادَتِهَا إِلَى مَرْكَزِهَا الْقُرْآنِيِّ الَّذِي انْحَرَفَ عَنْهُ مُتَجَاهِلَةً طَرِيقَ النَّجَاهِ.

عُودَةُ إِلَى صَدْرِ الْإِسْلَامِ حِينَ اخْتَفَى الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ ﷺ فِي غَارِ ثُورِ الْعَيْونِ الْكَثِيرَةِ مُنْتَشِرَةٍ فِي الصَّحَرَاءِ تَبْحَثُ عَنْهُ بُغْيَةُ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَيِّئَمُ نُورَهُ، وَصَدِقَ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا الطَّرِيدَ سُوفَ يَصِلُّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى عَوَاصِمِ الْأَكَاسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ، وَلَسَوْفَ يَغْزُو الْعَالَمَ الْمُتَحَضَّرَ كُلَّهُ مُحَدِّثًا أَعْظَمَ انْقِلَابٍ فِي التَّارِيخِ.

أَمَّا الْمُشْبِطُونَ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا الْمُتَنبَّيُ لِمَجْنُونٍ، وَلَكِنَّ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، وَاللَّهُ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينِ.

السَّيِّدُ يَاسِينُ الْعَيْفُ (الْبَرْلَانِي)

شرعية الإمامة



شرعية الإمامة

شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن ينظم هذا الكون تنظيماً ربانياً يسير بدقّة متناهية بلا خلل ولا نقص، ومن حكمته جلّ وعلا أن جعل البشرية تسير بنظام سماوية وتشريع رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم جعل لهذه الأمة ولهذا التشريع قادةً وقيادةً من صفوه الخلق، طهرهم الله من حب الدنيا وأرجاسها، ومنحهم العلم والمعرفة، فمنهم الأنبياء، ومنهم الأنئمة عليهن السلام، هؤلاء هم الذين يستحقون أن يكونوا خلفاء على الخلق، وأمناء على الشرع، ومنهم النبي إبراهيم عليه السلام الذي خصه الله بالنبوة والإمامية يقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمُونَ﴾^(١).

لقد جعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام نبياً، ثم خليلاً، ثم أعطاه مرتبة ثالثة، تشريفاً له وهي الإمامة لتكون في ذريته من بعده، فكانت في الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي آله، بدليل قولنا: اللهم صلّى وسلم وبارك على محمد، وآل محمد، كما صلّيت، وبارك على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد.

لقد ربط الله الآل بالآل، آل إبراهيم بآل محمد، والحكم دائماً يبدأ بالأئمّة، فال الخليفة أئمّة من الخليقة؛ لأنّ كلّ مجتمع وكلّ أمة تحتاج إلى

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

مرشد، فلابدّ وأن يكون ذلك المرشد أكمل وأشرف الخلاائق في الطهارة والصفاء ورجحان العقل وقوّة الإيمان، ولن يتسرّى ذلك إلّا للمعصوم من عند الله، ويبطل اختيار من أدنى منه مرتبة في الناس. قال تعالى: ﴿يَا ذَاوَدُّ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(١).

وهذا دليل واضح على أنّ الله سبحانه هو الذي يختار النبيّ وال الخليفة والإمام؛ لأنّه أعلم الناس من أنفسهم، ولما كانت الأمة بعد رسول الله في حاجة ماسة إلى إمام وقائد، فهل نضع هذه الإمامة والقيادة في غير الذين اختارهم الله ورسوله؟ هل ننتزع هذا الحقّ منهم وندع للناس اختيارهم؟ إنّ ذلك لعبث وجهل، والناس لن يستطيعوا اختيار المعصوم وليس من حقّهم تبديله؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي اختاره.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرُ﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُئُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٣).

ما أردت الكتابة عن حياة الإمام علي وسيرته وحقّه في الإمامة أو عن زهذه وشجاعته وعلمه؛ لأنّ مثل ذلك قد يعجز عنه الكلام، ويقصر دونه التدوين، لكنني سألجأ إلى أسلوب علمي محاولاً الإفصاح عن معنى الإمام والخلافة.

الإمامية:

إذا لم تكن الإمامة من الدين فإنّه ليس لأحد الحقّ أن يدخل في الدين

(١) ص (٣٨): ٢٦.

(٢) القصص (٨): ٦٨.

(٣) السجدة (٣٢): ٢٤.

ما ليس فيه، أما إذا كانت من الدين ونسكت عنها ونحاول إخفاءها بدوافعنا الدنيوية فإننا نكون بذلك قد خالفنا ما أمر به الله، وهو الذي أمر رسوله في بدء الرسالة أن يدعو عشيرته الأقربين منبني هاشم ليوسّع مدار الدعوة قائلاً سبحانه: ﴿وَأَنِذْرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

استجابة الرسول الكريم لأمر ربّه ودعا عشيرته الأقربين وهياً لهم الطعام، فحضر أربعون شخصاً من بنبي هاشم بادرهم الرسول الكريم بقوله: «يا بنى عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفي فيكم، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإنّي لأحدّثهم سنّاً، وأرمّصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمّشهم ساقاً، أنا يا نبّي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم، فاسمعوا له وأطّيعوا»، أخرجه الطبرى في تاريخه^(٢)، ونحوه عن أحمد بن حنبل في مسنده^(٣)، والنمسائي في خصائصه^(٤)، والتعليق والطبرى في تفسيريهما^(٥)، وابن إسحاق في السيرة الحلبية^(٦)، وابن الأثير في تاريخه^(٧) و...

(١) الشعراء (٢٦): ٢١٤ - ٢١٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٢: ٦٣.

(٣) مسنّد أحمد ١: ١٥٩.

(٤) خصائص أمير المؤمنين: ٨٦.

(٥) الكشف والبيان ٧: ١٨٢، جامع البيان عن تأویل القرآن ١٩: ١٤٨ - ١٤٩ حدیث ٢٠٣٧٤.

(٦) السيرة الحلبية ١: ٤٦٠ - ٤٦١.

(٧) الكامل في التاريخ ٢: ٦٣.

ويعيد الرسول الكريم مكررًا الدعوة إلى قومه فلا يجيئه منهم أحد إلا صوت علي عليه السلام الذي لبى الدعوة، وتعهد بالمؤازرة والمناصرة، فيلتفت إليه عليه السلام قائلاً: «جلس فأنت أخي ووصيي وزيري ووارثي وخليفي من بعدي»^(١).

لقد كان علي عليه السلام سند الدعوة وجدارها القوي الشامخ منذ تباشير فجرها، وبقيت عنابة الله تحف بهذا الإمام والآيات تنزل بحقه حتى جاء الأمر الإلهي بدعوة الرسول إلى الحج (حجّة الوداع) يوم دعا الرسول الناس إلى الحج.

حتى وصل عددهم إلى مائة وعشرين ألف صاحبي، وبعد الحج وفي الرجوع إلى الأوطان أوقف الرسول الناس ليبلغهم ما أنزل عليه من ربّه استجابة لنداء الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

فقال في معرض كلامه من خطبة حجّة الوداع: «ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلّى يا رسول الله.

فأخذ بيدي علي فقال: «من كنت مولاً له فهذا علي مولاً، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبّه، وابغض من يبغضه، وانصر من نصره، وانخذل من خذله»^(٣).

فقدّم أكثر الصحابة نحو علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيهم عمر بن

(١) السيرة الحلبية ١: ٤٦١.

(٢) المائدة ٥: ٦٧.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ١٠٥.

الخطاب، ومخاطب أبا الحسن بقوله: بخِ بخِ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم^(١).

مما تقدم نجد أن أبرز مقصود الولاية هي الخلافة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الرَّكَاهَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ﴾^(٢).

نزلت هذه الآية الكريمة بحق الإمام علي عليه السلام مؤكدة ولايته على المؤمنين بعد الله ورسوله أمّا آية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾^(٣)، فلم تنزل بعدها إلّا آية واحدة، وهي التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿أَلْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيْنَكُمْ﴾^(٤).

فكان كمال الدين والتشريع في النبي الأمي محمد عليه السلام وكان إتمام النعمة بوليه وخلفته الإمام علي عليه السلام.

وقال الذين في قلوبهم مرض؛ إنّما نزلت هذه الآية بمعنى إكمال الدين، وأمّا الإمامة بعد الرسول فهي لا تصح إلّا بالمشورة بين المسلمين مفسرين ﴿وَشَاءُرُّهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٥)، ثم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٦)، بما ليست فيهما من معنى وهدف، مخالفين بذلك ما يريده وما دعا إليه الرسول عليه السلام دعوة

(١) البداية والنهاية ٧: ٣٨٦.

(٢) المائدة (٥): ٥٥.

(٣) المائدة (٥): ٦٧.

(٤) المائدة (٥): ٣.

(٥) آل عمران (٣): ١٥٩.

(٦) الشورى (٢٢): ٣٨.

واضحة في خطبة حجّة الوداع، بلى لقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاءُرُّهُمْ﴾
ولكنه أكملها بقوله: ﴿فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

لأن الله سبحانه وتعالى يعرف أنّ الرسول ﷺ كامل بالوحي، ولا ينطق عن الهوى، وهو المؤيد والمسلد من الله، وإن خلافة ينص عليها كتاب الله، ويوضحها رسوله ﷺ لا تحتاج إلى بيعة الناس، والناس اختلفوا على قولين مشهورين: فريق قال: على منصب بنص إلهي، والرسول لا ينطق عن الهوى، والفريق الآخر قال: إن الخليفة هو أبو بكر باختيار أهل الشورى، فالفريقان يقران أنه لا يجوز بقاء الأمة بدون خليفة أو إمام، فهل يمكن للناس أن يكونوا أحسن اختياراً من رب الناس ومن رسوله؟! قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ كُلُّهُمُ الْخَيْرُ﴾^(١).

والله سبحانه هو الذي يحسن اختيار الأكثر تقىً وزهداً وعلماً والأكثر جهاداً والأسبق إلى الإسلام، وقد اتفقت الأمة الإسلامية بمجموعها على أن علي عليه السلام دون غيره يمتلك كل هذه الصفات، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب»^(٢)، «أقضاهم علي»^(٣)، «قد زوجتك أقدمهم إسلاماً، وأعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً»^(٤).

فالإمامية أجلّ قدرأ، وأعظم شأنأ، وأعلى مكانأ، وأوسع جانباً من أن ينالها الناس بعقولهم وبالتالي أن يكون لهم الحق في تبديل اختيار الإمام بعد أن

(١) القصص (٢٨): ٦٨.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٨٢.

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٥٥.

(٤) نظم درر السمحطين: ١٨٧.

اختاره الله ورسوله. والإمامية عميقه عمق تاريخ الخليقة بدءاً من قوله تعالى:
 ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

وبعدها خصّ الله سبحانه نبيه إبراهيم الخليل بعد الرسالة والنبوة بالإمامية إذ قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

لقد طلب إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يجعلها في ذريته بقوله بلسان حال القرآن ﴿وَاجْتَبَنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَام﴾^(٣).

فاستجاب له الرحمن: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ تَافِلَةً وَكُلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الرَّكَأَةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٤).

وقد سنّ تعالى على أمة محمد ﷺ أن يقولوا في كل صلاة: «اللهم صلّى الله عليه وعلّمه على محمدٍ وعلى آله إشارة واصحة إلى الإمامية الحقيقة إنك حميد مجید، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آله باركت على إبراهيم وعلى آله إبراهيم إنك حميد مجید»^(٥).

نجد في هذا الرابط بين الآل والآل إشارة واضحة إلى الإمامية الحقيقة التي استمرت من ذرية إبراهيم إلى ذرية محمد ﷺ الذي قضى عمره وهو يوصي قائلًا: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا ومن

(١) البقرة (٢): ٣٠.

(٢) البقرة (٢): ١٢٤.

(٣) إبراهيم (١٤): ٣٥.

(٤) الأنبياء (٢١): ٧٢ - ٧٣.

(٥) صحيح البخاري ٤: ١١٩.

تَخْلُفُ عَنْهَا غَرْقٌ»^(۱).

وقال سيدنا محمد ﷺ: «إِنِّي تاركٌ فِيمَ مَا إِنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضْلُوا
بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ حِلٌّ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى
الْأَرْضِ، وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيْهِ الْحَوْضُ، فَانظُرُوا كَيْفَ
تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»^(٢).

فالولاية تكون حصرًا في الإمام علي عليه السلام وولده إلى يوم القيمة، إذ إن الولاية اختيار من قبل الله عز وجل ومن قبل رسوله بأمر من الله تعالى، لأنها زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِّئُونٍ وَلَا مُؤْمِنٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ هُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣).

وقد خصَّ الله سبحانه هذه الصفوَة الطاهِرة بالإمامَة والولاية.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَوْلَ مَا يُسَأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَّهُ، الصلوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض وعن الحجّ المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت فإن أقرّ بولايتنا ثمّ مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته، وحجّه، ومن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله جلّ جلاله لم يقبل الله عزّ وجلّ منه شيئاً من أعماله»^(٤).

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥١

(٢) سنن الترمذى : ٥ : ٣٢٩

٣٦ الآحزاب (٣٣):

(٤) الأُمَالِي لِلشِّيخ الصَّدُوق: ٣٢٨.

الإمامية ضرورة حضارية



الإمامية ضرورة حضارية

إن العقل السليم هو الذي يحدد مواصفات وشروط ومؤهلات الحاكم الصالح من خلال معطيات وحدود ومؤشرات الشريعة الإسلامية.

والناس قد يختارون رجلاً غير جدير، وغير مؤهل لتولي مسؤولية الحكومة بداعف من الغفلة، أو سوء القصد عندما يتزاحم كثيرون ممن تنقصه الكفاءة لنيل منصب الحكم، فإذا تحقق له ما يريد قام بتطبيق القوانين والإجراءات التي تتناسب مع قدراته وكفاءاته السياسية، لأن الإنسان لا يقدر إلا بقدر ما يعرف، فنتيجة عجز هذا الحاكم تصيب مجموع الأمة بنتائجها السيئة.

إن تولي الحكم يحتاج إلى أرضية صلبة يمتلكها المتولى حتى يستطيع تطبيق القانون التشعيري الصحيح على كافة الأصعدة الحياتية اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، لأنه يترجم عبر كفاءاته كل طموحات الأمة الفردية والجماعية، مستنداً إلى الضوابط الشرعية والإنسانية، ويجب أن يمتلك الحاكم الصفات الحميدة من تقوى، وصبر، وشجاعة، وكرم، وحلم، وعلم، ومعرفة، لأن الحاكم هو أب للجميع، هذا وإن العقل منطق الواقع في الصح والخطأ لا يؤمن بحاكمية الجحالت والظالمين وأصحاب الشهوات الدنيوية.

إن العقل يرتبط ارتباطاً عميقاً بشعور أخلاقي وجداً إيماني رفيع يحتم على الإنسان اختيار وانتخاب الأفضل، وفي هذه الآيات الكريمة تأكيدٌ على

هذا الاختيار.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وقال جل جلاله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمُالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْحِسْنِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

يؤكد القرآن الكريم أن الإمامة وقيادة المسلمين الشرعية لا تصح لمن أشرك بالله ولو طرفة عين، ولا لمن ظلم نفسه فإذا كان الشرك هو أعظم الظلم فكيف يليق هذا المنصب الإلهي بمن أشرك بالله معظم حياته، فلا يكون مصداقاً للآية إلا المعصوم الذي اختاره الله ولم يشرك بحياته قط.

إن الإمامة والحكومة الشرعية هي قيادة قائمة بذاتها تتأثر مهامها في

(١) يوئيس (١٠): ٣٥.

(٢) يوسف (١٢): ٥٥.

(٣) البقرة (٢): ٢٤٧.

(٤) البقرة (٢): ١٢٤.

صيانة القانون الإلهي والدعوة له، وهي ليست صحيحة في مفاهيم ابن تيمية الذي يعتبر الدين هو الفكر ومهمته المراقبة على السلطة، ذلك لأنّ الدين يحكم من القاعدة لا من القمة، فكأنّما يريد ابن تيمية لذلك أن يجرّد رجال الدين من أي سلطة قيادية.

ولنا في مثال الرسول الأعظم ﷺ المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، فإنّه حين دخل مكة فاتحاً صدّع منادياً بلا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وفي هذا إشارة واضحة كلّ الوضوح إلى جعل الناس تحت سلطة الحاكم الشرعي، وإلى نبذ الحكم الجاهلي والرجعية والتخلّف.

أمّا الإمام علي عليه السلام فقد كانت جميع حروبه في خلافته ضد الناكثين، والقاسطين، والمارقين، من أجل هدف جوهري وهو عزل غير المؤهلين لقيادة الحكم الإسلامي.

وفي رسالة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام إلى معاوية تصرّح بهذا الأمر: «فليتعجب المتعجب من توبيك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ولكتابه...، فدع التمادي في الباطل، وادخل في ما دخل فيه الناس من بيعتي. فإنك تعلم أنّي بهذا الأمر منك عند الله وعنده كلّ أواب حفيظ...»^(١).

وفي البخاري، عن الرسول ﷺ قال: «كلّكم راعٍ، ومسؤولٌ عن رعيته»

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦: ٣٤

والإمام راع ومسؤول عن رعيته»^(١).

وفي صحيح مسلم: «من خلع يدأ من طاعة لقى الله يوم القيمة ولا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية»^(٢).

إن البيعة والولاية لأهل البيت عليهما السلام ثابتة شرعاً في رقاب المسلمين في كل زمان ومكان، وأخص منها رقاب العلماء الذين يجب عليهم العمل بقدر ما يمكن ويستطيع، ذلك لأنهم يعرفون أكثر من غيرهم - والمسؤولية على قدر المعرفة - الحسابات الدقيقة والمعانوي المستدقة في القرآن الكريم ومناداته بالإمامية والولاية لأهل البيت عليهما السلام بشكل مبرمج ومحسوب.

ولنضرب الأمثال فنقول: إذا قال لك شخص من أهل الخيرة إن هناك كنزًا تحت التراب على بعد مائة متر مثلاً فإنك إن ذهبت مسافة مائة وعشرة أمتار فلن تجد الكنز، لأنك لم تراع المقدار المقنن للمساحة.

وإذا أردت أن تفتح باباً وكان أحد أسنان المفتاح معطوباً مكسوراً فإن الباب لن تنفتح لك ما لم تكن أسنان المفتاح مقتنة للفتح في صناعة متقدنة وبصياغة محسوبة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»^(٣)، وقال: «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٤).

(١) صحيح البخاري ١٨٩.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٢٢.

(٣) مستند أحمد ٤: ١٦٥، سنن الترمذى ٥: ٣٠٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٧.

فلسفة الإمامة:

ما دام القرآن محفوظاً من الله وحالداً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو إذن امام نقرأه ونراه في كل زمان ومكان، إذ إنّه يشتمل على العقائد والأخلاق والسلوك والأعمال كلها في الدنيا والأخرى فهو متعلق بالإنسان بحيث لو لا وجود الإنسان لما كان للعقيدة وجود، ولا للخلق تحقق، ولا للعمل بالقرآن حصول.

وبما أنّ الإمام هو الهدى والعارف بكتاب الله بعد الرسول فيصبح هو الترجمان للقرآن.

إذاً الإمام هو ترجمان القرآن وستثبت هذا بالدليل الواضح إن شاء الله.

الإمام ترجمان القرآن:

إنّ من علم بظاهر القرآن وباطنه، وعرف تفسيره وتأويله، واطلع على متشابهه ومحكمه، وعمل بفرائضه، وكان مؤمناً ومتيقناً بأنه من عند الله، فهذا هو القرآن الناطق أي: القرآن العلمي والإمام الحقيقي.

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم ترجمان القرآن خاصة حيث جعلهم الرسول الأمين عدل القرآن فقال: «أنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به» فتحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي»^(١).

(١) صحيح مسلم ١٢٣: ٧.

وعن الإمام علي عليه السلام: «سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل أنزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل»^(١).

ولعلنا نتعرف أكثر من ذلك في قول الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله المفضل بن عمر عن الصراط فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهو صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة.

وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم»^(٢).

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَخْسَنْ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقْنُونَ﴾^(٣).

وقال عليه السلام: «من مات وليس له إمام من ولدي مات ميتةً جاهلية»^(٤).

ويقول الرضا عليه السلام: «لنا أعين لا تشبه أعين الناس وفيها نور ليس للشيطان فيها نصيب»^(٥).

ويقول الباقر عليه السلام: «ما من أحد أكذب على الله وعلى رسوله عليه السلام ممن كذبنا أهل البيت أو كذب علينا، لأنه إذا كذبنا أو كذب علينا فقد كذب الله ورسوله لأننا إنما نحدث عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله»^(٦).

(١) فتح الباري ٨: ٤٥٩.

(٢) معاني الأخبار: ٣٢.

(٣) المائدة (٥): ٥٠.

(٤) عيون أخبار الرضا ٢: ٦٣.

(٥) الأمالى للشيخ الطوسي: ٢٤٥.

(٦) بحار الأنوار ٤٩: ٢٦٦.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

فلولا عصمتهم من الخطأ، وصيانتهم من الخطيئة، لما كانوا جبالاً ورواسياً، ولما كانوا مطهرين في كتاب الله؛ لأنّه لو وقع الإمام في الزلل في أيّ حكم أو عمل أو راح يسهو عن أمور الشرع إذاً لابعد وافترق عن القرآن والرسول يقول: «لن يفترقا»^(٢).

إنّ القرآن الكريم لا يدركه ولا يعلم تأويلاً إلّا الله والراسخون في العلم، وإنّ العترة الطاهرة هم الراسخون، فما جمع القرآن مع تفسيره الصحيح غير الأوّصياء، لأنّ جمعه وإدراك كنهه مشروط بالطهارة التامة التي تعطي التعبير الصحيح، فإنّ الطهارة ليست مجرد النظافة للبدن والثياب، وإنّما كانت هذه الطهارة حاصلة بالتراب كما في التيمّم، ولما ترّبت الطهارة أيضاً بغسل الوجه واليدين في الوضوء، وإنّما الطهارة هي النقاء من الدنس والتزاهة عن الرجس والغرور علاوة على النظافة الظاهرية لنكون بالتقوى جديرين بإقامة الصلاة.

وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْطَهِرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٣)، والأئمّة عليهم السلام هم الذين يقول الله فيهم سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهُدَاهُمْ اقْتَدُهُ﴾^(٤)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٥)،

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) مستند أحمد: ٣: ١٤.

(٣) التوبة (٩): ١٠٨.

(٤) الأنعام (٦): ٩٠.

(٥) النحل (١٦): ١٦.

العلمات هم الأئمة عليهن السلام والنجم هو الرسول الكريم عليهما السلام.

وبيّن الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبه بنهج البلاغة هذا الأمر حيث قال: «فأين تذهبون؟ وأنني تؤفكون؟ والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتأهّبكم؟ وكيف تعمّهون؟ وبينكم عترة نبّيكم، وهم أزمه الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلواهم بأحسن منازل القرآن، ورُدُّواهم ورود الهيم العطاش»^(١).

كما أشار إليهم سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمَيْنَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ﴾^(٢).

فالعترة الطاهرة هي القادرة على إنطاق القرآن، والعثور على ما فيه من مكونات، فلنرجع إليهم، ولنقتندي بهم كي تكون من الهدادين المهتدين الذين يحبّون الرسول وآل بيته وبهم يقتدون.

الرابط العلمي بين القرآن والإمام:

القرآن نور بصر وبصيرة للبعض، وعمى بصر وبصيرة للبعض الآخر، رجوع إلى الله وشفاء بإذن الله للبعض، وسقم وشقاء للبعض الآخر، فكذلك الإمام إذا تبيّن للإنسان حقه والحق من حوله ومعه ثم أدار له ظهره وتركه فذلك هو الكفر الصريح، وسيجد الكافرون جزاءهم بما كفروا.

والقرآن الكريم هو كتاب شامل يعطيك في كل زمان ومكان جواباً لتناً طريياً بقدر ما هو صحيح، وهو الينبوع السماوي كما وصفه الخالق بقوله:

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٦: ٣٧٣، الخطبة ٨٦

(٢) آل عمران (٣): ٣٣.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، فيجب علينا إلّا نطلب الهدایة في غير القرآن لكي لا نضلّ ضلالاً بعيداً، إنّه الصراط المستقيم الذي لا يعرفه حقّ المعرفة إلّا الله سبحانه ورسوله والراسخون في العلم ألا وهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾^(٢)، ومن التلازم المشترك بين القرآن والإمام أنّ القرآن هو مظاهر من مظاهر صفات الله الذي لا شريك له، ولا يمكن أن يأتوا بمثله ولو اجتمعت على ذلك الإنس والجن.

والإمام إنسان كامل معصوم وهو مظهر لصفات الله، ليس كمثله أحدٌ من البشر في تقواه وفي سلوكه وفي قدرته على شرح وتعليم وتطبيق القرآن الكريم. الإمام هو النجم الذي لا تطاله أيدي المتطاولين، وقد عبر الرسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسلامه عن ذلك بحديثه الشريف بقوله: إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أ أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض»^(٣).

فالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه نبيٌ وإمام في آن واحد أمّا الإمام عليه السلام فهو إمام وليسنبيّ، وإنّ ربط الاثنين بالغيب قائم وسار ما داموا على قيد الحياة. والفارق هو أنّ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يتلقّى عن طريق الوحي، ويرى الملائكة والرؤبة عنده حكم، أمّا الإمام عليه السلام فلا يتلقّى عن طريق الوحي. ولا يرى الملائكة، والنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه مكلّف بإitan الشريعة إلى الناس، أمّا الإمام عليه السلام فتكليفه حفظ الشريعة بدون خطأ أو

(١) النحل (١٦): ٨٩

(٢) يونس (١٠): ٣٥

(٣) مستند أحمد ٣: ١٤.

عيب وهو الذي يحل الخلاف والاختلاف بالحق وبما يرضي الله والرسول ﷺ.

الشريعة الإسلامية ثابتة لا تتغير، أما الخلاف فيحدث بين العلماء حسب تغيرات الزمن وظروفه وأحداثه، فإذا كان لا يوجد إمام يرجع إليه الناس، فإن الخلاف سيتسع، والتشتت سيقى ويستمر، فلا يقوم للأمة بناء صحيح كامل إلا بوجود الإمام والأخذ عنه، كما وأن الصحابة لم يكتمل نضوجهم العقلي جمياً، لذلك فقد كانوا يحتاجون إلى أمين بعد الرسول الكريم ﷺ.

وقد وضع الله سبحانه وتعالى لهم الأمين، وبين الموازين، وأكمل الدين:
 ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

لقد جعل الله من الإمام لطفاً مقروراً بالأسباب الحافظة لخط النبوة، وقد عبر الرسول الكريم ﷺ عن ذلك في مواطن كثيرة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهُوَ﴾^(٢)، منها:

١- سمي ﷺ علياً إماماً في حياته وذلك ما لم ينله واحدٌ من الصحابة.

٢- أعلن ﷺ ولاية علي عليه السلام في غدير خم ونزلت بذلك الآية الكريمة:
 ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

وأعلن ولاليته أيضاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤).

(١) النجم (٥٤): ٣.

(٢) المائدة (٥): ٣.

(٣) المائدة (٥): ٦٧.

(٤) المائدة (٥): ٥٥.

٣- قام الرسول الكريم ﷺ بإيصال الترابط بين القرآن الكريم وأهل البيت علیهم السلام في حديثه الصحيح: «إِنِّي تارك فِيْكُمُ الشَّقَّالِيْنَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كَتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقاَ حَتَّى يَرْدَا عَلَيْهِ الْحَوْضُ»^(١).

الإمامية ومنطق القرآن:

فَلَنْ تَأْمُلْ وَلَنْ تَسْأَلْ كُمْ قَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا بَعْدِي»^(٢)؟

لقد طلب الله سبحانه وتعالى إلى موسى الذهاب إلى فرعون وكان متهمًا بجريمة كبيرة، وهو قتل رجل من رجال فرعون، فصعب ذلك على موسى وناجي ربّه قائلاً ضارعاً إليه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةَ مِنْ لَسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾^(٣).

لقد طلب موسى علیه السلام من ربّه أن ينصره بأخيه، وليس بأبي واحد آخر من الناس، لأنّه أعرف الناس به، وهو الذي أشرف على تربيته وإعداده، وكذلك طلب سيد الأنبياء ﷺ من ربّه أن يشرح صدره فشرح الله صدره بولاية الإمام علي علیه السلام^(٤)، ثم خاطبه قائلاً: ﴿أَلَمْ نَسْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ *

(١) مسنند أحمد: ١٤: ٣.

(٢) صحيح البخاري: ٥: ١٢٩.

(٣) طه (٢٠): ٢٥ - ٣٤.

(٤) ففي تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال في تفسير الآية: «بعلي، فجعلناه وصيك...»، تفسير القمي ٢: ٤٢٨.

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ^(١).

فالوزر هو الحمل الثقيل الذي أحبّ الرسول ﷺ أن يكون معه في حمله وزير مؤازر يساعد في حمل هذه الأعباء ويخفف عنه، وقد اختار الرسول الكريم ﷺ هذا الوزير المؤازر عندما قال لسيدنا الإمام علي عليه السلام: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» فاختاره بذلك أخاً ولياً.

وقد نفذ الرسول الكريم ﷺ أوامر ربه حين قال له: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَفْرِينَ﴾^(٢)، فقام الرسول بدعوتهم قائلاً: «أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيي، وخليفي فيكم».

فلم يستجب له أحد من أهله إلّا علي عليه السلام، وكان حديث السن، وأعاد الرسول ﷺ الدعوة على مسامعهم أكثر من مرة فما استجاب له إلّا علي، فأخذ برقبته ثم قال: «إنّ هذا أخي، ووصيي وخليفي فيكم، فاسمعوا له وأطعوه»^(٣).

ويشهد الله وهو خير الشاهدين على أن علياً عليه السلام هو الوزير وال الخليفة من بعد الرسول ﷺ إذ يقول: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ والمعنى واضح في ذلك وهو أن الله سبحانه وتعالى قد أزر النبي ﷺ بأخيه علي عليه السلام الذي صحبه في جميع حروبه ضد المشركين إلّا في حرب تبوك التي كانت حرباً استعراضية بقي فيها علي على المدينة بأمر الرسول ﷺ رغم إلحاحه على الذهاب، وقد قال له الرسول ﷺ عندها: «خلفتك أن تكون خليفي»، قال: أتخلف عنك يا

(١) الشرح (٩٤): ١ - ٣.

(٢) الشعراء (٦): ٢١٤.

(٣) تاريخ الطبرى: ٢: ٦٣.

رسول الله؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبيٌّ بعدي»^(١).

وكان إبقاء عليٍ في المدينة لأجل خوف الرسول ﷺ من المرجفين والمنافقين الذين بقوا في المدينة ولم يخرجوا مع رسول الله ﷺ، فكانوا يرصدون خروج النبي ﷺ لأنهم كانوا على علاقة وطيدة مع الروم الذين كانوا يتربصون بهجوم الكاسح على المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِذْ صَادَا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشَهُدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢).

فهذا سبب تخلف علي عليه السلام على المدينة لأسباب أمنية وسياسية يعلمها ويعرفها رسول الله ﷺ.

(١) مجمع الزوائد: ١١٠.

(٢) التوبه (٩): ١٠٧.

من يعين الإمام

إنَّ الله سبحانه هو الحاكم العادل وهو ذو الصلاحية المطلقة في أمور هذا الكون، فلا يحقّ لأحد أن يشرع من دونه في قليل أو كثير، فشرع لنا الشرائع، وأبان لنا المناهج، ثمّ بعث رسوله ﷺ رحمة للعالمين، ولبيّنُ أحكامه، ويوضح دستوره، ولينذر الأُمّة، وليحثّ على تطبيق الأحكام الشرعية الحقة، ويشرف على تنفيذها، فيثبت الله سبحانه من أحسن، ويجزى من أساء.

ومن الواضح أنَّ المسلمين لم يبلغوا في عهد الرسول ﷺ درجة من النضج الفكري والرشد الاجتماعي، ولم يستوعبوا الشريعة الإسلامية بصورة كاملة مما أدى إلى إفراز اختلافٍ واسعٍ في الأحكام والمعارف الإسلامية، فهل ترك هذه الأُمّة من بعد الرسول ﷺ من دون إمام معصوم يقوم بحفظ وبيان الأحكام وشرح المعارف فيكون حجّة الله عليهم، والسبب المتصل بينهم وبين الله؟

إنَّ التاريخ لم يعرف أمةٌ تنهض بدون قائدٍ وقيادةٍ، ولكن هل تحوز قيادة الدين لعامة الناس؟ يقول الإمام الرضا ع: «لو لم يجعل [الله] لهم إماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة، وذهب الدين، وغيرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، وقص منه الملحدون، وشبعوا ذلك على المسلمين، لأنّا قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين [مع] اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتّت أنحائهم، ولو لم يجعل لهم قيماً حافظاً لما جاء به

الرسول ﷺ لفسدوا نحو ما بینا، وغيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين»^(١).

وبما أن الإمام معصوم وجب على الرعية اتباعه، وقد تبين لها أنه الحافظ للشرع الصائن للأحكام، لذلك فإن طاعته مفروضة بأمر الله وقد قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذِرُ الَّذِينَ يُحَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^(٢).

فطاعة ولی الأمر المنصوب من قبل الله تعالى مفروضة فرضاً في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنْكَرُ﴾^(٣).

والأئمة عليهم منصوبون بأمر الله تعالى لذلك فطاعتهم وولايتهم والاقتداء بهم واجب مفروض على كل مؤمن.

بيان آية: ﴿وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا عَلَيْهِ الْقَلْبُ لَا نَفَضُّلُوْمِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْهُمْ وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَكِّلِينَ﴾^(٤).

هذا من خلق القرآن، ترابط اجتماعي كامل وواضح بين الرعية والقائد بالمشورة والاستنasio برأي ذوي الرأي ليتحسس الناس بمسؤولياتهم، وليفكروا بجدية أكثر في أمور الدين والدنيا، وقد يضطر القائد خلال

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٠٨.

(٢) النور: ٢٤: ٦٣.

(٣) النساء: ٤: ٥٩.

(٤) آل عمران: ٣: ١٥٩.

المشاورة إلى تبيان مختلف وجوه الأمر للناس مما يعمق في نفوسهم أبعاد المعرفة.

لكن من واجب القائد إذا رأى في الناس ضعفاً في الإرادة، أو تحيّزاً للمصالح اتخاذ القرار المناسب الحازم، وهم مأمورون باتباعه، لأنَّ قرار القائد يتجاوز الخلافات في الرأي، ويعطي للأمة ما تحتاج من الحيوية لتجاوز العقبات التي يرونها ضخمة بسبب ما بينهم من خلاف في الأهواء والآراء، المشاورة إذاً وجدت لتحقيق الترابط وتعزيز أبعاد المعرفة في نفوس الناس، ولكن إذا دخل الضعف والتراجع في الأمة عندها يتحتم على القائد أن يتخذ قراراً لا رجعة فيه، لأنَّه إنما يسير على الهدى ويحكم الله إذ هو معصوم في أفعاله وأقواله وجميع تصرفاته، فيكون بهذا العمل مربياً وموجهاً للأمة، زارعاً فيها الرؤية الصالحة.

وكيف تكون المشورة والمشاورة أو تصح في صدر الإسلام بين قلة من الصحابة يتفقون على اتخاذ قرار لتنصيب وكيل الله وخليفته على الناس في الأرض؟

ترى هل كان هذا هو الحق والصواب أم أنه استعجال في الأمر دفعهم إليه التعلق بالدنيا وهم يفتقرن إلى الدليل وإلى القدرة على الاختيار؟

حتى ولو سلمنا جدلاً وقلنا بأنَّهم تشاوروا فليسوا هم بمعصومين، بل إنَّهم تركوا المعصوم مشغولاً بتجهيز جنازة النبي ﷺ مع أنَّ الرسول الكريم ﷺ أراد تأكيد أمر الخليفة والإمام عند وفاته قائلاً: «آتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تصلوا بعده أبداً»^(١).

(١) صحيح البخاري ٤: ٦٦

وكثر الخلاف واللغط حول النبي ﷺ حتى غضب عليهم وقال: «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع»^(١).

وقد قال ﷺ أيضاً: «رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار»^(٢).

يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقَ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣)،

قصة: دخل رجل شامي على [الإمام] الصادق عليه السلام مجاججاً، فقال [الصادق] عليه السلام لهشام بن الحكم: كلامه قال هشام: يا شامي ربك أنظر لخلقك ألم خلقه أنصار لأنفسهم [أي أعرف]? قال: [الشامي]: بل هو أنظر لهم.

قال: فما نظره لهم [أي ماذا صنع لهم]?!

قال: [الشامي]: أقام لهم الحجة، وأراح عنهم العلة.

قال [هشام]: فما هي الحجة؟

قال: الرسول ﷺ.

قال [هشام]: فما بعده [أي فما هي الحجة التي تركها بعد الرسول]?!

قال [الشامي]: كتابه وسننه.

قال [هشام]: فأز الـ الاختلاف اليوم؟

قال [الشامي]: لا.

(١) صحيح البخاري ١: ٣٧.

(٢) للمستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) يونس (١٠): ٣٥.

قال الشامي: وإنّ من [أي أين الحجّة إذا؟]

قال [هشام]: هذا الجالس - يعني الصادق عليه السلام - الذي يخبرنا بأخبار السماء وراثةً عن أبيه وجده.

قال [الشامي] فكيف وأعلم ذلك؟

قال: سله.

فابتداه الإمام عليه السلام وأخبره بيوم خروجه من الشام وما حدث له في طريقه
صدق فأقرّ بصيّته^(١).

حكمة: سأّل أحد الناس ما دليلكم على أنّ علياً أعلم الناس؟ قال: حاجة الكل إلى علي، واستغناء علي عن الكل دليل على أنّ علياً أعلم الكل.

إنّ الله سبحانه بدأ بال الخليفة قبل الخليقة، والحكيم يبدأ دائمًا بالأهم، فال الخليفة أهم من الخليقة، لأنّه المبلغ والمرشد والرحمة من الله للعباد.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ حَلِيقَةٌ﴾^(٢).

وقال أيضًا جلّ وعلا: ﴿يَا ذَاوُدُّ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

وفي هذا دليل واضح على أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار الخليفة والنبي والإمام. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٤).

(١) الصراط المستقيم ١: ٨٩

(٢) البقرة ٢: ٣٠

(٣) ص ٣٨: ٢٦

(٤) القصص ٢٨: ٦٨

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَقْبُضْ نَبِيًّا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ الدِّينَ، وَبَيْنَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالْحَدُودُ وَالْأَحْکَامُ، وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾^(١).

إنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ - الَّذِي لَا يُنْطِقُ عَنِ الْهُوَى - أَعْلَنَ إِمَامَةَ عَلِيٍّ تَنْفِيذًا لِأَمْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَوْضِيًّا أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ بِالرَّسُولِ وَالْتَّتِمَّةَ بِالإِمَامَةِ بِدَأْ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ^{عليه السلام} حِيثُ يَقُولُ^{عليه السلام}: «عَلَيَّ مِنِّي وَأَمَا مِنْ عَلِيٍّ وَلَا يَؤْدِيُ عَنِي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ»^(٢).

إِنَّ مَحَاوِلَةَ النَّاسِ اخْتِيَارِ غَيْرِهِ وَتَنْصِيبِهِ يَصْبُحُ عَبَثًا وَجَهَلًا وَمُخَالَفَةً صَرِيقَةً لِلنَّصْرِ وَإِنَّ كَانَ اخْتِيَارَهُ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَمْ يَبْيَّنْ لَهُمْ كَيْفِيَّةَ اخْتِيَارِ الْإِمَامِ وَالْخَلِيفَةِ فَإِنَّ هَذَا عَبَثٌ فِي قَوَانِينِ الإِلَهِ وَمَا شَاءَ تَبَارَكَ، وَحَاشَ اللَّهُ أَنْ يَتَرَكَ أَمْرًا عَظِيمًا كَهَذَا وَلَمْ يَبْيَّنْهُ.

(١) المائدة (٥): ٣.

(٢) سنن الترمذى ٥: ٣٠٠. وانظر: مستند أحمد ١٦٥: ٤

القرآن وأهل البيت عليهما السلام

إِنَّ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَوْضِعِ الْآيَاتِ الَّتِي خَصَّ بِهَا اللَّهُ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كثِيرٌ كَثِيرٌ وَعَدِيدٌ نَذَرَ مِنْهَا هُنَّ قَسْمًا يُسِيرًا مَكْفِفِينَ بِهِ لِتَوْضِيحِ مَا يَحْتَاجُهُ الْقَارئُ الْكَرِيمُ، وَنَبِدأُ بِآيَةِ الْمِبَاهِلَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا تَدْعُ أَبْنَائَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَهَّلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيِّينَ﴾^(١).

إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَظْهَرَ وَأَوْضَحَ وَبَيَّنَ الطَّرِيقَ الَّذِي يَرِيدُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، حِيثُ حَدَرُوهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ السَّبِيلِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَمِنْ تَرْكِ الْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ بَعْدَ أَنْ جَسَدَ وَأَبْنَانَ الْخَطِّ الْقَوِيمِ، وَالصَّرَاطِ الصَّحِيفِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَجَعَلَ سَبَّحَهُ قَضِيَّةَ الْمِبَاهِلَةِ أَمْرًا فَاصِلًا بَيْنَ الإِيمَانِ كُلَّهُ وَالْكُفُرِ كُلَّهُ، حِيثُ قَامَ نَصَارَى نَجْرَانَ بِجَمْعِ أَكْبَرِ وَأَعْظَمِ زُعْمَاءِهِمْ، وَأَلْبَسُوهُمُ الْحَلِيَّةَ وَالْحَلَلَ، وَزَيَّنُوهُمْ بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُهُ الْعَظَمَةُ الدِّينِيَّةُ لِيَبَاهِلُوا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ مُحَمَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي أَنْكَرُوا نَبُوَّتَهُ، وَجَعَلُوا الْفَصْلَ وَالْحَلَّ لِقَضِيَّتِهِمُ الْوَقْوفُ أَمَامَ اللَّهِ.

أَمَا نَبِيُّ الْهَدِيِّ وَرَسُولُ الرَّحْمَةِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ اسْتَجَابَ كَعَادَتِهِ لِنَدَاءِ السَّمَاءِ وَأَخْرَجَ مَعَهُ أَفْضَلَ وَأَطْهَرَ وَأَزْكَى الْبَشَرِ لِيَكُونُوا فَاصِلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَتَبِيَانًا لِحَقِيقَةِ النَّبِيَّةِ، وَتَرْسِيَخًا لِقَوْاعِدِ

(١) آل عمران (٣): ٦١.

الرسالة، إنّهم الأطهار الأبرار الأخيار علىٰ وفاطمة والحسن والحسين مع جدّهم رسول الله ﷺ.

خمسةً يقفون أمام كلّ كبرىء النصارى الذين يفاخرون أنّهم سوف يباهلو نبّه مُحمّداً بالعظمة والكثرة فلما رأوا الرسول الأمين قد خرج واحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلى خلفها.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألاه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلو فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيمة، ورجعوا كذلك بخيبتهم ولم تتم المباهلة^(١).

إنّ المسألة ليست تكريساً لمفهوم قبلي أو تعصّب من أي نوع، لكنّها إعداد ربّاني هادف إلى صياغة الوجود الامتدادي في حركة الرسالة، ولا يمثل هذا الامتداد وتلك الصياغة إلّا أهل بيته عليهما السلام.

ولنبذأ بمحاسبة أنفسنا وفق ما أنزل الله في كتابه العظيم بحقّ هذه الفئة المطهّرة الكريمة، ونتساءل ترى هل عميت البصائر وتكابر نفوس ذوي المصلحة عن الاقتداء بأولئك الأطهار بدل الاقتداء بأناس لم يكن لهم في التاريخ نصيب؟! اللهم إلّا اغتصاب حقوق الآخرين، والعمل بغير أحكام الدين، وقتلهم للصالحين الذين اختارهم الله، إلّا فشاهدت الوجوه البغيضة المنحرفة عن الحقّ التي تضمّ الآذان عن استماع الحقيقة، أمّا أولئك الذين اختارهم الله فقد فسّروا لنا القرآن، وبيّنوا لنا أحكامه، وأوضّحوا لنا الطريقة الصحيحة، فبعدًا وسحقاً لكلّ متّجاهل عنيد.

(١) صحيح مسلم ١٢١، مسند أحمد ١٨٥، سنن الترمذى ٤: ٢٩٣، التفسير الكبير للرازى ٨٥٨

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّهِ مِسْكِينًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا... ﴾^(١).

هذه الآيات الكريمة في كتابه العزيز لوقرأها منصف وتدبرها عاقل لوجد أن الله سبحانه وتعالى قد أفضض لطفه وعطاءه لهذه الفئة، وسدّد خطاهم على طريق الجنة.

ثلاثة أرغفة وصيام ثلاثة أيام باتوا فيها طاوين ساغبين وفاءً بالنذر الذي كان بسبب مرض ابنهما الحسن والحسين عليهما السلام، وفي كل يوم يصومونه يأتيهم عند إفطار اليوم الأول المسكين، وغداة اليوم الثاني اليتيم، أما في اليوم الثالث فقد جاءهم الأسير ف يؤثرونه بالعطاء على أنفسهم، يفطرون على الماء وفاءً لنذرهم أمام الله.

ثلاثة أرغفة أنزلت آيات من الذكر الحكيم وبلغت العالم أن الجنة بأطايها ملك حلال لهذه الفتاة الطاهرة الطائعة، معجزة تتكلّم بالبشرة لأهل البيت عليهما السلام.

يقول الرسول الأعظم عليهما السلام: «القرآن أربعة أربع: ربعٌ فينا أهل البيت خاصة وربع في أعدائنا وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام»^(٢).

طوبى لكم أهل البيت ما أعظمكم وما أعظم رصيدكم في كتاب الله. وقد ألف الحكم الحسكناني - وهو من كبار علماء أهل السنة - كتاباً من جلدتين، وأورد فيه كل ما نزل في أهل البيت من الذكر الحكيم وأسماء

(١) الإنسان (٧٦): ٨ - ٢٢.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٥٧.

بشواهد التنزيل^(٢).

جملة من الأحاديث الشريفة بحق أهل البيت عليهم السلام:

١) يقول الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٣).

٢) يقول الإمام علي: «عُلِّمْنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِّنَ الْعِلْمِ، وَاسْتَبَطْتُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ»^(٤).

٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «نزل القرآن على سبع أحرف له ظهر وبطن، وإنّ عند علي عليه السلام علم القرآن ظاهره وباطنه»^(٥).

٤) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ دَعَا هُنَّا فَأَجْبَنَهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِنَّ نِبْوَتِي وَوَلَايَةَ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَبَلَتَا هُمَا، ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أَمْرَ الدِّينِ، فَالسَّعِيدُ مِنْ سَعِدَ بِنَاءً، وَالشَّقِيقُ مِنْ شَقِيقِ بَنَاءٍ، نَحْنُ الْمَحْلُولُونَ لِحَلَالِهِ، وَالْمَحْرُمُونَ لِحَرَامِهِ»^(٦).

٥) عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكملأ الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة ثمّ منكر

(١) راجع مقدمة المؤلف في شواهد التنزيل ١: ٢٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٧، مجمع الزوائد ٩: ١١٤ و... .

(٣) التفسير الكبير للرازي ٨: ٢٣.

(٤) ينایع المؤدة ١: ٢١٥.

(٥) المناقب للخوارزمي: ١٣٥.

ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها...، ألا ومن مات على بعض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله...»^(١).

٦) قال الرسول ﷺ: «علي مني وأنا منه، ولا يؤدي عنّي إلّا أنا أو علي»^(٢).

٧) وقال ﷺ: «أنتولي كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة»^(٣).

٨) قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب ؓ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لانبيّ بعدي»^(٤).

فالرسول الكريم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى قال لعلي ؓ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وزيرًا وخليفة وشريكًا في الأمر ما عدا النبوة.

إن النصوص الواردة عن الفريقيين من المسلمين بحق هذا الرجل العملاق الذي شهدت له الأرض والسماء في غزوة أحد بعد انهزام جميع الصحابة وما بقي منهم إلّا عدد ضئيل ومنهم امرأة اسمها نسيبة، وقد تکالب عليه الأعداء فضربه بن قمأة بعظم فأدمى وجهه الكريم، وأسقط ثنيته الشريفة، ثم نادى بأعلى صوته: لقد قتلت محمدًا فلاذ الصحابة كلّهم بالفرار وصمد الإمام علي ؓ وذبّ عن الرسول الكريم ﷺ، ثم حمل ؓ على المشركين بشجاعة وبسالة لم يشهد

(١) التفسير الكبير: ٢٧: ١٦٦.

(٢) مسنـد أـحمد: ٤: ١٦٥.

(٣) المستدرـك عـلـى الصـحـيـحـيـن: ٣: ١٣٤.

(٤) صحيح البخارـي: ٥: ١٢٩، صحيح مسلم: ٧: ١٢٠.

التاريخ مثلها، ولكن شهدت لها الأعداء الذين مزّقهم وفرقهم أشتاتاً، وهنا دوى صوت من السماء منادياً:

لَا فَتَنَى إِلَّا عَلَيْهِ لَا سَيِّفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارٍ

ونتساءل ثانية: هل من الصحيح، أو العدل، أو الممكن، أو المعقول أن نسوّي وأن نساوي بين علي عليه السلام وبين أولئك الذين انهزوا عن الرسول عليه السلام وتركوه في أرض المعركة؟! والله إنها إذاً لقسمة ضيزي. لا يقبلها مؤمن حرّ شريف.

أما في معركة بدر فقد جندل علي عليه السلام لوحده خمسة وثلاثين شخصاً من الأعداء، وتشهد له السير والتاريخ، وقتل في هذه المعركة قوم قريش وسيد مشركيها، وأشجع قادتها في المراس، وشدة البأس وقوّة الجسم؟!

أم هل يجوز أن نسوّي وأن نساوي بين علي عليه السلام وبين غيره في معركة خيبر التي بعث فيها الرسول عليه السلام أبو بكر فرجع ولم يفتح الله عليه وأعطى الراية لعمّر ابن الخطاب الذي لم يفتح الله عليه وما كان أوفر حظاً من صاحبه أبي بكر.

وحضر الرسول الكريم وقال للصحابة: «لأعطيان الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح عليه، قال عمر: فما أحبت الأمارة قط إلا يومئذ»^(١).

فعدوا كلّهم يرجوها فقال: «أين علي؟»، فقيل يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبراً لأنّ لم يكن به وجع فأعطاه الراية...»^(٢).

(١) السنن الكبرى ٥: ١١١ حديث ٨٤٠٦

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠

إِنَّ لِعْلَى عَلَّاتِهِ رُهْبَةً فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ، وَإِنَّهُ لَتَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ الْأَقْلَامُ
وَحَتَّى الْفَكْرُ الْإِنْسَانِي يَحْتَارُ وَيَقْفَضُ ضَعِيفًا فِي وَصْفِ شَخْصِهِ.

فَأَيْ سَبْبٌ وَبَأَيْ هَدْفُ نَجْدُ الْعُقُولِ الضَّيْقَةِ الْمُتَعَصِّبَةِ الْفَاقِدَةِ لِلْمَعْرِفَةِ
الضَّائِعَةِ فِي غِيَابِ الْعَاطِفَةِ الْعَابِدَةِ لِلصَّنْمِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ حَتَّى الْآنِ يَرِيدُونَ الطَّعْنَ
بِهِ وَبِأَبْنَائِهِ وَالْحَطَّ مِنْ شَأنِهِ وَقَدْرِهِ؟!

وَكُلُّ ذَلِكَ إِكْرَامًا لِلْعَلُوجِ بْنِي أَمِيَّةَ وَأَمْرَاءِ بْنِي الْعَبَاسِ، وَنَحْنُ وَاللَّهُ لَا
نَعْرِفُ عَلَامًا يَسْتَنِدُونَ وَعَلَامًا يَعْتَمِدُونَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَفَاقًا وَزَلْفِيًّا
وَاتِّبَاعًا لِلْبَاطِلِ.

مِنَ الْمُؤْسَفِ وَمِنَ الْمُؤْلِمِ أَنَّ الْجَاهِلَ وَضَعِيفَ الْإِيمَانِ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ الزَّمْنُ
يَزْدَادُ تَعَصُّبًا وَضَعْفًا فَلَا يَنْطَقُ بِقَوْلِ الْحَقِّ، وَهَذَا مَا يَؤْلِمُنَا وَيَحْزُنُ فِي نَفْوُنَا أَسْفًا
وَحَزْنًا عَلَى أُمَّتِنَا الَّتِي ابْتَلَاهَا هُؤُلَاءِ الْوَصَّوْلَيُّونَ الْمَرْجَفُونَ بِضَرْبِهِنَّ مِنَ الْفَرَقَةِ
وَالْخَلْفَ رَغْمَ أَنَّ الْأَمْرَ وَاضْحَى.

إِنَّ الْمَنْطَقَ التَّطَبِيقِيَّ الصَّحِيحَ الَّذِي يَقْبِلُهُ الْعَقْلُ يَرْفَضُ حَتَّى مَجْرِدَ
الْمَقَارِنَةِ بَيْنَ عَلَيِّ وَبَيْنَ ابْنِ أَبِي سَفِيَّانَ، عَلَيِّ هُوَ صَوْتُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، لَا يَفْرَقُ
بَيْنَ طَافِفَةِ وَأَخْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، عَلَيِّ الَّذِي يَقُولُ: «يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَنِّي...»
غَرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةٌ لِي فِيْكَ، قَدْ طَلَقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا»^(١).

عَلَيِّ الَّذِي جَاءَهُ أَخْوَهُ عَقِيلٌ فَقِيرًا مَحْتَاجًا وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَعْطِيهِ بَعْضًا مِنْ
مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأَبَى عَلَيْهِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَحْمَى لَهُ حَدِيدَةً وَأَدْنَاهَا مِنْهُ فَهَرَبَ مِنْهَا
وَهُوَ يَئِنَّ مِنْ حَرَارَتِهَا، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ عَلَّاتِهِ: «ثَكَلْتَكَ الثَّوَاكِلَ يَا عَقِيلَ، أَتَئِنَّ مِنْ

(١) شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ١٨: ٢٢٤.

حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرتى إلى نار سجّرها جبارها لغضبه»^(١).

إنّه على عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينِ الذي يقول لابن عباس لما رأه يخصف نعله فقال ابن عباس: ما قيمة هذه النعل، فقال: «والله لهي أحبّ اليّ من إمرتكم، إلّا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلًا»^(٢).

بعد كلّ هذا هل من الممكن وهل من المنطقي أن نقايس معاوية بعلي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينِ الذي لم يرتكب معصيةً قط في حياته؟! بينما ارتكب معاوية ما لا حصر له، ويكتفي أنه شقّ الصفّ الإسلامي، وحوال مسار الدين عن طريقه الصحيح، وأعطى الخلافة لولده الفاجر الكافر مصاحب القردة والمستهزئ بالقرآن الكريم يزيد بن معاوية.

إذ ذكر هذا عن معاوية فإنّنا مهتمّون أكثر وأكثر بالآراء المتأثرة به والتي ترشح علينا أفكاراً ومفاهيم لا يقلّ أذاها عن أذى أفعالهم، نحن بصدق من لا يفكّرون إلّا بأنفسهم وكأنّهم مخلوقون للأكل والشرب والمتعة وحسب وكأنّهم يظنّون أنّهم مخلدون.

أو لم يقتل معاوية حجر بن عدي الصحابي الجليل خَلَقَنْتَ لَأَنَّهُ مَوَالٍ لعلي عَلَيْهِ وَهَذَا الصَّحَابِيُّ الْآنَ مَدْفُونٌ بِعَذْرَاءِ الشَّامِ.

«إذ طلب منه جلاوزة معاوية - وكان معه ولده وستة من الصحابة - أن يتبرأ من علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ فرفض، عندها حفروا لهم قبوراً وأحضروا أكفاناً، وكان حجر وأصحابه يصلّون عامّة الليل فلما كان الغد قدّموهم ليقتلوهم، فقال لهم

(١) المصدر السابق ١١: ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ٢: ١٨٥.

حجر بن عدي: اتر كوني أتوا ضأ وأصلي... فقتلوه وقتلوا ستة»^(١).

وكل ذلك كان بأمر معاوية.

هذا غيض من فيض من أعمال وأخلاق وسلوكيات معاوية، ومع ذلك فإن البعض يرجم الحق بحجارة الباطل، ويصفق للباطل بأيد مجرمة، أو لسنا نسمع حتى الآن في المسلمين من يقول: إن الحرب التي دارت بين علي ومعاوية بأمر من الله، وحكم منه، وإن القتلى في هذه المعركة هي سيف قد عجلت بأهلها إلى الجنة؟! فتعالى الله، وببرئ من الخطيئة وأهلها كيف يأمر سبحانه بالمعصية وبقتل الأنفس؟! أو لم يأمرنا تخييراً وينهانا تحذيراً؟

فكيف بعد ذلك يعذب من أمرهم؟! إنه التطاول والتحدي والتتمادي على حكم الله وشرعه.

(١) انظر الكامل في التاريخ ٤٨٥: ٣.

حب أهل البيت عليهما السلام

حب أهل البيت عليهما السلام، وحكمه عند الله:

١) يقول ﷺ: «إِنِّي تاركٌ فِيكُمْ خَلِيفَتِينَ، كِتَابُ اللَّهِ حِلْ مَمْدُودٌ مِّنْ بَيْنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْ مَا بَيْنِ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَرْتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَى الْحَوْضِ»^(١).

٢) «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخْذَتُمْ بِهِ لَنْ تَضْلُّوا، كِتَابُ اللَّهِ وَعَرْتِي أَهْلَ بَيْتِي»^(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾.

أولئك هم أهل البيت عليهما السلام عدل القرآن، الذين سيظلّون محفوظين من الله كما حفظ سبحانه كتابه العزيز من الزيف والتحريف، لأنّ الخالق العظيم اختارهم لكي يكونوا حجّة على العباد، ولكي لا يخلو وجه الأرض منهم حتّى يظهر قائمهم المهدى المنتظر ﷺ.

إننا إذ نحب القرآن ونجله الإجلال كلّه لأنّه منقد للبشرية، ومخرج لها من الظلمات إلى النور، فيجب أن نقرّأه، لا كالذين قالوا سمعنا وهم لا

(١) مسند أحمد ٥: ١٨٢.

(٢) سنن الترمذى ٥: ٣٢٧.

يسمعون، بل نقرأ بعقول مفتوحة، وقلوب مؤمنة، حتى نفهم الآيات التي تبيّن المكانة الرفيعة لأهل البيت عليه السلام، فالقرآن دستور الحياة إلى أن تقوم الساعة، وأهل البيت هم ترجمان القرآن إلى أن تقوم الساعة، وهم الذين لم يخالفوا القرآن في قول، أو عمل، فعليك يا أخي المؤمن أن تعرفهم وتعرف ما خصّهم الله من خصوصيات ما أعطاها لغيرهم، ول يكن مسار دربك نجاة لك ولغيرك من الزيف والانحراف، ولو استقرأنا سيرة المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ واطلعنا عليها فإننا نرى ونسمع الكثير عن الكثير ممن ينتقلون من مذاهبهم إلى مذهب أهل البيت عليه السلام لأنّه هو الطريق الحقيقى والخط الرسالى، وهو النجاة للبشرية مما اختلفوا فيه من مسائل معقدة، وقضايا غيبية كما وصفهم القرآن بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(١).

يقول الإمام علي عليه السلام:

(١) «سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي»^(٢).

(٢) «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيمة إلا حدّشكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهاز، أم بسهل نزلت أم بجبل»^(٣).

(١) قال الزمخشري: «ولنجعلنَّ من أمتك أئمَّةٍ يهدُونَ مثل تلك الهدَايَا» (الكساف عن حقائق التنزيل ٢٤٦.٣٠) فتعين الأئمَّةَ يكونَ يجعلَ من الله تعالى، وقد عينهم سبحانه على لسان نبِيِّهِ وحصرَهم باثني عشر خليفةً وهم أئمَّةُ أهلِ البيت عليه السلام.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣:٣٥٢.

(٣) جامع بيان العلم والفضل ١: ١١٤، الرياض النبرة في مناقب العشرة ٣: ١٤٣.

(٣) «جلس الإمام علي على منبر الكوفة وكشف عن بطنه فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنما بين الجوانح مني علم جم [هذا] سقط العلم، هذا لعب رسول الله، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً فوالله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الله التوراة والإنجيل فيقولا: صدق علي قد أفتاك بمَا أَنْزَلَ فِي وَأَنْتُمْ تَتَلَوُنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»^(١).

إن الإمام علي عليه السلام وكل الأئمة من بعده سواءً في علمهم وحكمهم وقدراتهم، إلا أن الظروف تمر بشكل مختلف في حياة كل إمام مما يضطر الإمام إلى التعامل مع الظروف المستجدة بالشكل الذي يخدم الإسلام ويجدّره في المجتمع الإسلامي، لأن الأئمة هم من شجرة واحدة، وهم المعصومون عن الخطأ والزلل.

أما نحن وبسبب من التقليد الأعمى وبسبب حب الذات وحب الرئاسة والسلط فقد عميّت بصائرنا حتى أصبحنا بعيدين عن طريقهم وهو أئمتنا وشفعائنا عند الله، وهم الذين سرت في نفوسهم روحانية رسول الله عليه السلام فحملوا أريجها العطر، ونسيمها الشافي، وتلقوا التضحيات بنفوس مطمئنة، وتحملوا العناء بقلوب راضية، لا تعرف الشك ولا يساورها القلق.

(١) المناقب للخوارزمي: ٩٢، ينابيع المودة: ١: ٢٤، والنص للأخير.

سورة الفاتحة وصراط أهل البيت عليهم السلام

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِرْضُ الصَّلَاةِ لِتَكُونَ صَلَةً بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ،
وَجَعَلَهَا مَعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ إِلَى اللَّهِ، وَقَسَّمَهَا خَمْسٌ أَوْقَاتٍ فِي الْيَوْمِ حَتَّى يَكُونَ
الْعَبْدُ عَلَى اتِّصَالٍ دَائِمٍ مَعَ رَبِّهِ، فَهِيَ رَحْمَةٌ وَهُدًىٰ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبَادِ.

ثُمَّ فِرْضُ قِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عُمُودُ الدِّينِ، وَأَمَّ الْعَبَادَاتِ، إِذَا
قَبَلَتْ قُبْلَ مَا سَوَاهَا، وَإِذَا رَدَّتْ رَدًّا مَا سَوَاهَا، وَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ يَقُولُ: «لَا صَلَاةٌ
لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(١).

فَلَوْ أَنَّا تَمَعَّنَّا فِي آيَاتِهَا السَّبْعِ لَوْجَدْنَا هَا مَلْجَأً لِلْعَبَادِ، وَنَجَّاً لَهُمْ مِنَ النَّارِ،
وَهِيَ عَدْلُ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْشَّافِيِّ وَالْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ﴾^(٢).

وَيَقُولُ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ صلوات الله عليه لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: «يَا جَابِرُ أَلَا
أَخْبِرُكَ بِخَيْرِ سُورَةٍ نَزَّلَتْ فِي الْقُرْآنِ، فَاتِّحَةُ الْكِتَابِ، فِيهَا شَفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»^(٣).

لَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مُحَمَّدًا صلوات الله عليه وَشَرَفَهُ بِهَا، فَلَمْ يُشَرِّكْ بِهَا مَعَهُ أَحَدًا
مِنْ أَنْبِيَائِهِ إِلَّا سَلِيمَانَ صلوات الله عليه الَّذِي أَعْطَاهُ مِنْهَا «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فِي

(١) صحيح البخاري ٨: ٢١١، صحيح مسلم ٢: ٩، سنن الترمذى ١: ١٥٦.

(٢) الحجر (١٥): ٨٧

(٣) كنز العمال ١: ٥٥٩.

رسالته إلى بلقيس مع الهدى.

يا جابر إنها أفضل سورة أنزلها الله في كتابه الكريم، فيها شفاء من كل داء إلا السام، يا جابر من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء، يا جابر ألا من قرأها منقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرها وباطنها بموالاة محمد وآل محمد أعطاه الله في كل حرف أفضل من الدنيا وما فيها، فهي غنية فلا يجعلوها حسرة^(١).

إن المصلحي يقف بين يدي الله خمس مرات في كل يوم، ثم يحضر قلبه مع قراءتها بخشوع وخضوع للمعبود، وعليه إلا يجعل نفسه أسيرة لهواه، ولا معصوب العين عن الحقيقة فيها، وعن الحقائق في مضمونها، لقد جاءت هذه السورة في نظمها ومعانيها بأعظم توضيح هادفةً تعليم الإنسان ودلاته على الطريق التي توصله إلى الله.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) فإننا نطلب إليه تعالى أن يهدينا إلى الصراط المستقيم حتى نصل إليه رغم أن السبل كثيرة ومتشعبّة، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٣).

ولأجل أن لا نقع في متأهات السبل التي تبعدها عن صراط الله علينا أن نتضرّع إليه تعالى أن يكشف عن بصيرتنا لندرك ونعي ما نقرأ في صلاتنا، ونتدبّر هذه السورة القصيرة التي تبيّن لنا صراط الله المستقيم بقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ والصراط المستقيم هو الإمام علي عليه السلام، حيث

(١) انظر تفسير مجتمع البayan: ٤٩.

(٢) الفاتحة (١): ٦.

(٣) الأدعام (٦): ١٥٣.

يقول عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «أَنَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»^(١)، وفي شواهد التنزيل «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ عَلَيْهِ»^(٢)، ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. بمعنى صراطي يمثله عبادي الذين أنعمت عليهم.

وإننا لا نرى في كتاب الله تعالى نعمة على أحد كنعته على أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَمُ الذين فرض الله مودّتهم، ومحبّتهم على العباد، وطهرهم من الرجس تطهيراً وجعلهم أئمة في الأرض لعباده، فأي نعمة أكبر من هذه النعمة!

فسورة الفاتحة إذن هي عدل القرآن، وهي تمثل أهل البيت.

(١) ينابيع المؤّدة ٣:٢٠٧.

(٢) شواهد التنزيل ١:٧٩.

أهل البيت عليهما عدل القرآن

يقول الرسول الأعظم ﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فتح على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذركم الله في أهل بيتي، أذركم الله في أهل بيتي، أذركم الله في أهل بيتي»^(١).

وفي مصدر آخر: «إني تارك فيكم ما إن تمسّكم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٢).

إذاً عدل القرآن هم أهل البيت عليهما عذر، وهم التقل الثاني في الميزان، لأن القرآن هو النهر المتدق، والغذاء الشافي، والمنار الهادي الذي لا يضل، وهو المحدث الصادق، والجبل المتين للتمسك به، ومن عظيم حكمته تعالى أن جعل عدله أساساً من البشر، فجعلهم من الكتاب كالنور من النور حتى يتم الترابط، فلا يكفي الكتاب بغيرهم، كما لا تتحقق الهدایة التامة بدون القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهم المعصومون الذين لا

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

(٢) سنن الترمذى ٥: ٣٢٩.

يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

فأهل البيت عليهما السلام هم الصراط في الأرض، وهم النعمة الكبرى للناس.

يقول الإمام الصادق ع: «العامل على غير بصيرة كالسائل على غير الطريق، لا تزيد سرعة السير من الطريق إلا بعده»^(٢).

حديث الثقلين ومكانته:

إن الذي رحم الإنسانية بلطفه، وبعث الأنبياء عليهما السلام برقة منه وهدية لا يمكن أن يرجع عن لطفه - حاشاه - بعد وفاة نبيه إلا أن يعيّن بعده من يواصل هذه المسيرة ويحفظ هذا الدين، وهو الذي جعل أمّة محمد أفضل الأمم، وبعث فيهم أفضل الرسل، فكيف يتركها بدون أن يعيّن لها أفضل المربيين وأجرد القادة الملهمين؟!

وقد أمر سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ أن يبيّن وأن يوضح ذلك للناس وقد صرّح النبي ﷺ بأمر الأوّصياء من بعده، وبين هذا الأمر المهم منذ أوّلبعثة في حديث المتنزلة إلى آخر أيام حياته، ومن جملة تلك التصريحات حديث الثقلين حيث قال النبي ﷺ: «إِنِّي تاركٌ فيّكم مَا إِنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضْلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنِ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ حِلْ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَنْتَرِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرُقا حَتَّى يَرْدَأَا عَلَىٰ الْحَوْضِ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»^(٣).

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٠١.

(٣) سنن الترمذى ٥: ٣٢٩.

إنَّ جميع المصادر الإسلامية تشهد بصحة هذا الحديث وتعترف^(١) به، لكن الذين في نفوسهم مرض يعتمدون صيغة أخرى لتساعدهم على التعتميم على مكانة أهل البيت عليه السلام وقد سبّبوا الحديث بلفظ كتاب الله وسنّتي ومع أنَّ هذا الحديث ضعيف سندًا، حيث أنَّه رواه بعض علماء أهل السنة بأسانيد كلُّها ضعيفة، وقد صرَّح السقاف في صحيح شرح العقيدة الطحاوية^(٢) على كونه من الأحاديث المجعلة، إلَّا أنَّ البعض قد تمسَّك به وجعلوه في قبال الحديث المعروف وعترتي، بينما تؤكِّد أكثر من مائتي مصدر من مصادر أهل السنة على أنَّ الحديث كان «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وأنَّ كلَّ مؤمن يخاف الله ويغار على دين الله ليدرك مدى خطورة مثل هذا التشويه والتزيف، وآثاره المدمرة على مجتمع المسلمين، وقد قال أحد كبار علماء المسلمين: «ما رأيت حديثاً حورب حرباً شعوأ مثل حديث الثقلين، إنَّ تطوع المحاربين لهذا الحديث هو طاعة وخضوع لأعداء الحقيقة ولطمسمها وعدم التعامل بها، لأنَّ إظهار الحقيقة من أخطر الأمور بالنسبة لأصحاب الأهواء والمصالح والمتزلفين والمنافقين والمتشددين بما في نفوسهم من إيمان ضعيف وما في قلوبهم من مرض».

(١) صححه الذهبي انظر البداية والنهاية ٣٢٨:٥ والألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٥٥ - ٣٥٦ حديث ١٧٦١.

(٢) صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ١٧٨.

هجر القرآن



هجر القرآن

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيِيرٍ﴾^(٢).

يتأثر الإنسان ويهتزّ ويشعر بالقشعريرة والإعجاب المعجز عند قراءته لهذه الآيات الكريمة، ثمّ يعتريه العجب وتصيبه الحيرة والذهول والأسى عندما يرى القسم الكبير من المسلمين على بعد شاسع من هذا الكتاب العظيم، مع أنّهم يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار ولا يقدروننه حقّ قدره.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

لقد أودع الله في كتابه الكريم من المنافع والخيرات والعظات والعبر ما لا يحيط به الواصفون، ولا يبلغ بعضه العادون الذين يحاولون إدراك أسراره ومعجزاته.

ففيه شفاء للصدور، وبيان يزيل عمى الجهل، وحيرة الشكّ، لا تحصى عجائبها، ولا تبلى غرائبها، وإنّ من جعله إماماً وخلقًا له قاده إلى الجنة، ومن

(١) النساء (٤٠): ١٧٤.

(٢) هود (١١): ١.

(٣) الإسراء (١٧): ٨٢.

رمى به خلف ظهره ساقه إلى النار.

قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

في هذا الكتاب الكريم من الأدلة الواضحة ما يلزم البشرية بالمتابعة لينقذهم من الجهل، والعقائد الفاسدة، والتقاليد الذميمة، وليهديهم إلى ينبوع الحق ﴿فَأَبَيْ أَكْثُرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٢).

إنَّ هذا القرآن الكريم هو حبل الله المتيقن، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي يدفع الأهواء والشبهات عن العلماء الذين يدركون محسن أنواره التي لا يفقهاه إلا ذوقوا البصائر الجليلة، ولا تقطف لطيف ثماره إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفائه تنالها إن شاء الله الأنفس التقة.

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله في مسجد أبيها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائي إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقيمة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع بينة بصائره، منكشفة سرائره منجلية ظواهره مغتبطة به أشياعه قائداً إلى الرضوان إتباعه مؤدٍ إلى النجاة استماعه...»^(٣).

أخي الكريم - رعاك الله وهداك - إنَّ هذا لنداءٌ من القرآن الكريم إلى

(١) الحديد (٥٧): ٩.

(٢) الإسراء (١٧): ٨٩.

(٣) الاحتجاج ١: ١٣٣.

العالم أجمع - على اختلاف المشارب والمذاهب - يلزمهم به ولا سيما في عصر العلم والتحرر، والحدار الحدار من أن يتعلق بك الشيطان فتتمسك بدين الآباء وتشقى شقاءً أبدياً، ثم تكون من الخالدين في النار.

إذاً القرآن الكريم هو القانون الإلهي الذي يعالج كلّ أبعاد القضايا في الحياة، والذي يخلص البشرية من ألغام الدنيا. ومن ظلماتها، وإنّ من قرأه وتدبّره وعمل بمضمونه ينال شرف الدنيا والآخرة، لأنّه الرسالة التي لا يأتيها الباطل، ولا يعتريها التحريف والزيف، وهي رابطة الإنسان بربّه، وهي آخر وأعظم إطروحة سماوية ومنهج ربّاني.

إنّ كلّ من لم يدرس القرآن الكريم دراسة صحيحة على يد علماءٍ عارفين بحقائقه ومضامينه فإنّه سيقع في الكثير من الشبهات التي تغيّر المفاهيم الحقيقة، لتحولّ محلّها مفاهيم مغلوطة تنمو في عقول البسطاء الذين يتعقدون عن جهل خلف كلّ ناعق، ويميلون مع كلّ ريح، منحرفين عن القرآن، ومبعدين بداعاً محرّمةً.

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَاهُ﴾^(١).

ويشكو الرسول ﷺ من بعض قومه فيعيّر الحقّ سبحانه وتعالى من هذه الشكوى بقوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَتَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٢).

أو ليست هذه الشكوى من الرسول ﷺ من الذين يقرؤون

(١) محمد (٤٧): ٢٤.

(٢) الفرقان (٢٥): ٣٠.

القرآن بهدرمة خاوية ويتخذونه للمكاسب المادية بعد أن هجروا معاني القرآن الحقيقة وأهدافه الرسالية، ووجدوه ثقيلاً عليهم، فكان مثلهم مثل من يبرّ والديه بالجلوس إليهم فقط ثم لا يحترمها ولا يعاملهما بـإحسان وـالمعروف فهل هكذا يكون البر للوالدين؟!

مثل هؤلاء الناس إذا كانوا يريدون أن يجعلوا الإسلام مرحلةً تاريخية أو تحفةً أثرية يتواهبون معه بما يحقق مصالحهم فنحن نرفض ذلك، لأننا نريد أن يكون القرآن الكريم هو بداية حياتنا بالأمس، قضية جهادنا اليوم، ونظام وهدف مسيرتنا غداً نريده شعلةً من النور، تضيء الطريق لكل الشعوب المؤمنة.

وإذا كان هدف العلماء القشريين هو تمزيق المسلمين فرقاً وأحزاباً بداعع من قصر نظرهم وعدم فهمهم لمعاني القرآن الكريم، فنحن سنبقى مصرّين على الاعتصام بحبل الله المتيّن، ولن نعمد أبداً إلى سماعهم، والرجوع إلى جاهليتنا لنكون رهباناً في المساجد، بعيدين عن الفكر الحركي البناء، لن نقرأ القرآن بظاهره، مطربين على أنغامه الصوتية، راقصين عليها، متّخذين منها لهواً ولعباً مع الله سبحانه وتعالى، لأننا نرى أن الإسلام الحق هو غير ذلك هو الفهم الشمولي للقرآن الكريم، والعمل به، كما نرى أن الإسلام هو وعي بناء نحتمي بأسواره وحصونه المنيعة من الغزوات الثقافية الكافرة، ومن بعض جوانب الحضارة العصرية المدمرة لكل القيم والأخلاق.

إنّا نريد أن تهاجر نفوسنا إلى الله لنبعده عن إيمان، ولنخشاه عن بُيُّنة، نريد أن نكون كما يريد الله تعالى لنا أن نكون.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ هُمُ الْجَنَّةُ﴾

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْكُمُ الذِّي بَأَيَّاعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْغَوْرُ الْعَظِيمُ *
الثَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهِونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

يجب أن نكون واعين لإسلامنا العظيم حقًّا ووعيًّا، وأن نرتبط بالقرآن الكريم ارتباطاً روحيًّا، فنعمل بأوامره، ولا نكتفي بالتعبد الطقسي القسري الخاوي من الروح، ونمسي في الشوارع مطأطي الرؤوس، مرتدية خرق التذلل لأنَّ الإسلام الحنيف والقرآن الكريم يرفضان هذا ولا يقبلان به.

نأمل أن نكون من المؤمنين الذين يجهدون في حمل الصفاء والنقاء، وأن نعيَّن عقولنا ونفوتنا بالروح الثورية والفكر الحركي، لنكون دائماً جنوداً تحت الطلب، متأهبين متى ما دعتنا الحاجة للدفاع عن بيضة الإسلام، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٢)

من قوة الإيمان والعقيدة والفكر والاقتصاد وكلّ ما من شأنه أن يساهم في بناء الوحدة الإسلامية.

كيف نطمئن إلى أعمالنا:

كلّ إنسان لا يستطيع الانتفاع مع شيء إلاّ بعد الإحاطة به ومعرفته، ولا يمكن معرفة وفهم الحياة إلاّ بمعرفة الموت وفهمه، إذ أنَّ هذه المعرفة تحدد للإنسان موقفه المناسب من الحياة، إنَّ الذي يعرف لذَّة الماء يشعر بألم

(١) التوبه (٩): ١١١ - ١١٢.

(٢) الأنفال (٨): ٦٠.

العطش، كذلك الذي لا يفهم أن الحياة فانية لن يفهم ولن يعرف الموت، وهل يطيب الطعام والشراب إلاّ بعد الشعور بالجوع والعطش.

إنَّ الكثيَرَ مِنَ النَّاسِ يَتَمَنُّ لَوْ تَسْلَقُوا سَلْمَ الْمَجْدِ لِيَصِبُّوهَا مِنَ الْعَظَمَاءِ، يَخْلُدُهُمُ التَّارِيخُ، وَالكَثِيرُ مِنْهُمْ خَابَتْ آمَالُهُمْ، وَالكَثِيرُ أَيْضًا حَاوَلَ التَّغْيِيرَ فِي وَاقِعِهِ السَّيِّئِ مِنَ الْحَكَايَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ فَشَلُوا، فَمَا الَّذِي يَا تَرَى مِنْ أُولَئِكَ الرَّاغِبِينَ مِنَ الْأَرْتِقَاءِ وَالْوُصُولِ إِلَى عَلَوَّ الْهَمَّةِ وَرَاحَةِ الْضَّمِيرِ؟ بِلا شَكَّ أَنَّ هُنَاكَ عَوَالِمَ لِلنَّجَاحِ، وَأَسْبَابًا لِلْفَشْلِ، وَإِنَّ الإِرَادَةَ عِنْدِ الإِنْسَانِ هِيَ الْمَسْؤُلَ الْأَوَّلَ عَنْ تَغْيِيرِ وَاقِعِهِ。 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(١)。

وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَنْسَاقُ مَعَ أَهْوَاءِ نَفْسِهِ وَيَكُونُ أَمَامَهَا ضَعِيفًا تَنْغُلُقُ فِي وَجْهِهِ أَبْوَابُ الْخَيْرِ وَطُرُقُ الْفَلَاحِ.

تَتَلَبَّسُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ بِثَلَاثَ حَالَاتٍ ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَاللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى قَدْ جَعَلَ الْإِنْسَانَ قَادِرًا عَلَى مَحَاسِبَةِ نَفْسِهِ لِيَتَبَيَّنَ طَرِيقُهُ إِلَى الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ، مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ طَبِيبٍ يَفْحَصُ مَرِيضًا لِيَشَخُّصَ الدَّاءُ، وَلِيَصُفِّ لَهُ الدَّوَاءَ، وَتَتَمَّ الْمَحَاسِبَةُ دَاخِلِيًّا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ سَبَّحَهُ هُوَ الشَّهِيدُ الْعَلِيمُ.

(١) الأُمَّارَةُ بِالسُّوءِ: وَهِيَ النَّفْسُ الَّتِي غَرَقَ صَاحِبُهَا فِي أَصْالِيلِ الْهُوَى، وَفِي أَبْاطِيلِ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، وَظَلَامِ الْقَلْبِ، هِيَ النَّفْسُ الَّتِي لَا يَفْرَقُ صَاحِبُهَا بَيْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ، وَبَيْنَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَدَوِّمًا عَلَى سُلُوكِ الْفَسَادِ وَالْفَضَيْأِ.

(١) الرعد (١٣): ١١.

٢) النفس اللّوامة: وهي حالة وسط يتهادى صاحبها ما بين العبادة من جهة وما بين رضي غرائزه من جهة أخرى، وهو إنسان ضعيف الإرادة متخاذل ومتسوف ولا يملك إلا أن يقول غداً سوف أعمل كذا وبعد غد سوف أقوم بكذا، وهي - أي اللوامة - محكمة داخلية جعلها الله مانعاً للإنسان من إتيان القبيح، فهي تلومه وتؤلمه وتدق على باب قلبه وضميره لتبيّن له أخطاءه وآثامه، ولكن الإنسان يستجيب إلى داعي الهوى لهلاك نفسه في الوقت الذي تؤنبه النفس اللوامة وترتقي به إلى الشعور بعظمّة العفة والخير والصلاح، وهذه النفس في ذات الإنسان تعامل مع الضمير الوجданى الذي فطر الله الإنسان عليه، مذكرة إياه بمحكمة يوم الدينونة، أو ليس الذي خلق هذه النفس اللوامة في الإنسان هو الذي سينصب له محكمة يوم القيمة؟!

يقول تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾^(١).

٣- النفس المطمئنة: وهي التي تسير على صراط العبودية، وتسكن إلى ربّها وترضى بما رضي بها، والآن النفس المطمئنة غارقة في الأعمال الجليلة والوصل الروحي غير فرحة بما أتاها وغير آسفة على ما فاتها فهي لا تخشى سوء الخاتمة ولا تخاف الموت، تلك هي النفس المطمئنة.

خرج بعض المؤمنين من بيته حزيناً لشدة الجوع في سنة من سنّي القحط والناس يتضورون مثله والحزن قد أضرّ بهم فلقي في طريقه غلاماً يعبث ويلعب ويضحك سروراً فسألها: ما يسرّك يا غلام وغيرك في وضع مؤلم والناس جياع؟ قال الصبي: إنّ خزينة مولاي ملأى بالطحين فأنا لستُ حزيناً قال الرجل: فخجلت

.(١) القيمة (٧٥): ١ - ٢

من نفسي أَنْ غلاماً مطمئناً إلى خزائن مولى من البشر وأنا لم أطمئنُ إلى مولاي الذي بيده خزائن السماوات والأرض وهي ملأى بنعم لا تحصى.

والنفس المطمئنة تملؤها السكينة والإيمان وروح المحبة والشوق للقاء الله سبحانه وتعالى. وهي التي يأتيها نداء الرحمن ساعة الاحتضار عندما يكشف الله عن بصيرة صاحبها فيري موقعه من الجنة ورفقائه المخلصين وهم فيها منعمون.

والقرآن الكريم حين ينادي النفس المطمئنة قائلًا: ﴿أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ﴾^(١)، فهو يعني مقرّ الراحة عند ربّ ذي الجلال والإكرام ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾^(٢)، أي أدخلني إلى لقاء من تحبّين ومعه تؤنسين فكلّهم أنس وراحة وطمأنينة وغبطهُ أبدية، وكلّهم أقمار متلالة قد أحاطها الباري بنوره.

الله سبحانه وتعالى يُهِيئ للمؤمن من يستقبله بما يليق به، ويجمعه مع من يرتاح إليه ولنضرب مثلاً على ذلك في زيارة رئيس أو ملك إلى إحدى المدن فيستقبلونه بالترحاب والاحترام.

إنّ الموت بالنسبة للمؤمن هو شميم الورد، وهو الماء القرابح البارد، لأنّ ملك الموت يحمل إليه خطاباً مؤنساً من عند ربّه إذ يقول له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ﴾^(٣)، أرجعي إلى ربّك راضيةً مرضيّةً، وتتراءى له رحاب الجنة الخضراء، وحورها العين، وقصورها التي لا يدركها الوصف، مع أهل البيت عليهما السلام.

(١) الفجر (٨٩): ٢٨.

(٢) الفجر (٨٩): ٢٩.

(٣) الفجر (٨٩): ٢٧ - ٢٨.

إِنَّ الْأَرْوَاحَ الْعَالِيَّةَ لَا يَتَصلُّ بِهَا إِلَّا صَاحِبُ النُّفُسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا جَمَالُ الشَّمْسِ وَنُورُ الْقَمَرِ، وَفِي الْآخِرَةِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا نُورٌ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ وَمُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ نُورِ دُنْيَاكَ لَا خَرْتَكَ.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشِّرَ أَكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَهَمَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوهُنَّا نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾^(١).

إذن كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى السكينة والطمأنينة وأن يتذوق حلاوة المعرفة والإيمان وهو لم يعرف أي طريق يسلكه في الإسلام الذي قد تعددت فيه السبل، ولم يعرف أي إمام يتبع وعلى أي جهة يتبع؟!

إِنَّ الاطمئنانَ لَا يَتَأْتِي وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ التَّقِيَّةِ بِأَوْامِرِ الْقُرْآنِ وَالسِّيرَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الْقُرْآنِ، بَعِيدًاً عَنْ سِيَطَرَةِ الْهُوَى أَوِ التَّعَصُّبِ أَوِ قَانُونِ الْعَاطِفَةِ، لَكِي لَا تَتَقَاسِمَهُ وَتَتَنَازَعَهُ وَتَضَلَّلَ الْأَهَوَاءُ الْمُبَهَّمَةُ، وَالْأَقْوَالُ الْمُصْطَنَعَةُ الْمَزِّيْفَةُ.

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَاضْعَفَ كُلَّ الْوَضْوَحِ وَمَفْهُومَ كَلَامِهِ، وَقَدْ بَيْنَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ سُبُّ الْهُدَايَا وَالْقَدُوْسَةِ الْصَّالِحةَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْخِيرَةِ الْمُخْتَارَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَهَلْ يَجُوزُ وَهَلْ يَصْحُّ أَوْ يَعْقُلُ أَنْ نَتَبَعَ غَيْرَ الَّذِينَ اخْتَارُهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَيْدِيهِمْ فِي قُرْآنِهِ الْكَرِيمِ؟! وَكَيْفَ نَطْمَئِنُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ وَمِنْ عَذَابِ يَوْمِ شَدِيدٍ إِذَا خَالَفْنَا الْقُرْآنَ وَاتَّبَعْنَا الْهُوَى؟

(١) الحديـد (٥٧): ١٢ - ١٣.

ابحث عن الحق تجد أهله



ابحث عن الحق تجد أهله

لقد انبثق علينا الإسلام الحنيف من عمق الحياة بخطوط القدرة الخالقة من لدن حكيم عظيم، وهو المدرسة الجامعية التي نتمسّك بها نجاةً وعلاجاً لكل جوانب الحياة ولكل حاجيات الإنسان الدنيوية والأخروية، الجسمية منها والروحية، الإسلام يرسم لنا بكل وضوح الأصول العقائدية الخمسة التي هي أساس مذهب أهل البيت عليهما السلام وهي: العدل والتوحيد والنبوة والإمامية والمعاد.

الإسلام لا يرى التقليد والتعبد كافياً في ممارسة الأصول العقائدية التي ذكرناها، بل إنه يوجب على كل فرد البحث عن صحة هذه العقائد وبصورة مستقلة بعيدة عن العاطفة والتقليل الأعمى، ذلك لأن الإسلام لا يحصر العبادة بالعبادة البدنية كالصلوة والصوم أو العبادة المالية كالخمس والزكاة لأن هناك ما هو أعظم من هذا وهي العبادة الفكرية التي تحت الإنسان وتطلب إليه التأمل والتفكير في آلاء الله سبحانه وتعالى، كما تحثنا على وجوب الاستنتاج الفكري بحثاً عن الحقيقة ووصولاً إليها، ذلك لأن الأصول كلها محورها التعقل كالعدل والتوحيد والمعاد وبالتبغية النبوة والإمامية، إن كتاب الله يحثنا على أن نفكّر مخلصين في آلاء الله سبحانه كي نعرف العدل والتوحيد و...

قال تعالى: ﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

٦٩: (٧) الأعراف (١).

لكن الراسخ في المجتمع وفي ترسّبات الأجيال الحفاظ والدفاع عن العقائد المتوارثة، ذلك لأنّ العادة والتلقائية تؤثّر حتّى على ذوي الشهادات العالية وتجعلهم لا يسيرون إلّا على طريق الإتباع والتقليل المتوارث الأعمى، برغم أنّ القرآن الكريم نبهنا وحذّرنا أن لا نقبل معتقدات ومفاهيم قدّيمة قبل عرضها على العقل وعلى قواعد القرآن الكريم، وقبل أن نتأمّل فيها بعمق وبتفكير منفتح.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ آبَاءِنَا أَوَلَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١).

يقول كتاب الله العظيم إن التقليل الأعمى يوجب الشقاء الأبدي وبشكل خاص لأهل العلم.

وقال: ﴿وَقَالُوا رَبِّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾^(٢).

إنّه من واجب الإنسان الوعي أن يجعل الفكر والبصر والتأمّل رائداً له في سلوك الطريق التي توصل إلى الحقّ سبحانه وتعالى، آخذنا بالعقائد الصحيحة، وتاركاً النزعات القبلية والعنصرية والقومية التي لا تولد عنده إلّا القلق الدائم والخوف المستمر وعدم الاستقرار النفسي.

العلم والإيمان يكمل أحدهما الآخر بحيث لا يمكن الفصل بينهما، ولو فصلنا لتبيننا في أضرار جسمية توقعنا بالخرافات والجمود الفكري والدوران في المكان حول النفس.

(١) البقرة (٢): ١٧٠.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٦٧.

يا إخوتي في مثل هذه الحال العقيمة المرّة التي نعيشها وسط مذاهب متعدّدة وطرق إسلامية شتّى لم لا نحاول البحث عن المذهب الحقيقى كي نتمسّك به؟

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء عرف موقع الخطأ»^(١).

وعلى هذا فمن واجب المسلم أن يدرس وأن يتأنّى المذاهب المطروحة في الساحة الإسلامية ، وأن يعتمد على عقله وتفكيره، وعلى عوامل الاستدلال والاطمئنان المتوافرة لديه، وعند الاختلاف فإنَّ الحقَّ بين واضح لا يتعدّد ولا يأخذ مظهراً وصورةً واشكالاً شتّى ، خلافاً لما يرى ويقول المصوّبة المغرضون.

يبدو أنَّ هناك إشكالاً عميقاً يكمن في مناهج الدراسة في الجامعات والمعاهد الدينية، حيث تقتصر كلَّ مؤسسة على تدرّيس اتجاه معين ونمط واحد من العقائد والفقه والعلوم الدينية، متتجاهلةً سائر الاتجاهات والمذاهب الأخرى، وإنَّ الأنكى والأخطر من ذلك هو تبعية الطالب فكريًاً ونفسياً ضدَّ كلَّ ما يخالف مذهب تلك المؤسسة ومنهجها، فيتخرج طلاب هذه العلوم بفكر منغلق وعقلية ضيقَة محدودة جاهلين الرأي الآخر ومنحازين بتعصّب أعمى ضدَّ كلَّ ما لا يوافق فكرهم.

إنَّ احترام العالم يقاس بمدى احترامه للحقيقة، لأنَّها ضالتَه أينما وجدت، وفي كتب الشيعة الإمامية اجتهادات قد لا يعرفها حتّى الخواص من علماء السنّة، ولو أنَّهم اطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة الإمامية، ولا حترموا علماء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨: ٤٠٤.

ال المسلمين ومذاهبهم، ولقوية البواعث على تمهيد السبيل ووحدة الفكر والعقيدة بين الإخوة المؤمنين من حيث يريدون أو لا يريدون.

الحوار يولد التقارب:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَهُوَ الْخَالِقُ الْسَّيِّدُ الْعَظِيمُ – لَا يَأْنَفُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ عَبَادِهِ الْمُضْعَفِاءِ فِي حَوَارٍ، وَأَنْ يَجِيبَ عَلَى تَسْأُلَاتِهِمْ، وَأَنْ يَشَارِكَهُمْ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى حَلٍّ إِشْكَالِهِمْ، فَهَلْ يَحْقِّقُ لَأَحَدٍ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَتَرَفَّعَ عَنِ النَّاقَشِ وَالْحَوَارِ مَعَ إِخْوَانِهِ فِي الْعِقِيدَةِ؟

عندما يقول الكفار والمشركون ويقولون في نبوة الرسول ﷺ ويتهمنوه بالكهانة والجنون مدعيين أن القرآن لون من ألوان الشعر الذي نسجه محمد، ثم نسبه إلى الله يرد عليهم القرآن الكريم مستعرضاً ومناقشاً، ويدخل معهم في حواراً مثيراً للوجدان الفطري لتكون محكمة الإنسان الوجданية الداخلية هي الحكم، وليبرز الضمير ليميز بين الصحيح والكذب حيث يقول سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مُّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ * أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ جَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

الله سبحانه وتعالى جعل الاختلاف سبباً إلى التمحيق والاختبار لمن

(١) الطور (٥٢): ٣٣ - ٣٥.

(٢) هود (١١): ١١٨ - ١١٩.

يريد أن يتمسّك بالحقيقة، وإنَّ الصورة المثالية التي تتمنّاها لوحدة المسلمين يستحيل تحقيقها إلَّا بوجود قيادة معصومة تخضع لها الأُمّة وتنفّذ أوامرها، لأنَّها تمثل قيادة الرسول الأعظم ﷺ وما جاء به، ولكنَّ أين هي هذه القيادة، إنَّ القرآن الكريم لم يترك أمراً أو قضية تتعلّق بحياة الأُمّة إلَّا ورسمها وأوضحتها لنا، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى القيادة المعصومة التي هي عدل القرآن، تلك التي خصَّها ربُّها بفضائل عديدة لم يخصَّ بها غيرهم من العباد. وسنبيِّن للأخ القارئ عصمة هذه القيادة مفصلاً في المواضيع التالية إن شاء الله تعالى.

لماذا نكره كلمة شيعة؟

كان لزاماً على كلّ مطالع وكلّ عارف للحقيقة أن يكتب للناس ما يراه صالحأ لهدايتهم، وبياناً لغفلتهم، وأن يحاول جمع كلماتهم على طريق الوحدة وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

من واجب العالم الفقيه أن يكتب للناس، وأن يوضح لهم الحقائق، وبالتالي أن يأخذ بيدهم في طريق الهداية، وإننا لو رجعنا إلى تاريخ الأمة الإسلامية، وبحثنا عن الحقائق التي ولدت عند الأجيال تلو الأجيال عاطفة الكره للشيعة، لوجدنا ما يخجل العاجل قبل العالم، ذلك لأنّ هذا الكره تولد عن عادة متّعة وليس عن استناد إلى الدين أو عن خوف على الدين.

إنّ كلمة شيعة ومشايعة تعني المتابعة كما يقال: شيعوا جنازة فلان ؛ أي تبعوها إلى المدفن، وهناك قول مأثور.

(إنّه من الأدب أن يشيع المرء ضيفه إلى خارج البيت ولو لخطوات) فلاي سبب تتعامى البصائر عمّا جاء في كتاب الله حول هذه الكلمة.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾^(١) ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(٢).

(١) الصافات (١٧): ٨٣

(٢) القصص (٢٨): ١٥

نحن نطرح للقارئ الكريم والمؤمن المنصف وللمسلم الباحث هذه المقارنة البسيطة ليحكم على ضوء الحقيقة التي شوّهها المغرضون أو المتعصّبون أو الجاهلون، ولكن جميّعاً على بصيرة أنّ هذه التسمية لا تغيّر شيئاً من حقيقة الإسلام، لأنّ الأصل هو العمل والتطبيق.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١).

أخي الكريم، أطرح عليك هنا أموراً آمل أن تأخذ بيديك إلى التفكير وإعمال العقل عسى أن تكون الهدایة هي الأمل والهدف.

إنّ سنة الرسول ﷺ هي قوله وفعله وتقريره، فمن أخذ بقول الرسول ﷺ الصحيح وعمل به فهو سني صحيح على سنة الرسول الكريم ﷺ، ومن تقول بها من غير تطبيق وجعلها وقاية وذريعة لأعماله بعيدة عن الإسلام والسنة فإنما هو الكاذب، والله سبحانه يقول في كتابه العزيز: ﴿ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِرِينَ ﴾^(٢).

إنّ مسلمي الشيعة في جميع أركان الأرض وأقطار الدنيا وأمصالها هم الفئة التي لا تترك الصلاة ولا تفرط بالصيام ولا تسكت عن زكاة أو خمس، سواءً في ذلك الصغار والكبار والنساء والرجال، لقد تربّت وتأدبـت هذه الطائفة تحت منبر الحسين بن علي علیه السلام وعلى يد علماء عالمين بحقيقة الدين، وهي الطائفة التي تطبق سنة الرسول الكريم ﷺ قوله عملاً، فلو جئت إلى أحد المزارات لأحد الأنّمة من أهل البيت علیهم السلام ونظرت إلى المؤمنين فيها فلن تجدـهم إلّا قارئـين للقرآن ومقـيمـين للصلـاة بين يدي الله وداعـين متـضرـعين.

(١) التوبة (٩): ١٠٥.

(٢) آل عمران (٣): ٦١.

إنَّ التظاهر والتصنُّع والمظاهر الخادعة البرّاقة وادعاء الإسلام كذبًا أمور غير معروفة وغير موجودة عند رجال الشيعة ونسائهم، لأنَّهم مرتبطون بعلمائهم، يستقون منهم تعاليم الدين، متمسِّكين بأوامر الله ورسوله، أما شبابهم المتمسِّك بدينه فتشهد لهم الدنيا بأسرها بصدقهم وإيمانهم وسيرهم على خط أهل البيت عليهما السلام في الدفاع عن بيضة الإسلام والتفاني في سبيل الله، أولئك هم رجال وشباب ونسوة الشيعة، فلم بالله تصمونهم بالانحراف والبعد عن الإسلام، وإنَّ الحقيقة لا تخفي على كل ذي بصيرة وضمير.

إنَّك لو بحثت في جميع معتقداتهم لما وجدت أبدًا اختلافاً يعتدُ به فيما بينهم، لا في العقيدة ولا في الحديث، وذلك رغم كثرة سوادهم في أنحاء الكورة الأرضية ناهيك عن أنَّهم يتميّزون عن غيرهم بموالاتهم لأهل البيت عليهما والأخذ عنهم في جميع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ولا يوجد بينهم من يخالف أخاه المؤمن بغير حقٍّ لا بقول ولا بعمل، وذلك لأنَّهم أخذوا الحقَّ عن أئمَّتهم الثاني عشر ذريَّة الرسول ﷺ والذين إذا قال أحدهم حديثاً يؤكّده بالقول: حدَّثني أبي عن جدي، وحدَّثني جدي عن رسول الله، وحديث رسول الله عن جبريل، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(١).

ثمَّ سلك الشيعة طريقهم آخذين فتاواهم من المراجع العظام الذين هم وكلاء الأئمَّة عليهما السلام محافظين على هذا الدين إلى يومنا هذا.

وإنَّ تقليلهم لمرجع واحد من أقصى الدنيا إلى أقصاها هو دليل الوحدة المتماسكة فيما بينهم، وعدم وجود اختلاف في عقيدتهم وفي المحافظة على

(١) النجم (٥٣): ٣ - ٤.

القرآن والسنة.

وقد تمسّكوا بهذا الولاء وآمنوا بالقرآن والسنّة والرسول ﷺ، وهم باقون على هذا الخط الرسالي مهما كثر أعداؤهم وحاربتهم الإشاعات والدعایة المغرضة والبذ بالألقاب. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَلَاخْذَنُوكُمْ هُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسُوكُمْ ذُكْرِي وَكُنُتمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزِيلُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَتَهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١).

(١) المؤمنون (٢٣): ١٠٩ - ١١١.

نبذ الفرقـة والخلاف

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِاءِ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّذِي قُلْوَيْكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَاجًا﴾^(٣).

نحن اليوم في عصر العلم، عصر غلبة الذكاء والقطنة، نحن اليوم في زمنٍ تقشعّت عن أبصار أهله غياب القسوة، وأشرقت شموس الفضل من وجوه أهل الفضل لإزالة الجفوة والوجوة، ولم يبق إلا أن نشرع أقلامنا لنزيل الفرقـة، ولنجمع الكلمة، ولنوالف ما بين الأفتـدة، ولترفع منارة الوحدـة، ولنبين الخطـر القاتـل الذي يزرـعه فيما بينـا أهل التـابـذ والتـاخـاصـم والتـعـصـب والتـرقـة، يجب أن ننـقض غـبار التـخلـف المـتـراـكم، وغـبار الانـحطـاط، لأنـ دينـاـ الكـريم لا يـقوم إلا على دـعـامـتين: كـلمـة التـوحـيد، وتوـحـيدـ الـكلـمة.

(١) الحجرات (٤٩): ١٠.

(٢) التوبـة (٩): ٧١.

(٣) آل عمران (٣): ١٠٣.

يقول الرسول الكريم ﷺ «ذمّة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخْفَر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً»^(١).

وقال الإمام الصادق ع: «المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه»^(٢).

إن أمر المسلمين ليس كما يزعمه إخوان العصبية، وأبناء وحلفاء الحمية الجاهلية، الذين يمزّقون العقيدة الصحيحة، ويضرّمون نار الفتنة بين المسلمين، أحفاد آكلة الأكباد ويزيد بن معاوية شارب الخمر، منذ أن كان صبياً وحتى موته.

نحن اليوم في عصر النور، عصر التأمل في حقائق الأمور، عصر الإعراض عن كلّ تعصّب ذميم، فلنأخذ بكتاب الله العظيم، وبسنة نبيه الكريم، وكيف بالله يمكن أن تكون إخواناً بالدين، أشداء على الأعداء، متعاونين متواطئين، إذا كان فينا من يرمي إخوانه الشيعة بالكفر والبعد عن الدين، ومن يفتّي بأن لا تزوجوه! ولا تعاملوه! لأنّهم مارقون!! ليتنا نعرف على أيّ قاعدة فقهية أو منطقية استند هذا العالم والآن نورد بعض المصادر من الصاحح لتزييل الشك ولنتمسّك باليقين.

١) أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أسامة بن زيد قال:

بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصيّبنا القوم فهزّناهم ولحقّت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشّيَناه قال: لا إله إلا الله، فكفّ

(١) صحيح البخاري ٨: ١٤٤.

(٢) الكافي ٢: ١٦٦.

الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته ؛ فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسماء أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله»؟ قلت: كان متعوذًا، فما زال يكررها حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١).

وفي الصحيحين، عن المقداد بن عمرو أنه قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يديه بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: لله، أسلمت أقتله يا رسول الله بعد أن قالها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلها» فقال: يا رسول الله، إنه قطع إحدى يديه، ثم قال ذلك بعدما قطعها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلها فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتلها، وإنك بمنزلك قبل أن يقول كلمته التي قال»^(٢).

وأخرج البخاري عن أنس قال:

قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، حرمتم علينا دمائهم وأموالهم»^(٣).

فياليت شعري أي عذر لمن اعتمد على غير الحق ورجع إلى غير أحكام الدين وخالفها وبندها خلف ظهره، بل إنهم مرجفون والأمر على خلاف ما يظلون.

أوردنا كل هذا ليعلم حكمها الفريقيان، السنة والشيعة، وغرضنا من ذلك

(١) صحيح البخاري ٥: ٨٨

(٢) المصدر السابق ٥: ١٩.

(٣) المصدر السابق ١: ١٠٢.

بعث المسلمين إلى الاجتماع والى نبذ الخلاف والفرقة، لأن العاقل إذا قرأ أو سمع نصوص الصاحح وفتاوي العلماء وهي تحكم بإسلام من نطق بالشهادتين، فلن يحق له بعد هذا أن يدعو إلى الخلاف والفرقة، ولو رجعوا إلى ما أفتى به الفقهاء المنصفون من علمائهم، لأيقنوا أن الأمر على خلاف ما يزعمون.

رواية علماء السنة: روى الشيخ الأكبر (محي الدين بن عربي) في باب الوصايا من فتوحاته المكية: إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لها من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله وإن أخطأوا بقرب الأرض خطايا، لا يشركون بالله لقيهم الله بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته و...».

فإذا عمد بعض علماء السنة إلى تكفير الشيعة لا تبعاً لهم منهج وخط أهل البيت عليهما السلام، فلماذا يحكمون بإيمان يزيد بن معاوية الذي تعجز الكتب عن أن تحوي سيرته من القبائح في شبابه وما هو أعظم منها بعد أن تسلّم من أبيه معاوية دفة الحكم؟! والذي سموه خليفة المسلمين راضين عنه وعن كلامه وقدرته وخموره وقصوره ومجونه، أما المحابر فقد تجف قبل أن تستطيع إحصاء عظيم أمره في اللعب مع الغواني وخبثه في كل المعاني.

إن فترة حكمه التي امتدت ثلاث سنين هي أشد السنين على المسلمين، وأكثرها ظلماً وجوراً، فهو قاتل سبط الرسول الكريم الحسين بن علي بن فاطمة الزهراء عليهما السلام وهو الذي استباح المدينة المنورة، وهتك الأعراض بقيادة النصراني مسرف بن عقبة الذي سموه مسلماً، وحملت ألف عذراء مسلمة بالزناء، لأنه أباح أعراض المسلمين، ثم أمر بضرب الكعبة الشريفة وتهديمه بالمنجنيق، هذا الخليفة الذي لا يؤمن على نمير ولا يولي أمر قطمير، رفعوه

إلى أوج الخلافة، وملّكته رقاب المسلمين، وسلطوه على أحكام الدنيا والدين، تنفيذاً لأمر أبيه معاوية بن أبي سفيان، قبل وفاته لكنَّ بعض المحدثين والمدعين صنفوه ولائِاً من الأولياء، وقدّموا له أعذار تبرّر أفعاله المجرمة، وأعماله المشينة، ومن هؤلاء ابن تيمية في رسالته السابعة، والغزالى في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان.

ناسين أو متناسين ما نسبوه إلى الرسول الكريم ﷺ أنه قال: «ما من والٌ يلي رعيَّة من المسلمين، فيماوت وهو غاشٌ لهم، إلَّا حرَم الله عليه الجنة»^(١).

أيها القارئ الكريم، من خلال ما بيَّناه ترى أنت وتحكم بنفسك كيف هم يحكمون على من التزم بكتاب الله وخطَّ أهل البيت ع بالكفر، ويحكمون على يزيد الفاسق بالإيمان وأنه خليفة للمسلمين، وأنَّ اتباعهم حقٌّ، إننا نسأل جميع المتصفين ذوي الإيمان والضمير من أهل التوحيد هذا السؤال:

هل يليق أن نتهم الشيعة بأنَّهم كفراً خارجون عن الإسلام؟!

إننا لا نعرف بأيِّ ذنب، هل هو بحجَّة العلم والدين والإيمان والتسيُّع والتعبد والعلم والمعارف والمدارس التي عمّرواها، أم بالأوطان والمضاجع التي هجروها رغبةً في العلم وفي الدعوة إلى الله، أم لأنَّهم قصروا أعمارهم على التعبد وعلى الفكر الذي يخدم العلم، أم بالأموال التي بذلوها في سبيل ذلك، أم بالقواعد والأسس التي أحکموا أصولها وأبرموها، أم بالأحكام التي أقاموا عليها الدليل، أم بالغاية التي أوضحاوها إليها السبيل أم أنه من أجل المسح على القدمين والجمع بين الظهرتين والعشاءرين، بينما كلَّ الأدلة عندهم معترف

(١) صحيح البخاري ١٠٧: ٨.

بها وغير مشكوك فيها.

إِنَّهُمْ يَكْفِرُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَزْوِيرِ الْأَقَاوِيلِ عَلَيْهِمْ، وَيَدْعَوْنَ إِنَّنَا لَا نَبْرِئُ
عائشةَ مِنِ الْإِلْكَ - والعياذ بالله - كَمَا نَقُولُ مَمَّا لَا يَلِيقُ بِشَأْنِهَا، وَنَوْرُدُ هَنَا مَا
جَاءَ عَنِ الْإِمَامِيَّةِ بِتَطْهِيرِ أَعْرَاضِ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا مِنِ الدُّنْسِ وَالْفَجُورِ، وَأَنَّ
قَوْاعِدُ الشِّيَعَةِ تَمْنَعُ ذَلِكَ عَقْلًا وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَطْهَرُ ثُوبًا وَأَغْلَى عَرْضًا وَأَعْزَّ
خَدْرًا مِنْ أَنْ يَجُوزَ عَلَيْهِنَّ غَيْرَ النِّزَاهَةِ، وَفِي حَقْهُنَّ إِلَّا الْعَفَافُ.

نعم، قالوا وقالت جميع السير من المسلمين: إن عائشة خرجت من بيتها
بعد قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَ﴾^(١)، وركبت الجمل بعد تحذير
الرسول ﷺ لهنّ، كذلك قالت الشيعة وقال جميع المسلمين إن القرآن
الكريم عاتب نساء النبي ﷺ بمخالفة بعضهنّ له، هذا ما يقولون ويقولون،
فِلِمَ إِذَا عَلَيْنَا كُلُّ هَذَا الْبَهْتَانِ الْعَظِيمِ.

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

نظريّة عدالّة الصحابة



نظريّة عدالة الصحابة

من المسلم به أن كل قضيّة لا يرعاها ويتعرّض لها أهلها الحقيقيون المؤمنون بأنّها قضيّة عدلٌ وحقٌّ فليس لها نصيب في النجاح، وستكون نهايتها هي التراجع والفشلُ والاصحاح، وأنّ ما حدث للإسلام والمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ هي بذرةٌ مرّة يتذوقُ اليوم المسلمون ثمارها المرّة.

ذلك لأنّ الذين زرعوها دخلوا في الإسلام متأخّرين، ولم يتعقّل الإيمان في قلوبهم، وأنّهم ادعوا الإسلام لا إيماناً بالله والرسول ﷺ، ولكن خوفاً على مصالحهم، كما وإنّ تربّيات الأجيال السابقة من التعتّن والتمسّك بالجهل وعبادة الأصنام جعلت النجاح صعباً حتّى على الأنبياء، حتّى بعث الله تعالى الرسول المصطفى ﷺ فقال: «ما أؤذى نبيّ بمثل ما أؤذيت»^(١).

ووصمّه ضعيفوا الإيمان والمشرّكون بالكذاب والساخر والمجنون والشاعر، وكان له حتّى من قرابته القريبة أعداء ألدّاء، لكن عناية الله سبحانه أحاطت به وحمته من كيدهم، لكي تستمرّ هذه الرسالة عبر القرون والأجيال، ولكي تكون الميزان الذي يُعرف به المسلم من الكافر، والمؤمن من الداعي المنافق حتّى قيام الساعة.

بقي رسولنا العظيم ﷺ ثلاثة وعشرين عاماً جاهداً في نشر الدعوة

(١) وفيات الأعيان ٥: ١٨٦.

والآيات تنزل عليه من السماء ليبلغها للناس ويعلّمهم التشريع والأحكام، وكانت المعجزات تظهر بين الحين والآخر على يديه الكريمتين، ومع كلّ هذا فلم يؤمّن إلّا القليل ممّن تمسّكوا بالقرآن ونهج الرسول ﷺ وهؤلاء هم الذين شكلّ منهم نواة جيشه الأوّل القليل العدد والعدّة، والقوى بالإيمان والعقيدة، والذي انطلق من المدينة المنوّرة ليهزّ بقوّة الإيمان عروش كسرى والروم وجميع الطغاة والظالمين، عندها بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ولكن لم يدخل جميعهم بداع الإيمان، بل دخل قوم بداع الخوف على مصالحهم، والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية، وكانوا يباغتون الرسول الكريم ﷺ وقلوبهم تقطر حقداً وكراهية وبغضّاء.

لكنّ الله سبحانه وتعالى كشف أمرهم لرسوله ﷺ وللناس من خلال موافقهم المتخاذلة الضعيفة المتردّدة التي لا تشبه سلوكية المؤمن الحقّ بأيّ شكل من الأشكال، وأنزل الله سبحانه بحقّهم آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَأْخُذُنَّ عَلَمَهُمْ﴾^(١)، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةُ الْكُفُرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾^(٢).

لقد هم أدعياء الإيمان هؤلاء لقتل الرسول ﷺ مرات ومرات، ومن قرأ السير سيجد سيرة أولئك المنافقين الذين يسمّيهم بعض المؤرّخين: أصحاب عدول: وكيف يكونون عدولًا وفيهم المنافق والمرائي وعدوّ الرسول وضعيف الإيمان، وإذا كان القرآن الكريم قد وصفهم بما يستحقون فكيف يمكن وكيف نستطيع أن نخالف القرآن الكريم وأن نقول في كتاب الله ما

(١) التوبة (٩): ١٠١.

(٢) التوبة (٩): ٧٤.

ليس فيه وأن نصف مثل هؤلاء بأنهم عدول وبأنهم كلّهم من أهل الجنّة.

لقد كشف الله أمرهم في غزوة أحد عندما هاجم جيش المشركين جيش رسول الله في المدينة وبهدف القضاء على الدعوة وأهلهما، وشاور الرسول أصحابه حول الموضع الذي يجب أن يتلقوا به مع العدو أيكون حول المدينة وقريباً منهم أم خارجها وبعيداً عنها وبعد التداول وتبادل الرأي والمشورة أجمعوا على الخروج خارج المدينة فلما كان الرسول الكريم مع جيشه في منتصف الطريق تراجع أولئك المنافقون عن رأيهم الذي قرّروه وقبلوا به قبل قليل وقالوا: ارجع بنا يا رسول الله، فأجابهم ﷺ لا ينبغي لرسول إذا لبس لامته ودرعه وتقلّد سلاحه أن يرجع حتى يلقى عدوه فيحكم الله بينهما والله خير الحكمين.

عندما غضب أولئك (الصحابة المؤمنون العدول) ورجع منهم ثلاثة شخص أي حوالي ثلث جيش النبي الكريم، قفلوا عائدين متخاذلين عن نصرة الله والرسول في ظرف صعب مثل هذا، وطلب بعض أصحاب الرسول ﷺ منه أن يسمح لهم بقتل هؤلاء المتخاذلين، فمنعهم عن ذلك حتى لا يقال: إن رسول الله يقتل أصحابه، وإننا لا نستعين بمنافق على كافر.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهُدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَمْيَانَهُمْ جُنَاحًا فَصَدَّوْا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

مما تقدم نرى ونشهد أن إيمان الكثير من الصحابة ما كان إلا وقاية

(١) المنافقون (٦٣): ٢-١

وذريعة وهم الذين أغضبوا رب السماء فأنزل بحقهم آيات كثيرة، لكن أصحاب المصالح المرتبطة مع مصالح أولئك المنافقين، أصحاب المصالح من السلاطين والحكام يدّعون لهم المناقب الكثيرة والفضائل الجمّة ويررون عنهم أحاديث غير صحيحة تقول: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اهتديت افتديتم»^(١).

قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل يتقصّ أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنّما أدى ذلك كله الصحابة، وهؤلاء ي يريدون أن يجرّعوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى»^(٢).

بينما يقول الله فيهم سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِذَا رَأُوا تِجَارَةً أَوْ هُوَ انْفَصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾^(٣).

وهم ضيّعوا الإيمان الذين إذا سمعوا أيّ نبأ دنيوي عن تجارة أو غير ذلك يسارعون إلى الخروج من المسجد والرسول الكريم قائمٌ.

نجد في معظم الكتب حول مفهوم الصحابة أنه هو كلّ من شاهد وجه رسول الله، أو حضر معه أو جالسه أو أعلن الإيمان في حياته، فمثل هذا صحابي ولا يجوز الطعن به، إنّهم يتناسون ويتجاهلون ويسيرون بين المتخاذل والممجاهد، والعالم والجاهل، وبين المسلم الذي أعلن إسلامه خوفاً والمسلم

(١) جامع بيان المسلمين وفضله ٧٨ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١٤٤/٥٨. وفيه: «أصحابي كالنجوم... موضوع».

(٢) الإصابة ١: ١٦٣.

(٣) الجمعة ٦٢: ١١.

الذي يملكه الإيمان، وكيف يستوي السابق واللاحق، والمطيع والعاصي، ومن قاتل مع الرسول في جميع المعارك وأبلى البلاء الحسن مع من قاتل ضد الرسول في جميع المعارك؟! أو ليس من منافاة الحق والمنطق أن نقارن وأن نساوي بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبين أبناء أبي سفيان! وكيف يمكن أن نصدق من يقول: أن سيدنا علياً تقاتل مع سيدنا معاوية وكلهم إلى الجنة أولئك أناس عجلت بهم سيوفهم إلى الجنة.

إن أصحاب هذا المنطق المغلوط الذي لا يرضي الحق، ولا يرضي الله إنما جاؤوا به لغرض في أنفسهم، وهذا الغرض عندهم هو أعز وأسمى من أن يرضي الله عنهم، إن علياً هو الفدائى الأول في الإسلام، وحامل لواء الرسول في جميع المعارك، علي هو من شهدت له الأرض والسماء في بدر وحنين والخندق، موافق رهيبة عرف فيها الشجاع من العجبان والقوى من الضعيف والصادق من الكاذب.

علي هو الذي قال فيه الرسول الكريم عندما نزل ليبارز فارس الكفر ورجلهم الأول عمرو بن ود العامري يوم الخندق، قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «برز الإيمان كله للشرك كله»^(١).

وهو الذي قتل عمرو بن ود ونصر المؤمنين ودفع بالمرتكبين إلى الهزيمة والخذلان ونزلت الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَنَ﴾^(٢).

(١) ينابيع المودة ١: ٢٨١.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٢٥، مناقب آل أبي طالب بن شهر آشوب ٢: ٣٢٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٨٤.

عليُّ الذي يمثل الإيمان كله وأخلاق القرآن الكريم كيف يمكن أن نساوي بينه وبين معاوية الذي ما آمن بالله ورسوله لا هو ولا أبوه إلاً متأخرًا جدًا وبعد فتح مكَّة في أواخر أيام الرسول الكريم، لقد دخل مثل هؤلاء في الإسلام مرغمين حين جمع الرسول رجال مكَّة كلَّهم وقال ما تظنون إني فاعل بكم، قالوا أخْ كريم وابن أخْ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١)، هؤلاء الطلقاء لم يؤمنوا وإنما ظاهروا بالإسلام، حينما جهز الرسول الكريم جيشاً أسامة بن زيد وأعطاه اللواء لم يبق من حياته الكريمة إلا ثمانية أيام تخاذل هؤلاء (الصحابيون) عن الجهاد بحجة إنَّ أسامة بن زيد شابٌ صغير، وبحجة أنَّ الرسول الكريم أبقي عليَاً معه لكي يشرف على تمريره ويرعاه في أيامه الأخيرة، وقال رسول الله ﷺ: «جهزوا جيشاً لعن الله من تخلف عنه»^(٢).

كيف يمكن أن نسوِّي بين كافة الصحابة بدرجة واحدة وكثيرون منهم ارتدوا عن الدين فور وفاة الرسول أو ليس ذلك دليلاً قاطعاً على ضعف إيمانهم؟ وفساد طويتهم؟ ولقد بالغ بعض المؤرِّخين واختلقوا من الأكاذيب ما لا يمكن تصديقه عقلياً فكتبو الصحف الطوال في ذكر المناقب الحميدة والفضائل العديدة التي على زعمهم كان يتمتع بها يزيد بن معاوية، وهو كما نعلم قضى حياته غارقاً في الخمر بين قيان القصور وبين القردة والطيور.

تاريخ لا يتميَّز بين الغث والسمين إذ يكتب عن معاوية على لسان المؤرِّخ ابن الجوزي بعد أن أورد فضائل معاوية ومزاياه في باب الموضوعات

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١١٨:٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١:٢٣.

قال: عن إسحاق بن راهويه شيخ البخاري أَنَّه قال: «لَمْ يَصُحْ فِي فَضَائِلِ مَعَاوِيَةِ شَيْءٌ أَبْدَأً»^(١).

و جاء في آثار محمد عبد شيخ وإمام الديار المصرية أَنَّ معاویة قد اصطنع لنفسه الكثير من الأحاديث على لسان أناس من الصحابة والتابعين جاعلاً لنفسه الفضائل وملتصقاً بالإمام علي كل القبائح، كما قضى معاویة وشجع على الطعن في الإمام والبراءة منه يتطرق، محمد عبد إلى ذكر (الصحابي) أبو هريرة الذي لم يلحق من الإسلام مع الرسول ﷺ إلا سنة ونصف السنة^(٢).

يقول الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة: «وقال الحاكم: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: لا يصح في فضل معاویة حديث»^(٣).

ويروي الطبری أن الحسن البصري كان يقول ويكرر القول: «أربع خصال كنَّ في معاویة ولو لم يكن فيه منها إلا واحدة لكان موبقة»^(٤):

١) انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء حتى ابتزها بغير مشورة منهم وفيهم بقایا الصحابة وذوو الفضيلة.

٢) استخلاقه ابنه بعده على رقاب المسلمين وهو سکیر خمیر يلبس

(١) تحفة الأحوذى: ١٠ .٢٣١

(٢) راجع شيخ المضيرة أبو هريرة: ١ و ٢٠٣

(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: ٤٣٢

(٤) تاريخ الطبرى: ٤: ٢٠٨

الحرير ويضرب بالطناوير.

(٣) وادعاؤه زياذاً. وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

(٤) قتله حجر بن عدي وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه ويل له من حجر وأصحابه.

ونذكر قول الرسول الكريم لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية يا عمار»^(١) ومن هو قائد هذه الفئة الباغية أقرأ السيرة والتاريخ ليتضح لك. عودة إلى الحديث الذي يروونه: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتם اهتديتهم»^(٢).

فإننا حتى لو سلمنا أن هذا الحديث صحيح فهل يهتدي الإنسان بجميع النجوم في السماء أم أن هناك نجوم خاصة يهتدى بها كالثريا وسهيل وقطب الجدي... الخ مما يصلح لأن يكون علامات لاهتماء أهل السير والبحر ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

فكيف يمكن لحديث رسول الله أن يخالف كتاب الله؟ وكيف يمكن أن يخطئ كتاب الله؟ حاشاه وأن يقول إن الإنسان ليهتدي بجميع النجوم.

يقول الرسول ﷺ: «النجم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتى من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب

(١) صحيح مسلم ١٨٦ وسنن الترمذى ٥: ٣٣٣ وفضائل الصحابة للنسائي: ٥١.

(٢) تحفة الأحوذى ١٠: ١٥٥.

(٣) النحل (١٦): ١٦.

إبليس»^(١).

ويقول عَزِيزُهُمْ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل أمّتي»^(٢).

ويقول الرسول عَزِيزُهُمْ أيضاً: «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»^(٣).

من خلال هذه النبذة القصيرة وفي التأمل والتمعن فيما تقدم يتضح لنا بالمنطق التطبيقي الذي يتفق مع العقل أنَّ الكثير من الأحاديث وضعت لكي ترفع مكانة شخصيات خسيسة منحطَة ولكي تطمس معالم شخصيات أخرى خصَّها الله بالفضل والهدى والعلم والحلم والفضاحة والتقوى فكانوا للعباد مناراً وهدى، لكن الحكَّام المتسليطين من بنى أمية وبني العباس جاؤوا بما لا يرضي الله وافتعلوا الأكاذيب والأباطيل ونحن لا نريد من الأخ القارئ إلَّا أن لا يخدع بباطلهم وأن لا يبقى معصوب العينين ضيق النظر منقاداً لمنطق العاطفة بل نريد له أن يكون حرَّ الإرادة في مطالعاته وفهمه وأن يحكم بالإنصاف على ما يقرأ وأن لا يسكت على الظلم والتحريف والمنكر لأنَّ الساكت عن الحق شيطان أخرس ولأننا جميعاً سوف نقف بين يدي الديان العظيم يوم الدينونة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَى مِنْ بَعْدِ مَا يَبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ﴾^(٤).

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٩.

(٢) نظم درر السقطين: ٢٣٤ والجامع الصغير ٢: ٦٨٠، ح ٩٣١٣، ٩٦: ١٢، ح ١٥٥، ٣٤.

(٣) ينابيع المودة ١: ٧١، ح ١.

(٤) البقرة (٢): ١٥٩.

حادثة الغار مع الهجرة

الوحدة الإسلامية أمنية كبرى للمسلمين جميعاً يسعون جاهدين لتحقيقها إيماناً منهم أنّ في التماسك قوّة وعزّة ومنعة، لكن الطريق صعب وعسير وليس بالأمر السهل اليسير ما دامت العقول مربوطة إلى بيئة معينة وإلى دراسات خاصة ومطالعات محدودة ضيقّة وبعيدة عن فهم جوهر الإسلام وسبقيٍ كذلك ما دام عند الكثير منّا خوفٌ من قول الحق، خوفٌ من إظهار ما في النفوس، وتستر على كلمة الحق فلا يطلع واحدٌ منا على ما عند الآخر، ويبقى كلُّ منّا مجھولاً عند أخيه غامضاً في عقيدته ورأيه، وقد يحمله محامل سيئة لا يكون قاصداً إليها، لذلك نحن نريد أن يكون للحق حوار، وللحقيقة تبيان وإظهار بغير إفراط وتفريط.

مثلاً فسّرت بعض الآيات الكريمة في ظرف معين من الزمان تفسيراً لم يكن لصاحب التفسير فيه أيّة حرّيّة في إعطاء رأيه أو أنه كان مجبراً على قول ما لا يؤمن به أو أنّ معرفته وقدرته على التفسير محدودة فلماذا ونحن الآن في عصر الانفتاح على نور العقل نتمسّك بكلّ ما جاء به الماضي صحيحاً كان أم غير صحيح؟!

إن القرآن الكريم يزخر بآيات كثيرة بينها الباري ﷺ وخصص بها أهل البيت عليهما السلام، ويشهد بذلك جميع المفسّرين، وهي واضحة حتّى بجزئياتها الدقيقة فلماذا يعمد بعض الناس إلى تفسير مغلوط، وينسبون معانيها إلى غير

أهلها، إننا من هذا المنطلق نعلق باختصار على هذه الآية الكريمة: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرُوْهَا﴾^(١).

أراد بعض المفسرين لهذه الآية الكريمة أن ينسدوا لأبي بكر منقبة كبيرة وفضلاً كثيراً محتاجين بصحبته للنبي قائلين أو ليس هو صاحب الرسول في الغار؟ ونحن نقول لهم بلى لقد صحب الرسول في الغار لكن هذه التسمية تعبر عن كل رفقة ومصاحبة حتى أنها وردت في أمكناة كثيرة من القرآن الكريم بحق غير الصالحين مثلاً يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾^(٢). ويقول تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾^(٣). ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تُطِعُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٤). ويقول سبحانه: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّيِّلِ﴾.

إن لفظة صحب - صاحب - صحبة - لا تعني المساواة في الفضل وإنما تعني أي صحبة عادية أخرى ولو كانت صحبة الطريق كله فإن الآية الكريمة ليس لها أية علاقة في ماهية الشخصية الإسلامية وإعطائهما ما تستحق من ثناء بل إنها كانت في صدد الإرادة الإلهية التي تصدرها السماء مخترقةً جميع النواميس والقوانين لتنزل على قلب المصطفى الأمين ﷺ ذلك القلب الذي جعله الله منهاً للمعرفة وصلةً للوصول بين العبد وربه ليبيّن وليووضح قيمة العقل.

(١) التوبه (٩): ٤٠.

(٢) الكهف (١٨): ٣٧.

(٣) لقمان (٣١): ١٥.

(٤) النساء (٤): ٣٦.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١).

هذه الآية الكريمة تذكر حماية الله لنبيه ولرسالته فقط لا لغيرهما وتعطي الدليل على أن خروج النبي ﷺ كان خروجاً اضطرارياً لابد منه وأن الذي دفعه إلى ذلك هو عزم المشركين وتصميمهم على قتله.

فتبدأ الآية بذكر الخروج وحيداً ثم تذكر أن النصر له وحده خاصة حسب سياق الآية (نصره الله إذ أخرجه) تتكلم بإفرادية الرسول والتوجيه له وحده ثم تبدأ الآية بعملية الصحبة فتبين، الحالة التي نطق بها السماء عمما حدث في بطن الغار.

تقول بعض الروايات أن أبا بكر لحق بالرسول بعد خروجه ولم يكن يعلم به حتى منتصف الطريق المؤدية إلى الغار، فالآية لم تقل: (ثاني اثنين) لتبيّن أهمية الصحبة، بل أرادت أن تبيّن حالة قد طرأ في بطن الغار إما خوفاً على الرسول وإما خوفاً من الأعداء، فأماماً الخوف على الرسول ﷺ فإن الله سبحانه قد بعث العنكبوت لتنسج غطاءً من خيوطها العنكبوتية على باب الغار، وبعث الحمامات أيضاً فعششت وباضت ليبعد الأعداء عن إيجاد الرسول، وبالرغم من هذا كله فإن الحزن أو الخوف يعتري أبا بكر وينهاء الرسول عما اعتراه من الحزن والخوف، وأن الله لا ينهى عن شيء شرّعه أو أمر به، وأن الخوف حالة فطرية تعتري جميع المخلوقات عندما تواجهها بعض المفاجآت، ولكن النهي هنا كان موجّهاً من الله، وبينما أن الحزن بكاء والله يقول بحق يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَيْضَضْتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾^(٢)، لكن الله لم ينه يعقوب عليه السلام عن

(١) التوبة (٩): ٤٠.

(٢) يوسف (١٢): ٨٤.

حزنه على يوسف عليه السلام، ونحن لا نعرف سبب نهيه عن حزن أبي بكر وأمر نبيه أن ينهاه بلفظ لائم إذ يقول له: ﴿لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أي لماذا تخاف ما دام الله معنا، وآياته تسخر لنا العنكبوت والحمامة وبعد ذلك تخرج الآية إلى انفرادية الرسول لوحده ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ فلماذا لا تتعرّض الآية للاثنين بالنهي؟

لقد أمر الله سبحانه بإتمام نوره ونصرة نبيه وتأييده من السماء، وهذا ما يليق بمقام الأنبياء.

إن الصحبة المذكورة بالقرآن لها مفخرة اجتماعية وتقدير عند الناس أمّا بالنسبة للقرآن فلم ينطّقه معنى آخر لا ينسجم مع المفخرة والمقاصد الاجتماعية الوضعية، لأنّ المقياس عند الله ليس ما يتراءى من ظواهر الأعمال وليس على ما تقدمه الأنساب والأحساب، ولقد صحب الرسول ﷺ في هذه الهجرة أكثر من ثلاثة رجال، منهم أبو بكر، ومنهم حامل الطعام، ومنهم الدليل على الطريق بالأجرة والمال.

ومن الآيات التي جمعت الرسول والصحابة في بعض المواطن مثل حنين، وقد قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

فكانَت الآية شاملة بالسکينة للرسول ومن معه جميعاً، وذلك بخلاف آية الغار التي أفردت الألطاف السماوية لشخص واحد فقط وليس للاثنين معاً، وهنا يتداعى إلى الفكر حدث هام وحالة حدثت مع بدء الهجرة وهي:

«لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه وردّ

(١) الفتح (٤٨): ٢٦

الوداع التي كانت عنده فأمر ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار
أن ينام على فراشه ﷺ وقال له: «اتسح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على
فراشي... ففعل ذلك علي، فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل إني قد آخيت
بينكمما وجعلت عمر أحدكم أطول من عمر الآخر فـأيّكما يؤثر صاحبه بالبقاء
والحياة؟ فاختار كلاهما الحياة.

فأوحى الله تعالى إليهمَا: أَفَلَا كَتَمَا مِثْلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ آخِيَتْ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي بَاتِ عَلَى فَرَاشِهِ (يُفْدِيهِ) بِنَفْسِهِ وَيُؤْثِرُهُ بِالْحَيَاةِ اهْبَطَا إِلَى
الْأَرْضِ فَاحْفَظُوهُ مِنْ عَدُوِّهِ، فَنَزَّلَ فَكَانَ جَبْرَائِيلُ عِنْدَ رَأْسِ عَلِيٍّ وَمِيكَائِيلُ عِنْدَ
رَجْلِهِ، وَجَبْرَائِيلُ يَنْادِي: بَخْ بَخْ مِنْ مِثْلِكَ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَنَادَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ
الْمَلَائِكَةُ وَأَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَهُوَ مَتَوَجِّهٌ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي شَأْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(١).

(١) الكشف والبيان ٢: ١٢٥، البقرة (٢): ٢٠٧.

الغلاة المنسوبون إلى أهل البيت عليهم السلام



الغلاة المنسوبون إلى أهل البيت عليهما السلام

تعوّدت بعض الأقلام المأجورة واستمرت أن تعيش في النفاق وعلى النفاق، مقدمةً نتاجها الفكري للمجتمع الذي تعيش فيه مزيفاً ومغلوظاً.

وذلك بداعٍ من مصلحة دنيوية تافهة أو بهدف التشویش وخلق الفتنة ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(١)، إنّ موضوع الغلاة يقول تجّار المطاعن بين المسلمين أنّه في عصر الصادق عليهما السلام من أواخر عهد بنى أميّة وحتى بداية عهد العباسين كثُر بشكّل ملحوظ التدوين للحديث والبحث الموسّع في علم الكلام والفلسفة، وكانت الكوفة آنذاك مرکزاً هاماً من مراكز التجارة والصناعة بمختلف أنواعها، وكان هناك رواج كبير في البلاد عن طريق الكوفة التي كانت تُحاط بقرى كثيرة ممتلئة بالنصارى وبرعايا من الفرس عرّفوا بحراء الديلم.

فبدأت الهجرة إليها من شتّي الجهات مما ساعد أعداء الإسلام على نشر عقائدهم عن طريق الخداع والتضليل ؛ إذ كانوا يتسلّلون إلى مجالس العلم ويدخلون في حلقاته مدّعين انتماهم لمدرسة الإمام الصادق عليهما السلام التي سمحت الدولة العباسية بفتحها لكي تخفّ عن نفسها نسمة الناس الناقمين ولكي تتقى الثورات العلمية فأعطت الإمام الصادق عليهما السلام الحرية في نشر العلوم

(١) البقرة (٢): ١٩١.

الإسلامية حتى بلغ عدد العلماء في هذه المدرسة أربعة آلاف عالم.

لقد دخل الغلاة عن هذا الطريق إلى هذه المدرسة لينشروا عقائدهم وليشوّهوا سمعة أهل البيت وليكثروا من الدسّ عليهم مما دفع بالإمام الصادق أن يعلن البراءة من كلّ مقالٍ يدسّ على الإسلام ما ليس فيه.

وأخص بالذكر منهم أبو الخطاب الأستاذ الكوفي الذي كان يقود هذه الحملة المجرمة ضدّ مذهب أهل البيت، فأعلن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْبَرَاءَةُ منه، وقال بجواز لعنه^(١)، لأنّه نجح إلى حدّ بعيد في أن يدسّ عقيدته وباسم أهل البيت عَلَيْهِ مشوّشاً ومخالفًا لروح الإسلام الحنيف.

الغلاة الذين يكذبون على أنفسهم وعلى الناس وعلى التاريخ ليسوا من أهل البيت، ولا من مذهب أهل البيت، وإن دراساتهم لا تزال ناقصةً وغامضةً إلى يومنا هذا؛ لأنّها لا تقوم على دليل وبيّنة أو على منطق تطبيقي يستقبله العقل ويقبّله وإلا فain كتبهم ومؤلفاتهم وكتب عقائدهم التي ذهبت مع ذهاب هؤلاء الغلاة الذين أزالهم ومحاجهم علماء أهل البيت الذين لا ينفصلون عن القرآن والسنة.

(١) معاني الأخبار: ٣٨٨، حديث ٢٦ وفيه عن أبي عبد الله عَلَيْهِ: «... لعن الله أبو الخطاب...».

الشفاعة

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾^(١).

إن قراءة القرآن الكريم بلا تفكّر أو تبصر وبلا تفهم دقيق يعكس على الإنسان أخطاء مهلكة فما أكثر الذين يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار بينما نساؤهم كاسيات عاريات بأخلاق سيئة وأولادهم من غير المؤمنين.

لقد أصبح التعامل مع القرآن الكريم ظاهرياً وسطحي الفهم حتى لتمر معانيه ومفاهيمه أمام أعين الكثيرين كما يمر الذهب أمام أعين المتواحدين يرون بريقه ولا يعرفون قيمته، بينما كان بعض الصحابة في عهد الرسول ﷺ يقفون عند كل آية ليذبّروها ولируют ما الذي تهدف إليه وما الذي تعالجه من مشاكل الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَّيَذَبَّرُوا آيَاتِهِ﴾^(٢).

إن الذين يقرؤون بهم يتجلّر في أعماقهم التوحيد والإيمان حتى ليصبح أحدهم قلعة قوية منيعة على الخرافات والأباطيل والانحراف عن طريق الحق، أمّا القشريون وهم كثر لسوء الحظ فقد أوصلتهم الحالة التي هم فيها إلى الوقوع بأخطاء جسيمة في كثير من الأمور التي تؤدي إلى الشرك

(١) التوبة (٩): ١١٥.

(٢) ص (٣٨): ٢٩.

والعياذ بالله، ومن هذه الأمور مسألة الشفاعة.

فتجد الوهابيين على سبيل المثال لا الحصر مع كثير غيرهم من سواد المسلمين واقعين في مستنقع الجهل والبلاء متخطبين، وكلّ هذا بسبب عدم تدبرهم لكتاب الله فمنهم مثلاً من يكون اتكلّياً بدون سعي أو عمل آخذاً بتفسير خاطئ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١).

للأسف الشديد نجد أكثر الناس يصلّي صلاته بلا خشوع وبدون صلة مع الله ولا حضور قلب وهو إذ يكثر من الدعاء في نهاية الصلاة فإنه بذلك يظن أن الدعاء مع صلاة تقليدية بعيدة عن الخشوع له قبول أو ثمر.

إن الدعاء وسيلة من الوسائل لإزالة الموانع العائقية ولكن بشرط العمل، وكلّ عمل يحتاج إلى تسديد السماء، فإذا عملت عملاً فادع الله بعد ذلك أن يقبله لأنّ العمل يحتاج إلى صفاء الربط بين العبد وربّه وهكذا هي الشفاعة التي غرق بجهلها وعدم معرفتها كثير من الناس فأصبحوا يضعون اعتمادهم وتوكّلهم على الأولياء ظنّاً منهم أنّ أولئك الأولياء والأئمة يؤثرون في قانون الله وفي عدله ويعتقدون أن رحمة الشفيع ورأفته تغنيهم عن رحمة الله فيجعلون توجّهم وخشوّعهم كله للولي وهذا ما يوصل الإنسان إلى الشرك بالله.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ

(١) البقرة (٢): ١٨٦.

(٢) البقرة (٢): ٤٨.

لَنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ^(١)

يقول الوهابيون: إنّه لا يجوز التوجّه إلى أيّ ولّي سواءً كان ميتاً أم حياً لأنّهم ينكرون الوسيلة أبداً نحن فنقول إنّ التوسل بالنبي والرسول والولي إنما هو توجّه بالقلب والعقل إلى الله سبحانه وتعالى قائلين اللّهم بحقّ هذا الذي اخترته واصطفيته أن تغفر لنا وأن ترحمنا وأن تجعلنا تحت لوائه يوم القيمة.

إنّ من يتصرّر أنّ للشّفيع تأثيراً على الخالق سبحانه وتعالى وأنّه يستطيع أن يحول الغضب إلى رحمة فهذا الظنّ هو الشرك بعينه لأنّه سبحانه لا يقبل الانفعال ولا ينطبق عليه تغيير الحال ولأنّ القانون الإلهي يفقد معناه فتفرغ الشّفاعة من محتواها الحقيقي.

الشفاعة على قسمين:

١) شفاعة عادلة وسليمة ولها وجود.

٢) شفاعة غير صحيحة ومرفوضة وليس لها وجود.

أما الشفاعة العادلة: فهي التي تحفظ وتحافظ على القانون الإلهي وتؤيّده مثلاً: الرسول الكريم أديّ الأمانة، وبلغ الرسالة، وجاهد في سبيل الله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ونفذ بكلّ صدق وایمان أوامر ربّه حتّى أوصلها إلى قلوب الناس، وما دام ذلك كذلك فهذا الرسول حكمًا سيكون في رحمة الله العادلة حيث لا يضيع ميزان الحقّ الدقيق مثقال ذرة، إنّ كلّ من يقتدي برسول الله وينفذ أوامره التي هي أوامر الله فهو مع الرسول.

(١) الانفطار (٨٢): ١٩.

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) إذاً على من يريد أن يكون له الرسول شفيعاً أن يعمل بعمله وأن ينفذ أوامره وأن يسير سيرته ليكون معه عند الله لكن الذي يصعب عليه هذا يعمد إلى النفاق والمداهنة ويسلك طريق الخرافات التي لم يأت بها رسول الله ﷺ ويلتفت إلى تقلد الأمور الدنيوية التي تؤمن له المصلحة والجاه والمال بعيداً عن شريعة محمد ﷺ ثم يطلب الشفاعة فهذا لن ينالها وشفاعته مردودة غير مقبولة من الله سبحانه لأنّه لا يستحق أن يكون شفيعاً بعد أن خالف الله ورسول الله ﷺ.

يظن بعض الناس ظناً خاطئاً أن شفاعة الرسول والأئمة علية السلام قادرة على تغيير الحكم والإرادة الإلهية وهذا ضلال مبين إذ يجب على الذي يؤمن بالله ورسوله أن ينبذ مثل هذا الظنّ وأن يتوجه إلى الله طالباً منه قبول عمله بشفاعة محمد وآل بيته محمد ويشترط أن يكون التوجّه خالصاً لله فقط، وعلى هذا فليست الوسيلة شركاً كما يقول الوهابيون أو كما يفهمها أو يستعملها الجهلاء من السنة والشيعة الذين يظلون أن الرسول ﷺ والأئمة علية السلام والأولياء قادرؤن على التأثير في قانون الله وعده... عندها يكون توجّهم للرسول وليس لله وهذا التوجّه خاطئ ومرفوض إن طريق الجهاد والصبر والثبات والعمل الصحيح بما يأمرنا القرآن هو الشفاعة بالذات لأن ذلك هو سلوك وعمل الرسول ﷺ ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ إِبْرَاهِيمِهِمْ﴾^(٢).

بمعنى أن كلّ من قلد الإمام أو القائد المستقييم العامل بأمر الله يكون معه يوم القيمة في جمع واحد وتحت لواء واحد.

(١) الحشر (٥٩): ٧.

(٢) الإسراء (١٧): ٧١.

الشفاعة المرفوضة: وهي أن الذي يتبع كلّ ناعق ويميل مع كلّ ريح فإنه وإن صام وصلّى وحجّ وزكّى سيقى عمله غير صحيح وغير مقبول ذلك لأنّه أطاع أئمّة الضلال والبدع والخرافات ولم يفتح قلبه وفكّه للحقيقة تلك الحقيقة الشفيلة جداً عند أولئك الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدُهُمُ النَّارَ وَيُئْسَنُ الْوِزْدُ الْمُؤْرُودُ﴾^(١).

إنّ الذين يعرفون الحقّ ولكنّهم بسبب ما يضلّون غيرهم فإنّما مثلهم كمثل فرعون، وهم علماء السوء وعلماء البدع المتعصّبين للضلال الذين يعرفون القول ولا يتبعون أحسنـه، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٢).

أولئك الذين لا يقلدون آباءهم وعلمائهم وبيّن لهم تقليداً أعمى ولكنّهم يسمعون جميع الأقوال والأراء فيتبعون الأحسن والأفضل ولو كان صعباً مرّاً.

يقول الإمام علي عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء عرف موقع الخطأ»^(٣).

إذن: التعصّب في العلم بما ينافي الحقيقة وبما لا يرضي الله عملٌ باطل وجريمة يؤاخذه عليها الخالق يوم القيمة.

النتيجة: لو نسبنا الشفاعة إلى الله وحده وهو منبع الرحمة والخير لسمّيت مغفرة وإذا نسبناها إلى الوساطة بالإتباع شرط التطبيق والعمل الصالح سمّيت شفاعة.

(١) هود (١١): ٩٨.

(٢) الزمر (٣٩): ١٧ - ١٨.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٤٢ / ١٧٣.

لكلّ نبيٍّ وإمامٍ ووليٍ شفاعةً صحيحةً لأنَّ عمله صحيحٌ فالتوصّل به مقبولٌ لمن قلّده بالعمل الصحيح. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى﴾^(١)، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾^(٢)، ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَيْعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، وهذه تؤكّد أنَّ الشفاعةَ كلهَا للهٗ وأنَّ اللهٗ هو الذي يجعل الشفيعَ شفيعاً لأنَّه اختاره، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُقُولُوا اللَّهُ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٤)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَتَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهُ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾^(٥).

«إنَّ الأرضَ أجدبَتْ إِجْدَابًا شديداً على عهدِ عمرٍ زمانِ الرِّمَادَةِ سَبْعَ عشرَةَ فَقَالَ كَعْبٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمْ مُثْلُ هَذَا اسْتَسْقُوا بِعَصْبَةِ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ عُمَرٌ: هَذَا عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَنَوْهُ أَبِيهِ... فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِعِمَّ نَبَيْنَا وَصَنَوْهُ أَبِيهِ فَاسْقُنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَاطِنِينَ ثُمَّ قَالَ عُمَرٌ: يَا أَبَا الْفَضْلِ قَمْ فَادِعْ فَقَامَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنْتَ مَنْ يَحْلِمُ بِهِ الْمَوْتُ وَعَنْدَكَ مَاءٌ فَانْشِرْ السَّحَابَ ثُمَّ انْزِلْ الْمَاءَ مِنْهُ عَلَيْنَا...».

فهو دليل على أنَّ رحمة الشفيع هي من رحمة اللهٗ وهذا يخرج القلوب من شرِّ اليأس والقنوط لأنَّ الاعتقاد بمعفورة اللهٗ يحيي الأمل والاعتقاد بالشفاعة

(١) الأنبياء (٢١): ٢٨.

(٢) يونس (١٠): ٣.

(٣) الزمر (٣٩): ٤٤.

(٤) المائدة (٥): ٣٥.

(٥) النساء (٤): ٦٤.

يحيى القلوب.

إِنَّا عَنْدَمَا نَقُولُ: الْإِمَامُ عَلَى عَلَيْهِ الْكَلَّا شَفِيعُنَا أَوْ الْإِمَامُ الْحَسَنُ أَوْ الْإِمَامُ الْحُسَينُ أَوْ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ الْكَلَّا فَذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْفِرُونَ لَنَا أَوْ أَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ فِي عَدْلِ اللَّهِ وَحْكَمِهِ فَيُشَفِّعُونَ لِلْمُذْنَبِينَ كَمَا يَحْلُوا لَهُمْ بِلَذِكَ لَا يَنْهَمُمْ سَلَكُوا طَرِيقَ الرَّسُولِ وَطَبَّقُوا مَا جَاءَ بِهِ وَالتَّزَمُوا بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ كَمَا أَمْرَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ مَقَامَ الشَّفَاعَةِ وَأَصْبَحُوا جَدِيرِينَ بِلَقْبِ الْإِمَامَةِ وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿يَوْمَ تَدْعُو كُلَّ أُنْسَىٰ بِإِمَامِهِمْ﴾^(١).

إِنَّهُمْ أئمَّةُ الْهُدَىٰ وَقَادِهِ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لَا يَنْهَمُمْ يَمْثُلُونَ شَخْصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَىٰ هَذَا يُجِبُ عَلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ إِمَامَهُ؛ لَا يَهُو صَرَاطُهُ فِي الدُّنْيَا وَسَبِيلُهُ إِلَى صَرَاطِ الْآخِرَةِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ هُمْ هَذَا الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كَمَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْفَاتِحةِ.

فَفِي شَوَّاهِدِ التَّنْزِيلِ لِلْحَاكِمِ الْحَسَكَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَرِيْدَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَهَدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) قَالَ: صَرَاطُ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ^(٣).

وَفِيهِ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبْنَاءِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَلَيَا وَزَوْجِهِ وَأَبْنَائِهِ [وَابْنِيَّهِ] حَجَّ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُمْ أَبْوَابُ الْعِلْمِ فِي أَمْتِي، مَنْ اهْتَدَىٰ بِهِمْ هُدِيٰ إِلَىٰ صَرَاطِ مُسْتَقِيمٍ»^(٤).

(١) الإِسْرَاءُ (١٧): ٧١.

(٢) الْفَاتِحةُ (١): ٦.

(٣) شَوَّاهِدُ التَّنْزِيلِ ١: ٧٤ حَدِيثُ ٨٦.

(٤) الْمُصْدَرُ الْسَّابِقُ: حَدِيثُ ٨٩.

نشوء المذاهب



نشوء المذاهب

نحن في مواجهة مشكلة كبرى يقف التاريخ أمامها ملجمًا وتخفي فيها الحقيقة خلف ركام من الأتربة والأحجار وسيلٌ من الادعاءات الكاذبة والأقوال الفارغة فتلوي الطرق الموصلة إليها ولا تعالج قضيتها بدراسة علمية ليبدو جوهر المسألة واضحًا ولظهور الحقيقة كما هي للعيان، واحدةٌ من كبريات المشاكل التي عملت على هدم وحدة المسلمين وهي أن الكثير من المؤرّخين أولعوا بذمّ الشيعة ونسبوا إليهم الكثير من الأشياء الباطلة دون تثبت وتمحيص ودون أي وازع ديني أو رادع وجداً نبي و قد اتسعت صدور الشيعة لتحمل أقوالهم وترفعوا عن المقابلة والرد بالمثل وفي مقدمة تلك المسائل ومن أهمّها هي مسألة الصحابة وعدم عدالتهم ثم تكفيرهم والعياذ بالله فحكموا عليهم بالكفر والخروج عن الإسلام كما سيأتي بيانه.

إن عدالة الصحابة عند السنة ووضعهم في ميزان العدالة هو الذي أوصل الإسلام إلى ما نحن فيه من تشتّت وانحرافات وتشعب في المذاهب ذلك لأنّ الرسول الكريم ﷺ لم يتكلّم بأحكامه وأحاديثه على مدى ثلات وعشرين سنة من الدعوة أمّا الصحابة جمِيعاً بل كان ينطق بالحكمة أو الحديث أمّا نفرٍ منهم فقط فمرةً أمّا عشرة وأخرى أمّا خمسين وثالثةً أمّا مائتين ولأنّ ظروف الحياة لم تكن تسمح لكلّ الصحابة بالحضور الدائم إلى مجلس الرسول وملازمته ومن ثمّ فلم يكن كلّ من يحضر ويسمع الحديث أو

الحكمة معصوم عن الخطأ بل تتفاوت قدراتهم ومداركهم ومستوى إيمانهم. وهكذا كان ينقل كلّ منهم ما سمع ويتحدث به للآخرين حديثاً غير مدون بل محمولاً في الصدور حيث لم يتم التدوين إلا في عهد الأمويين فمن الطبيعي والحال هذه أن يوجد بين الأحاديث ما هو غثٌ ومشتبه به وما هو صحيح، ثم هيمن السلطان على ذلك التدوين وجعله على هواه وعلى ما يوافق الوضع القائم الذي يخدم سلطته ومصالحه، وهذا ما حدا بأهل الجرح والتعديل إلى تدوين وغربلة هذه الأحاديث لبيان الصحيح من الضعيف مع أنّهم كانوا تحت ضغوط لا تعطيهم الحرية في التدوين، ولقد بالغت جماهير الناس في تقدير كلّ من يطلقون عليه كلمة صحابي كما واقنعوا بكلّ مسلم - مهما كانت درجة وعيه للإسلام ودرجة إيمانه - سمع من النبي أو رأه وجالسه اقتداءً أعمى وأنكروا على كلّ من يخالفهم واتهموه بالغلو، وكان أشدّ إنكارهم على الشيعة حيث يرون الكثير من أحاديث الصحابة مصرّحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية والبحث عن الصحيح في الآثار النبوية، ولو أنّ أولئك الذين يطعنون بالشيعة تدبّروا آي القرآن الكريم لوجدوه مشحوناً بذلك المنافقين وحسبك منهم سورة التوبة وسورة الأحزاب.

وهنا نجد سبب نشوء المذاهب وتعدداتها وتنافرها وخاصّةً عند تسلط الحكم الأموي على مقدرات البلاد الإسلامية وتسليمها لإدارة شؤون البلاد من قبل شباب مراهقين أكرهوا الناس على القبول بما يريدونه لهم، وساعدتهم في ذلك ولا تهم القساة الغلاظ الأكباد الذين فرضوا على الخطباء أن يلعنوا سيدنا علياً وأبناءه عليهما السلام وقد أفرزت هذه الأمور المشينة جمعيات سرية تحمل مشارعاً

الحق عاملةً ضد الحكم الأموي وكان معظمهم في البدء من البائسين فأيدُهم غالب الناس ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى وصل العباسيون بعدها إلى استلام الحكم وتمكنوا من القضاء على حكم بنى أمية ولكنهم بدؤوا ينشرون بين الناس أنهم هم أهل البيت برغم أن الكثيرين في المجتمع والعلماء والعارفين بالحقيقة لم يقبلوا بمثل هذا الإعلام وراحوا من جديد يحرّكون الثورة في جميع البلاد والأمصال الإسلامية لمحاربة العباسيين وإعادة الحق إلى أهله، لكن السفاح العباسي بحنكته ومهارته في المكر والخداع وبيطشه وجوره استطاع أن يثبت قواعد ملكه مستعيناً بالعنصر الفارسي لأن العرب جمِيعاً كانوا أنصاراً لأهل البيت فسحب ثقته من العنصر العربي وأوكلهم إلى العنصر الفارسي وأيدُهم في منع الناس حتى من التكلُّم باللغة العربية في بلاد فارس.

و جاء بعد السفاح رجل دموي عنيد هو أبو جعفر المنصور الذي لا يتهب من انتهاك حرمات الله وإراقة الدماء البريئة وما وقف أمامه حاجزٌ وما ردعه رادع عن إتیان كلّ قبيح وشنيع لتشييٍت ملكه حتى وصلت به الحال إلى أنه قتل الكثير من أقاربه العباسيين ناهيك عن تدمير البقية الباقيه من أهل البيت العلوي، وأبعد أبو جعفر العلماء، وقرب ونصر الموالى، ثم اختلق أخيراً المعارك بين العلماء بغية تخفيف الهجمة الشعبية عليه فكانت المعركة بين أهل الحديث وأهل الرأي.

منتصرًا لبطانته من أهل الرأي والقياس ومؤيدًا لهم بكلّ ما يملك من مال وسلطة وهم أهل العراق ليكونوا معه ولি�ضمّهم إلى جانبه، بينما أبعد أهل الحديث والفتوى من أهل المدينة - وأهل الدار أدرى بما فيها - فبدأت العراق على كثرة محدثيها تأخذ بالرأي والقياس، وكان في مقدمة علمائها

إبراهيم النخعي وأبو حنيفة، وتقدم القياس على أحاديث الأخبار، وصارت هذه القضية الشغل الشاغل والوحيد لأهل العراق.

أما أهل المدينة فلم يجعلوا للقياس والرأي واستنباط الأحكام هذه المنزلة، واتسعت شقة الخلاف والنزاع بين الناس، وكان خلافهم متصرفًا بالتعصب وممزوجًا بالسياسة ومستندًا إلى السلطة، ووصل بهم الحال إلى التنابذ بالألقاب فعيروا أهل المدينة بالغناء والطرب وعيروا أهل مكة بالمتعة، كما عيروا أهل الكوفة بشرب النبيذ الذي حلّله أبو حنيفة، وكانت الكوفة ضعيفة أمام الحجازيين ؛ لأنّ الحاكم كان يناصرها لا جبًا لها ولأهلها ولكن بغضًا لأهل المدينة، وحقدًا عليهم، وكان من محدثيها مالك بن أنس وأنصاره وسفيان الثوري، وكان من محدثي أهل الكوفة وفقهائها أبو حنيفة وأصحابه.

كثرت النشاطات العلمية واتسعت المذاهب وصار كلّ إمام ينتسب إلى مذهب معين، وكلّها سنية، ولكن لم يكتب البقاء إلا لأربعة منها، وهي: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، بينما انقرضت مذاهب أخرى كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مذهب عمر بن عبد العزيز، مذهب الشعبي، ومذهب الحسن البصري، ومذهب الأعمش، مذهب الأوزاعي، مذهب سفيان الثوري، مذهب الليث، مذهب سفيان بن عيينة، مذهب إسحاق، مذهب أبو ثور، مذهب داود الظاهري... وغيرها كثیر.

١) سفيان الثوري: هو أبو عبد الله توفي في البصرة عام ١٦١ هـ متوارياً عن

السلطة^(١).

(١) المعارف لابن قتيبة: ٤٩٧

وهو من تلامذة الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ ثُمَّ^(١).

٢) سفيان بن عيينة إمام عالم أخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ ثم عن الزهرى وعن ابن دينار.

٣) الحسن البصري: إمام عالم توفي سنة ١١٠ هـ و كان قد نشأ بواudi القرى وكان يؤثربني مروان وله علاقة مع السلاطين فإذا أراد أن يحدّث عن علي بن أبي طالب كان يقول: قال أبو زينب لأنّه كان يعمل بالقيقة.

٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: و كان تابعاً، روى عن انس ابن مالك وكانت أيام حكمه قليلة وقصيرة.

بسبب قوة السلطان وإرادته المتسلطة انقرضت كثير من المذاهب ولم يبق منها إلا أربعة، بينما الحقيقة أن هناك ما يقارب السبعة عشر مذهبًا، وطويل شرحها فمن أراد الاطلاع والازدياد فليرجع إلى كتب التاريخ.

زمن العباسين:

على مدى التاريخ البشري لم يكن القهر والجبر لينفع مع الناس حتى يطعوا ما هو معاكس لقناعاتهم ولعقائدهم ولقد عرف بنو العباس ذلك ووعوه جيداً فأرادوا أن يأتوا الناس من باب العلم ويكونوا هم الذين يعلمون الناس ويخرجون العلماء، وهكذا بدؤوا ينشئون المدارس بدل المساجد، ويربطون إدارة هذه المدارس والإشراف عليها بهم ليصبح التعليم خاضعاً للدولة بعد أن كان حرّاً، وما ذلك إلا واحد من أساليب سلب الحرية، حرية العلم والتعليم

(١) رجال الطوسي: ٢٢٠، ٢٩٢٤، وتهذيب الكمال ١١: ١٥٦.

والعلماء، أسلوبٌ يدمر ركائز الإسلام الصحيحة ويفصل باب الاجتهاد الذي ينسجم مع حرية الرأي وحتى القرآن الكريم أصبح طوعاً لأهواهم في التفسير وحتى السنة الشريفة جعلوها خادمةً لحكمهم، ولن ننسى أن ذكر أنه حتى أهل الجرح والتعديل الذين كتبوا الصحاح فإنهم كانوا على درجة كبيرة من التعصب لمذهبهم، وكانوا يستهزئون بكلٍّ من يخالف مذهبهم ويدعون مكارم وفضائل غير صحيحة لمن لا يستحقها، وكيف لا وفوق رؤوسهم السيف وتحتها النطع ليرغموا على تدوين كلٍّ ما تريده السلطة الحاكمة.

قبسات عن المذاهب الأربعة:

(١) مذهب أبو حنيفة: هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت من أهل كابل أو من أهل نسي، وكان اسمه: عتيك بن زوطره، وكان أبوه عبداً مملاوكاً لمرجل بن ربعة منبني تميم، ولد عام ثمانين للهجرة، وتوفي عام مئة وخمسين للهجرة ببغداد، عاش في عهد العباسين الذين كانوا يتظاهرون بقربتهم من رسول الله ﷺ، ويقولون إنهم أحق بالامر منبني أمية أخصام الرسول الكريم ﷺ والإسلام، لقد حاول العباسيون أن تكون هناك همسة وصلٍ بين الدين والدولة لكي يكونوا هم حملة لواء الشريعة وأصحابها، ولكي يكونوا هم الشريعة ونظامها، فقربوا العلماء واتصلوا بهم اتصالاً وثيقاً، وجعلوا القضاء بيد أهل الرأي من أهل العراق - أو ليس الرأي على الهوى؟ - وكان قاضيهم أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة الذي وصل إلى منصب رئاسة القضاء وجعل للمذهب الحنفي قوة انتشار وخطوة واسعة في مجال الشهرة مما لم يحظ به ولم يسعد به غيره.

ولقد استلم أبو يوسف منصبه هذا في عهد ثلاثة من الخلفاء العباسيين، وهم المهدي والهادي والرشيد، وأصبحت له مكانة عظيمة عند السلطان، حتى قال له هارون الرشيد: يا أبا يوسف لو جاز لي إدخالك في نسيبي ومشاركتك في الخلافة المفضية إليك حقيقةً به، وهذا مقابل ما قدّمته لنا من خدمة بجمعِيْع جهْدِكَ، ومن بين الأشخاص الذين ساعدوا كثيراً على نشر مذهب أبو حنيفة في بلاد العراق وخراسان ومصر والشام، أبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر بن الهذيل والحسن بن زياد المؤلوي، ولم ينقل التاريخ أبداً أنَّ أبا حنيفة دون كتاباً في الفقه اللهم إلا أن يكون ذلك وريقات قليلة أسمها الفقه الأكبر!

وهي لا تتضمن شيئاً من العقائد ولكن كتب التواريُخ بالغت في الوصف، ودوّلت لأصحاب المذاهب الكثير من أخبار وحكايات بعيدة كلَّ البعد عن مقاييس الصحة، ونحن لن نتعرّض هنا بالتفصيل لكلَّ ما قيل بل سنقتصر على بعض الأمور لأنَّ الحقَّ بينَ الواقعية واضحة ليست بحاجة إلى تفصيل.

قالوا: إنَّ أبا حنيفة لم يكن صاحب حديث، ولكن كان قائساً قياساً يسلك في قياسه ما استوجب شدة الإنكار عليه وعلى أصحابه، ومن يستعرض الأقوال فيه وآراء الناس حوله فسوف يجد آراءً وأقوالاً متناقضة ومختلفة لا يستطيع أن يخرج منها بشيء، وقد اتفقت جميع الكتب على أنه درس في أواخر أيامه على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام مدة سنتين أو أقلَّ وقال لولا السنستان لهلك النعمان^(١)، وقال: «ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد»^(٢).

(١) مختصر التحفة الثانية عشرية: ٨.

(٢) الكامل لابن عدي ٢: ١٣٢.

ختم حياته في التعذيب والسجون حتى مات في سنة ١٥٠هـ^(١).

٢) **المذهب المالكي:** للإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبهني، ولد سنة ثلاثة وتسعين هجرية بالمدينة وتوفي سنة مائة وتسعة هجرية^(٢). والله أعلم.

ظهر الإمام مالك بمذهبه في زمن النزاع القائم بين أهل العراق وأهل المدينة كما مرّ معنا في الفصل السابق، وهو النزاع الذي كان بين أهل الحديث وأهل الرأي المؤيدین بقوّة السلطة وتجيئاتهم للحط من قيمة العرب ومؤازرة جانب أبي حنيفة خوفاً من الثورات التي تؤيد العلوين وتحسباً منها.

وكان مالكاً من انضم إلى جانب العلوين من أهل البيت بدليل أنه كان ملazماً للإمام جعفر الصادق علیه السلام فاستقى منه العلوم وظلّ يأخذ عنه حتى صارت له مكانة مرموقة عند كثير من الناس، فأيده هؤلاء وأخذوا يرجعون إليه لكن السلطة العباسية أدركت ماله من مكانة وأهمية فخشيت منه ووضعته تحت مراقبتها وفي عنيتها؛ لتجعل حركته طوعاً ووفقاً لمصالحها وأهوائها، ثم وجّهت إليه أنظار الناس حتى صار محترماً عند الناس أعظم الاحترام.

وتحت ظلال السلطة راح يرتفع يوماً بعد يوم حتى أصبح له من المكانة أعظم من مكانة الملوك، وابتنت له السلطة قسراً لفتوى جعلوا عليه حراساً له خدماً فلا يدخله إلا ذو حظّ عظيم.

(١) مسند أبي حنيفة: ١٧.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ٢٢٣.

ويقال: إن أكثر الفتاوى كانت تدخل عليه على ورقة فيرد الجواب مع الخدم على ورقة أخرى.

فيما عجبًا لمالك كان في أسوأ حالة عندما أيد العلوين وكان يجرّ من كفه إلى السجون، وتنزل به أصناف العذاب والهوان إلى أن استطاعت السلطة العباسية تدجينه وإغرائه واستدراجه إلى مغريات الحياة الدنيا التي يظنون زوراً وبهتانًا أنها هي المعالي^(١)، وفي أوج البذخ والعز والسلطان نسي نفيه وضلّ عن الطريق القويم، ووضع بأمر السلطة كتاباً اسمه الموطأ قامت السلطة صاحبة المصلحة بنشره ونشر الأساطير عنه حتى قالوا: إن الموطأ بعد كتاب الله سبحانه وتعالى^(٢).

وهكذا انتشر هذا المذهب في البلاد بالقهر والجبر والإكراه والتديليس حتى وصل إلى أفريقيا ليس بداعي قوة الحقيقة فيه، وإنما لضعف الناس أمام جبروت السياسة القائمة.

يقول ابن حزم: (مذهبان انتشر في مبدأ أمرهما بالرئاسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة أو مذهب مالك بن أنس)^(٣).

وقد وصل هذا المذهب إلى الأندلس بسبب مدح مالك لملك الأندلس بقوله: (نسأله أن يزين حرمنا بملككم أيها الملك).

فلما سمعها من مالك حمل الناس على ترك مذهب الأوزاعي المنتشر

(١) انظر: الجرح والتعديل ١: ٣٠.

(٢) مواهب الجليل ١: ٤٢.

(٣) وفيات الأعيان ٦: ١٤٤.

عندهم ونقلهم إلى مذهب مالك الذي انتشر مذهبه لا عن جدارة في مقوّماته الروحية أو مؤهّلاته التشريعية، بل بداعف القوة والسلطة السياسية التي فرضت هذا المذهب على الناس وفقاً للحكمة التي تقول: (الناس على دين ملوكهم).

(٣) المذهب الشافعي: لصاحبِه محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب.

وقيل إن أباه كان مولى لأبي لهب فطلب من عمر بن الخطاب أن يجعله من موالي قريش فامتنع فطلب ذلك إلى عثمان ففعل^(١).

وكان ولادته سنة مائة وخمسين هجرية، ووفاته سنة مائتين وأربع هجرية^(٢)، وكان أول ظهور لمذهبة في مصر ثم انتشر منها إلى بغداد وخراسان ووصل إلى أفريقيا والأندلس.

وعظمت شوكته أيام الدولة الأيوبية التي نصرته وناصرته وأقامت له المدارس ودفعت الفقهاء في مصر إلى تأييده برغم أنّهم كان معظمهم من الشيعة.

وقد أيدته الدولة الأيوبية في مصر خاصةً مع أنَّ أكثر شعبها وفقهاها كانوا من الشيعة آنذاك وخاصةً في عهد الفاطميين الذين أبطل صلاح الدين علمهم وأنهى مذهبهم بعد أن كان يدرّس في الأزهر وتمَّ تغيير مذهب أهل البيت إلى الشافعية بقوة السلطان واشتدَّ التزاحم بين الشافعية والمالكية ومذهب أبي حنيفة، وتعصّب كلُّ مذهب فحدثت مذابح دموية كثيرة أدتْ

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربع ٢: ١٧٦.

(٢) تاريخ بغداد ٢: ٦٨.

إلى مقتل عشرات الآلاف في البلاد بينما السلطة تشجع على ذلك التذابح وتتفرّج عليه لكي تسيطر على أهل الدين من ناحية ولأنّها تخاف من ناحية ثانية من المذهب الحقيقي المذهب الذي لا يقرّ إعطاء السلطان إلّا لمن يستحقّ القيادة.

ذهب الشافعي إلى مصر سنة مائة وثمانية وتسعون هجرية بصحبة أميرها عبد الله بن العباس بن موسى العباسي، وكان معه ثلاث أشخاص هم الذين ساعدوه على نشر مذهبه وانتشاره، وهم: الربيع بن سلمان وأبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني والبوطي.

ومع ذلك وعجبًا منه فقد أخذ الشافعي يتبرأ ويتملّص مما سبق له أن قدّمه وكتبه وراح يميل ويركّن بقوّة إلى مذهب أهل البيت والأئمة من أبناء الرسول الكريم ﷺ ثم بدأ يتحرّك في السرّ فيعلن الحقيقة للخاصة من أتباعه ويوضح لهم الكثير من الأمور عن طريق أشعاره التي سنأتي على بعضها في نهاية البحث.

إنّ الكثير من المفكّرين والمؤرّخين لحياة الشافعي قد وقعوا في الخطأ عندما قالوا: إنّ الشافعي قد توسيّع في رحلته إلى بلاد فارس وما حولها من بلاد العجم، ثمّ سافر إلى ربيعة ومصر حتّى وصل إلى بلاد الروم من الأنضول، وعرج إلى حرّان فبقي بها زمناً، ثمّ عرج وعاد إلى فلسطين ومكث في الرملة مدة طويلة حتّى استقرّ به المقام بعد سفره الطويل في المدينة لرؤيه الإمام مالك بن أنس، فكلّ هذه الرواية لا أصل لها لكن المحقق عنه هو أنّه بقي أربع سنوات ملازماً لمالك من سنة ١٧٩هـ و كان عمره آنذاك تسعًاً وعشرين سنة، وكان يعيش في ضيق وضنك حتّى ارتحل إلى اليمن مع واليها بعد أن

رهن داره وأعطي ثمنها للوالى وبعد أن أوصى بعض القرشيين الوالى بالشافعى خيراً فأخذه واستعمله على عدة أعمال هناك حتى اكتشف أنه كان ميالاً للعلويين.

وكان يحرّض الناس لموالاتهم فأخرجوه من اليمن إلى بغداد سنة ١٨٤هـ وهي المرة الأولى التي يدخل فيها بغداد، وبقي في بغداد يخفي حبه وتأييده لأهل البيت حتى طرد منها لهذا السبب سنة ١٩٥هـ ولأنه كان متعلقاً بأهل البيت ميالاً إليهم وداعية لهم فقد تعرض إلى أخطار كثيرة لو لا أنه دافع عن نفسه ولو لا وساطة الفضل بن الربيع له فنجا بنفسه بعد أن تم قتل أكثر أصحابه وأخيراً استقر في مصر وبدأ بالردد على فتاوى مالك فتتذكر له المالكية وعارضوه واتهموه بالتشييع تارة وبمعارضة السلطة تارة أخرى حتى أخرجوه من مصر فذهب إلى مكة ليخوض صراعاً آخر مع الحنابلة الذين كانوا يقومون بنشر مذهبهم آنذاك.

وأما عن مقتله فهو أمر مختلف فيه الرواية فمن الرواية من قال: أنه ضرب على رأسه حتى مات ومنهم من قال أنه قُتل غيلة والله أعلم.

أما أشعاره التي تؤكد مبaitته للعلويين وملازمته لهم وحبه لأهل البيت في أشعار كثيرة منها ما قاله في السر ومنها ما قاله في العلن، ومن أشهرها:

فَرِضْ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلْهُ	يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبِّكُمْ
مَنْ لَمْ يَصُلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ ^(١)	كَفَاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الذِّكْرِ أَنْكُمْ

(١) ينابيع المودة ٣: ١٠٣.

وكان يجهر بقوله لا مبالياً بالعواقب:

يا راكباً قف بالمحصب من مني
واهتف بقاعد خيفها والناهض
فيضاً كملطم الفرات الفائض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى مني
فليشهد الثقلان أني رافضي^(١)
إن كان رفضاً حبّ آل محمدٍ

وهو الذي كان لا يكتفي بإعلان تشيعه ولكنه كان يفتخر بذلك:
أنا الشيعي في ديني وأهلي
بمكّة ثم داري عسقلية
وأحسن مذهب سموا البرية^(٢)
بأطيب مولده وأعز فخرِ

وعندما رأى اشتداد العداء له والمراقبة عليه أنسد:
إذا نحن فضلنا علياً فإننا
روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلامها
وأحسن مذهب سموا البرية^(٣)
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته
بحبّها حتى أوسد في الرمل^(٤)

و كانت الدعاية المعادية الموجهة من قبل السلطة لكراهية أبناء فاطمة تدفعه إلى أن يعبر كما في نفسه فيقول:
إذا في مجلس ذكرروا علياً
وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال: تجاوزوا يا قوم هذا
فهذا من حديث الرافضية
يرون الرفض حبّ الفاطمية^(٥)
برئُت إلى المهيمن من أناسِ

(١) نظم درر السقطين: ١١١.

(٢) شرح إحقاق الحق: ٣٣، ١٩٧.

(٣) الفصول المهمة لابن صياغ المالكي: ١، ١٠٧.

(٤) المصدر السابق: ١١١.

٤) المذهب الحنبلـي: للإمام أحمد بن حنبل، الإمام الرابع، بعد أن حاولنا قدر الإمكان التعرـف على كلـ واحد من أئمة المذاهب الأربعـة في دراسة مجرـدة عن التـحـيز و بعيدـة عن الـهـوى، وقد أهـملـنا الكـثير من الزـوـائد التي لم نـجـدـ فيها شيئاً جـوهـرياً و تـجاـوزـنا الكـثير من الأـسـاطـير التي وـضـعـتـ حولـ شخصـياتـ أصحابـ هـذـهـ المـذاـهـبـ فيـ إطارـ منـ الإـعـجـابـ وـالـمـبالغـةـ وـالـإـطـنـابـ وـالـخـرـوجـ عـلـىـ حدـودـ المـنـطـقـ وـالـوـاقـعـ.

لقد نـسـجـ الحـنـابـلـةـ حـوـلـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ هـذـاـ مـنـ الـآـرـاءـ وـالـظـنـونـ وـالـمـعـقـدـاتـ الـبـعـيـدةـ عـنـ الصـحـةـ ماـ يـشـيرـ الشـكـ وـالـرـيبـ فـيـ أـمـرـهـ.

نسبـهـ: هوـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ بـنـ هـلـالـ بـنـ أـسـدـ بـنـ إـدـرـيـسـ^(١)ـ، عـرـبـيـ النـسـبـ، وـلـعـلـ نـسـبـهـ هـذـاـ هـوـ الـذـيـ دـفـعـ النـاسـ إـلـىـ تعـظـيمـ شـائـهـ وـقـبـولـ مـذـهـبـهـ وـلـزـومـ إـتـبـاعـهـ.

ولـدـ سـنـةـ ١٦٤ـ هـيـ بـغـدـادـ عـلـىـ الأـشـهـرـ^(٢)ـ، بـغـدـادـ الـتيـ كـانـتـ تـعـجـ وـتـمـوـجـ بـرـجـالـ الـعـلـمـ وـحـمـلـةـ الـحـدـيـثـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ مـشـارـبـهـمـ فـيـهـاـ الـقـرـاءـ وـالـفـقـهـاءـ وـالـمـتـصـوـفـةـ وـعـلـمـاءـ الـلـغـةـ وـالـفـلـاسـفـةـ وـالـمـحـدـثـوـنـ وـغـيـرـهـمـ كـثـيرـ.

اتـجـهـ الإـلـامـ أـحـمـدـ إـلـىـ طـبـ الـعـلـمـ مـنـ طـفـولـتـهـ وـكـانـ أـوـلـ تـلـقـيـهـ لـلـعـلـمـ عـلـىـ يـدـ أـبـيـ يـوسـفـ الـقـاضـيـ تـلـمـيـذـ أـبـيـ حـنـيفـةـ^(٣)ـ، أـخـذـ أـبـنـ حـنـبـلـ كـثـيرـاـ عـنـ الشـافـعـيـ^(٤)ـ وـبـقـيـ مـمـجـداـ لـهـ وـرـافـعاـ مـنـ شـائـهـ طـوـالـ رـحـلـتـهـ إـلـىـ الـحـجازـ وـالـبـصـرـةـ

(١) الثقات لابن حبان ٨:١٨.

(٢) التعديل والتجريح ١:٢٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨:٥٣٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٥:٢٦٢.

واليمن وقد اشتهر بين أقرانه بالعلم إلا أن شهرته كانت دون شهرة غيره، وقد عانى من السلاطين كثيراً ومرّ بمحن عسيرة وخاصةً بزمن المؤمنون في موضوع قضية خلق القرآن^(١) التي هلك بسببها كثير من الناس لكن ابن حنبل سطع نجمه في عهد المتوكل العباسي الذي كان يؤيد المحدثين وابن حنبل كان واحداً منهم^(٢).

حاول المأمور استيعاب وكسب ابن حنبل وأغراه براتب كبير حتى أصبح طوع أمره وهوه حتى أوصل بعض الوشاة إلى المأمور أن ابن حنبل يميل للعلويين فصار عند الخليفة بمنزلة المتهم وأمر بتفيش داره وبقي تحت المراقبة حتى مات في عهد المأمور عيسى^(٣) الذي أجبره على أن يفتني بصحة الصلاة خلف كل فاجر وير، وأمرهم بوجوب الطاعة للخليفة والوالى والرضى بإمارته وأماماً الخارج عن هذه الإرادة فسيموت ميتة جاهلية.

لم يذكر التاريخ عن ابن حنبل أنه عارض الولاة والسلطانين، وهذا يبعث بنا إلى التساؤل والتأمل في حياته التي قضى أكثرها زمان المؤمنون بن هارون الذي تظاهر بميشه لأهل البيت ومذهبهم؛ تغطيةً لنفسه وتظاهراً منه بكراهية العباسين وأتباعهم الذين يعادون أهل البيت عليهما السلام.

وقرب المؤمن خلال خلافته أبناء فاطمة الرهاء عليهما السلام رغبةً منه في موالاة أتباعهم الكثريين له حتى يقال: إنه أعلن تشيعه لأهل البيت عليهما السلام وأمر المنادى أن ينادي بين الناس أن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله عليهما السلام وأنه الخليفة

(١) انظر تهذيب الكمال ٤٦١:١ وسير أعلام النبلاء ٢٨٩:٩ و٢٣٨:١١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١:٢٦٥.

(٣) المصدر السابق ٢٦٦.

الأول وأئمّة أبناءه هم أحق بالخلافة من بعده.

ولا أحد يستطيع الحكم على حقيقة المأمور وصدق نوایا، أمّا أحمد بن حنبل فقد كان هوّاه من رجال الشيعة بعد أن أخذ العلم عنهم وعمن درس على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد لامه وعاداه الكثير من أعداء الشيعة بتقرّبه من علماء الشيعة.

بعد هذه النبذة القصيرة الموجزة عن المذاهب الأربعية يتبيّن لنا أنها كانت من صنع السياسات السلطوية التي تؤيد المذهب المؤيد والموافق لحكمها فترفع من شأنه وتقوم بنشر الدعاية له مع ملاحظة أنّ كل هذه المذاهب قد نشأت بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه بأكثر من مائة سنة، ولم يكن في حياة الرسول إلّا منهج واحد ومذهب واحد منزّل من السماء على الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه، محفوظٌ من قبل صفوة مختارة من العباد، اختارهم الله ورسوله لحماية الدين ونشره ولقيادة البشرية، صفوة ألهما الخالق الباري وقرآنـه الكريمـ العلمـ والحلـمـ والفصـاحـةـ والشـجـاعـةـ والمرـوـءـ والكرـامـةـ والصـدقـ ليكونـوا أئـمـةـ بينـ النـاسـ يدعـونـ إلـىـ الـهـدـىـ بـأـمـرـهـ وـلـيـحـفـظـواـ هـذـاـ الـدـيـنـ منـ كـلـ زـيفـ وـتـحـرـيفـ.

لكن الناس غرقوا مرغمين في متأهـاتـ واسـعـةـ ولـدـتهاـ السـيـطـراتـ السـلـطـوـيةـ والمـصالـحـ الـدـنيـوـيـةـ الـخـاصـةـ أـيـامـ الـأـمـوـيـنـ وـالـعـبـاسـيـنـ، فـطـمـسـواـ الطـرـيقـ الـحـقـ وـنـكـلـواـ بـأـهـلـهـ وـجـعـلـواـ مـنـ أـنـفـسـهـمـ خـلـفـاءـ اللـهـ فـيـ الـأـرـضـ، وـقـيـادـةـ لـلـدـينـ فـكـانـواـ وـالـحـالـ هـذـهـ لـاـ يـدـعـمـونـ إـلـاـ المـذـهـبـ الـذـيـ يـؤـيـدـ نـظـامـهـمـ وـيـبـرـرـ أـخـطـاءـهـمـ، فـيـرـفـعـونـ مـنـ شـائـنـهـ، وـيـحـيـطـونـ بـهـالـةـ مـنـ التـقـديـسـ وـالـعـظـمـةـ، وـيـطـلـبـونـ مـنـ النـاسـ وـلـاءـ مـطلـقاـ وـاتـبـاعـاـ أـعـمـىـ لـأـيـ إـمـامـ صـاحـبـ مـذـهـبـ يـقـومـ بـالـبـاطـلـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ،

ويصفونه بأنه من الأولياء الذين أشار إليهم الله ورسوله الكريم ﷺ.

كانت السلطة تحيط نفسها بمثل هؤلاء الأئمة لتدرأ عنها خطر الثورات المتالية لأهل البيت عليهما السلام وإتباعهم وقد ذكرنا هذا ليتضح عند المثقفين الوعيين ذلك الأمر، وليرفوا أن هذه المذاهب هي من صنع السياسات الحاكمة، وإن كثيراً من الناس عامة ومن العلماء خاصة يعرفون هذا حق المعرفة، ولكنهم يميلون إلى دنيا الباطل ويخافون من إظهار الحقيقة والأدلة من ذلك أنه حتى الذين يحبون أهل البيت عليهما السلام ويعرفون أن خطتهم هو الخط الإسلامي الصحيح الذي رسمه الله تعالى وبلغه الرسول الكريم ﷺ يسلكون مسلك النعامة ويضعون رأسهم في التراب.

وعجي وألمي لأمة تقرأ القرآن ولا تعرف مكانة أهل البيت عليهما السلام عند الله سبحانه وتعالى ولا تعرف دورهم وأحقيتهم في قيادة وإرشاد الناس.

الاختلافات الهمشية

المتعة:

روى مسلم في صحيحه عن أبي نصره قال: «كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر بن عبد الله فقال: على يدي دار الحديث، تمعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام عمر، قال: إِنَّ اللَّهَ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شاءَ بِمَا شاءَ فَأَتَمُوا الْحِجَّةَ وَالْعُمْرَةَ أَمْرُكُمُ اللَّهُ، فَأَبْتُوا وَاتَّقُوا نِكَاحَ هَذِهِ النِّسَاءِ فَلَئِنْ أُوتِيَ بِرَجُلٍ نَكِحَ امْرَأَةً إِلَى أَجْلٍ إِلَّا رَجَمَهُ بِالْحَجَارَةِ»^(١).

روي مسلم عن ابن الزبير قال: «سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله وعهد أبي بكر حتى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حرث»^(٢).

وسائل عبد الله بن عمر عن متعة النساء فقال: «وَاللَّهُ مَا كَنَّا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ زَانِينَ وَلَا مَسَافِحِينَ»^(٣).

وقال القوشجي في كتابه شرح التجريد أن عمر بن الخطاب قال وهو

(١) صحيح مسلم ٤: ٣٨.

(٢) المصدر السابق: ٣١.

(٣) مستند أحمد بن حنبل ٢: ٩٥.

على المنبر: (أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهن وأحرمهن وأعقب عليهن، متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل)^(١)

شرف الدين مسائل فقهية ٨٣

وفي صحيح مسلم باب نكاح المتعة عن عبد الله بن مسعود آنه قال: (كنا نغزو مع رسول الله وليس لنا نساء فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ثم رحّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معين).^(٢)

وذكر الرازي في تفسيره أن عمر بن الخطاب (رض) وهو على المنبر قال: (متعتان كانتا مشروعتين في عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما متعة الحج ومتعة النكاح).^(٣)

فإذا كان أكثر الصحابة وأعظمهم شأنًا يقررون المتعة ويقررون بقاء حليتها ويقولون: إن عمر هو الذي منعها، فكيف بنا نحرّم ما أحل الله وسمح به الرسول من أجل خاطر عمر أو غيره من العباد؟!

وهل يحل الله ورسوله أمراً إلا وفيه منفعة وعلاج للمجتمع؟

والله سبحانه أعلم بظروف عباده وقد وفر بحكمته الأجواء الحرّة والمسارات الطليقة للشهوة الجنسية، ولكن ضمن الحدود والضوابط والروابط الشرعية للزواج، وذلك لتخفييف حالات الكبت الجنسي وتلافي نتائجه ومضاعفاته الممكلكة؟

(١) شرح تجرييد العقائد: ٣٧٤.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٣٠.

(٣) تفسير الرازي ٥: ١٦٧.

في عصرنا الحاضر يعيش الطلاب الجامعيون في شتى أنحاء البلاد سنوات دراساتهم حتى يصلوا إلى سن الخامس والعشرين، وبعدها يحتاجون إلى زمن طويل آخر ليتمكنوا من تأسيس بيت أو تهيئة وضع مناسب للزواج، وهذه المدة الطويلة من العمر والتي تمر بها فترة النضج الجنسي ونمو الرغبة الجنسية الجامحة مع الصعوبة في مقاومة شتى المغريات أو ليس من الواجب أن ينظر في حالة هؤلاء الشباب؟

وهل من المعقول أو من الصحيح أن ترك الشريعة هذا الوضع قائماً دون علاج؟

إِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يُرْكِ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا وَجَدَ لَهَا عَلَاجَهَا ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

ولو أهملنا علاج هذه الحالة وتركتاه إذًا لزرعنا بذور الفساد ولسمحنا بشيوع الفساد والعبث والفوضى بالأعراض والنسل وتماسك الأسرة ومجتمع الإسلام.

إنني لا أعلم لماذا يحارب زواج المتعة المنصوص عليه في شريعة الله حرباً شعواء بغير دليل وتحليل؟!

مع أن لهذا الزواج أحکامه وشروطه وهو لا يختلف عن الزواج العادي الدائم إلّا بالمدّة والإرث؛ لأنّه منقطع، وهو تحصين وحماية وملاذ لكلّ من الرجل والمرأة، يقيهم شرور الانزلاق في موبقات الزنا الذي يهين كرامة الإنسان وبخاصة المرأة، فهو - أي الزنا - يسقط عنها عفتها ويحوّلها إلى سلعةٍ

^(١) الأنعام (٦): ٣٨.

رخيبة مبتذلة.

وحتى على صعيد غير المسلمين يقول بعض كبار الأساتذة في الجامعات الغربية (البروفسورات): الآن عرفنا ما جاء في القرآن الكريم من الزواج المؤقت فلولا أننا سمحنا لكل شاب جامعي أن يتزوج من زميلة شابة خلال الفترة الدراسية بشرط الإنجاب أو عدمه لما وقعنا بأعظم المشاكل التي نعاني منها الآن، وهي مشكلة الإجهاض التي أثقلت بأعبائها الكثيرة على المشافي والشوارع والبيوت والجامعات حتى ليزيد عدد حالات الإجهاض عن عدد حالات الولادة الشرعية.

يقول الله سبحانه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَثُوْهُنَّ أَجُورُهُنَّ فَرِيقَةٌ﴾^(١).

إن هذه المسألة الشرعية التي نحن بصددها هي حديث الساعة الشائع بين المسلمين، وقد اتخذه ضعاف العقول سلاحاً وحججاً لغلبة الآخرين والتشنيع عليهم والقدح فيهم بدون معرفة أو اطلاع وبدون وجه حق وإنما إذ نقدم بعض العذر لهؤلاء الناس نقول لهم:

إن الإنسان عدو ما يجهل وإن معرفتهم بهذا الموضوع (المتعة) إنما هي معرفة ضعيفة واهية أتتكم عن طريق النقل والدعاية وليس عن طريق البحث والتمحيص.

إن كثيرين في بلادنا يستنكرون هذا الحكم الإلهي استنكاراً لا حدود له بينما تجد كلهم أو معظمهم يسير مع زوجته أو أخته أو ابنته في الشوارع وهن حاسرات الرؤوس وكاشفات السوق وفاتحات الصدور فلا تأخذه الغيرة

(١) النساء (٤): ٢٤.

والحمية الدينية عليهم ولو سألناه تبريراً لتصريحه هذا لقال:

إنما الإيمان بالقلب وأن عمله هذا يتماشى مع العصر ويحاري أهله، عجباً يقولها بلا حياء وهو فخور بها أما لو أنك ذكرت له المتعة وحكمها الشرعي الذي أوجده الله لظروف يحتاجها المجتمع إذن لأندته العزة بالخطأ والإثم، وتظاهر بالغيرة على الدين والشرف، ولقذف بتهمة الكفر إلى كل من يذكر المتعة أو يأتي بها.

إننا وقبل أن نأتي بالأدلة من كتب مختلف الفرق الإسلامية حول حلالها أو حرامها نريد أن نقول: إن هذا الزواج ليس له إلا وجوداً نادراً بين المسلمين، والنادر كالمعود، ولكنه يبقى مسألة اختلافية بين المسلمين فمنهم من يقول كانت في عهد الرسول ﷺ ثم حرمتها في عدةٍ موضع تحريمهاً أبداً، ومنهم من يقول إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ، وفيها حكمٌ من الله، وبقيت خالل خلافة أبي بكر، وحتى منتصف خلافة عمر (رض) فحرمتها عمر أو منعها وهم يقولون إن ما أحله الرسول ﷺ إنما هو حلال إلى يوم القيمة وأن تحريم عمر لها لا ينفيها بشكلٍ تام بل بقي قسم كبير يقول بها مستندين إلى أدلة من الكتاب والسنة.

نقل الرازي في تفسيره أثناء بحثه حول آية المتعة عن عمران بن حصين أنه قال: «نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم ينزل بعدها آية تنسخها، أمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتنعنا بها ثم مات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما قال»^(١) (يقصد عمر).

(١) التفسير الكبير ١٠: ٤٩ - ٥٠، وانظر: صحيح البخاري ٥: ١٥٨.

وعن ابن عباس قال: «يرحم الله عمر بن الخطاب، ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمّة محمد ولو لا نهيه عنها ما احتاج إلى الزنا إلا شقي»^(١).

لقد ثبت أن دين الإسلام بكتابه الكريم هو أنجع وأنجح وأصح وأكمل مشروع وقانون لبناء الحياة البشرية بناءً متكاملاً سليماً من السقوط والانهيار فكيف ولم نطعن نحن المسلمين بعضنا ببعض ثم يُكفر بعضنا البعض الآخر من أجل مسألة أقرها الله ورسوله ثم نحرم ما أحل الله لعباده.

إن زواج المتعة ليس كما يتصوره (أهل الغيرة والكرامة) على أعراضهم، إن المجتمع الذي يؤمن بحليتها، وهم الشيعة، هم أكثر الناس حفاظاً على الشرف والكرامة، وأحرص الناس على الامتثال لنواهي الدين وأوامره، وهم الذين يطبقون بشكل عادي اللباس الشرعي فلا يوجد مجتمع آخر يتقيّد بهذا ويحافظ على لباس المرأة أكثر من الشيعة، وإن قضية المتعة لم توجد في أجوائهم، وإذا وجدت فهي الندرة النادرة جدًا وتحت ظروف قاهرة.

إنهم ليسوا مثل غيرهم من الذين تمتلك بهم وتغتصب الشوارع والبيوت والساحات، لكن قلوبهم في واد والإسلام في واد آخر، ثم يجهرون بالمعصية ويساعدون على ما يندى له الجبين من الفساد حتى إذا عرضت عليهم مسألة شرعية أحالوها الله ثاروا وغضبا وتظاهرروا بالتمسك بالشرف والغيرة على الدين.

كيفية الزواج المؤقت:

ترتبط المرأة مع الرجل بعقد شرعي تباركه شريعة السماء لتشعر المرأة بعزتها وحفظ كرامتها وهي في علاقتها مع رجلها تخضع لمجموعة من

(١) مسند أحمد ٤: ٤٣٦.

الضوابط الشرعية.

١) العدة الشرعية التي يحدّدها العقد.

٢) الأولاد يحملون الصفة الشرعية ويلحقون بآبائهم، ولهم شرعية النفقة والتوارث.

تشريع الأذان:

الأذان على قلة ألفاظه يشتمل على مسائل العقيدة الإسلامية؛ لأنّه بدأ بـ الله أكبير، وهو يتضمن وجود الله تعالى وكماله وعظمته، ثم ثنى بلا إله إلا الله، وهذا إقرار بالتوحيد، ونفي للشرك، ثم ثلث بأنّ محمداً رسول الله ﷺ، وهو اعتراف له بالرسالة، وأخيراً بحبي على الصلاة، وهي دعوة إلى التمسّك بعمود الدين، ودعوة إلى الهدایة والفلاح، وحثّ على الأعمال الخيرة (حي على خير العمل).

وأمّا عن حبي على خير العمل؛ فإنّها كانت على عهد النبي ﷺ جزءاً من الأذان والإقامة ولكنّهم ادعوا نسخها بعد ذلك، والثابت أنها كانت من بعد النبي على عهد أبي بكر (رض) أيضاً، وشطر من عهد عمر (رض)، لكن عمر نهى عنها وأبر لها بكلمة «الصلاحة خير من النوم» كما يروي مالك بن انس في كتابه الموطأ فيقول: « جاء مؤذن إلى عمر بن الخطاب (رض) ليؤذن لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال الصلاة خير من النوم فأمر عمر أن يجعلها في نداء الصبح »^(١).

ويروي الدارقطني السّي في السنن عن نافع عن ابن عمر عن عمر أنه قال لمؤذنه: «إذا بلغت حبي على الفلاح في صلاة الفجر فقل: الصلاة خير من النوم

(١) الموطأ ١: ٧٢ حديث ٨

الصلاحة خير من النوم^(١).

وعن الباقي عليه السلام: «كانت هذه الكلمة حي على خير العمل في الأذان فأمر عمر بن الخطاب (رض) بإبدالها مخافة أن يصيب الناس تبليط وقعود عن الجهاد وأن يتكلوا على الصلاة وحدها»^(٢).

ويقول الشافعي في كتابه الأم: (إن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر عبارة الصلاة خير من النوم مع ذكره لسائر فصول الأذان).

مما لا شك فيه أن الأذان كان وحيًا على النبي صلى الله عليه وسلم، أي أنه كان أمراً من الله؛ لأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فكيف تختلف الأقوال عند أهل المذاهب على كلمة الصلاة خير من النوم؟! وأنها نزلت في وقت واحد وهو وقت الصبح. أما عبارة حي على خير العمل الثابتة عن طريق أهل البيت عليهما السلام فقد قال زين العابدين عليهما السلام: «إن حي على خير العمل هو الأذان الأول»^(٣) في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخرج البيهقي هذا في سننه الكبرى.

وعن الباقي عليه السلام: «كان حي على خير العمل في الأذان حتى أمر عمر أن يكفوا عنها مخافة أن تُثبط الناس عن الجهاد»^(٤).

وعن بلال أنه كان يؤذن للصبح فيقول: (حي على خير العمل)^(٥).

(١) سنن الدارقطني ١: ٢٥١ حديث ٩٣٥.

(٢) البحر الزخار ١: ١٩٢.

(٣) انظر السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٥.

(٤) البحر الزخار ١: ١٩٢.

(٥) كنز العمال ٨: ٣٤٢ حديث ٢٣١٧٤.

وذكر العالمة محمد سعيد العرفي في كتابه مبادئ الفقه الإسلامي: «إن ابن عمر عميد أهل المدينة قال: إن الأذان والقول فيه حي على خير العمل»^(١).

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله علياً، اللهم ادر الحق معه حيث دار»^(٢).

وأما: أشهد أن علياً ولی الله: الذي تقول به الشيعة فإن الشيعة لا تعتبر ذلك جزءاً من الأذان أصلاً بل إنه نشأ في عهد معاوية وكان بمثابة الرد على لعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ بأمر الخلفاء الفجرة الفاسقين الفاسدين.

كانوا يأمرؤن بقدح ودم ولعن بطل الإسلام الإمام الأول على المآذن والمنابر حتى صار ذلك شعاراً عند الناس وعادةً لهم فأنشأ الشيعة كلمة الولاية ليقابلوا بها الظلم والفساد وهي شهادة لعلي بالولاية امثلاً لأمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الظَّالِمِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣).

نزلت هذه الآية الكريمة بحق أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ^(٤) وبقيت الولاية مع الأذان إلى يومنا هذا لذكر الخاطئين والغافلين بالواقع المر الذي عاشه وعاني منه أهل بيت النبي حتى وصل الأمر لأعدائهم من خلفاء السوء إلى أن

(١) نقلأً عن القطوف الدانية ١: ٥٤.

(٢) سنن الترمذى ٥: ٢٩٧ حديث ٣٧٩٨ والمستدرک للحاکم النيسابوري ٣: ١٢٤ والمعجم الأوسط للطبراني ٦: ٩٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد المعترلي ١٠: ٢٧٠ والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ٢: ٩ حديث ٤٤١٢ وكترا العمالة ١١: ٦٤٣ حديث ٣٣١٢٤.

(٣) المائدة (٥): ٥٥.

(٤) مجمع الروايات للهيثمي ٧: ١٧، والمعيار والموازنة للإسكافي: ٢٢٨ والمعجم الأوسط للطبراني ٦: ٢١٨ ومعرفة علوم الحديث للحاکم النيسابوري: ١٠٢ وكنز العمالة ١٣: ١٠٨ حديث ٣٦٣٥.

يأمرها بلعنة على منابر أستاذه وابن عمه وأخيه نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

والولاية في الأذان تتخذ الشيعة شعاراً حبّه الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ تأكيداً لحق أمير المؤمنين فيها ومسحأً للعناء من عالم المسلمين حيث قال والله ليعلو ذكره إلى يوم القيمة.

ثم قالوا - ويَا لَكُثْرَةِ وِتْفَاهَةِ مَا يَقُولُونَ - : «إِنَّ الْأَذَانَ هُوَ رَؤْيَا لَعْبَدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ فِي مَنَامِهِ نَقْلَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرَهَ عَلَيْهَا».

إذن وحسب رأيهم أن الأذان هو رؤيا لعبد الله بن زيد»^(٢).

ترى بأي وجه حق يصدقون ويطبقون هذه الرؤيا وينسون ويتناسون أن الخالق الباري هو الذي أوحى إلى نبيه عن طريق جبريل بصورة الأذان وكيفيته كما أوحى إليه بصورة الصلاة وكيفيتها وكيف ينسون ويتناسون أن الأوامر الشرعية لا تؤخذ ولا تستقى إلا عن طريق الوحي.

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ مستنكراً دعاوي أولئك الضاللين المفترين على الله: (ينزل الوحي على نبيكم وتزعمون أنه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد)^(٣)، فهل يمكن للعقل أن يصدق أن العبادات الموظفة شرعاً والمحددة من قبل الله تعالى تكون عن طريق رؤيا رآها أحدهم، وليس عن طريق النبي الكريم الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحْيٌ يوحى؟!

(١) انظر سنن الترمذى ٥: ٣٠١ حديث ٣٨٠٨ وفيه: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما منعك أن تسبّ أبي تراب»...؟

(٢) سنن أبي داود السجستاني ١: ١٢٦.

(٣) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ٣: ١٩٥.

ما يصحّ عليه السجود

إنَّ مهمَّة من يكتب عن الشيعة وحقِيقتها الشرعية هي أشدَّ صعوبةً من مهمَّة الذي يكتب عن أي طائفة أخرى من طوائف المسلمين، وذلك لوجود عوامل وعقبات تحتاج إلى دقة في المعرفة ثمَّ إلى إحاطة بالظروف التي أفرزتها تلك العوامل.

إنَّ موقف الشيعة وأتباع أهل البيت عَلَيْهِ الْكَبَّالُ موقعاً دينياً صحيحاً صلباً أمام السلطان ومؤازريه منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا وهو الدافع الوحيد إلى إلصاق التهم المختلفة بهم فقالوا فيهم عيوباً أو شبَهاتٍ هم منها براء ومن هذه التهم التي لحقتهم من المناوئين للحق والتي هي من التفاهة بحيث لا تستحق أي نقاش أو لومٍ ما يصل إلى حد التهجم والهجوم ألا وهي تهمة السجود على التربة أو على الأرض أو على نبات الأرض.

وقد سمعنا من العلماء الكبار عند إخواننا السنة: أنَّ الشيعة أهل خرافات وخلافات وبدعٍ وتعصُّبٍ، وهذا ما غرسوه باطلًا في عقول الأجيال المسلمة متَّخذين من الشيعة موقفاً معادياً بغير الحق، وإنَّ إيضاح هذه القضية يحتاج إلى نظرة شاملة مرنة تحرّك مع الضمير الوجданِي وتتحرّى حقيقة السجود على الأرض لندرك ما في ذلك من أبعاد وأحكام.

١) تقول مدرسة أهل البيت عَلَيْهِ الْكَبَّالُ إنَّه يجب أن يكون موضع الجبهة في

الصلاحة من الأرض أو ما أنبتها الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس.

(٢) غيرهم يجرون السجود على كل شيء، وفي هذا يقول الرسول الكريم ﷺ: «جعلت الأرض لي مسجداً وطهوراً»^(١).

(٣) يروي مسلم أنّ الرسول الكريم ﷺ قال: «جعلت لنا الأرض مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً»^(٢).

(٤) عن البخاري قال رسول الله ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فاما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل»^(٣).

(٥) وجاء في صحيح البخاري: «كان الرسول يصلّي على الخمرة»^(٤) أو «حصير السعف»^(٥).

* ما يروى عن أهل البيت:

(١) قال الإمام الصادق ع: «لا يسجد إلا على الأرض أو ما انبتت الأرض ما عدا المأكول والقطن والكتان»^(٦).

(٢) وفي قرب الإسناد: وسألته عن الرجل يسجد فتحول عمامته وقلنسوته بين جبهته والأرض؟ قال: لا يصلح حتى يضع جبهته على الأرض»^(٧).

(١) صحيح البخاري ١: ١١٣.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٦٤.

(٣) صحيح البخاري ١: ١١٢.

(٤) المصدر السابق: ١٠١.

(٥) انظر المصدر السابق: ١٠٠.

(٦) الخصال: ٦٠٤.

(٧) قرب الإسناد: ٢٠١، حديث ٧٧٢.

إن الشيعة عندما يسجدون على التربة فإنهم لا يسجدون لها ولكنه التواضع والتذلل لله العزيز الجبار لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(١).

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «عليكم بالأرض»^(٢).

إن الساجد على التراب لا تأخذه العزة والعظمة في وقت صلاته وعند وقوفه بين يدي الله، وفي هذا السجود توحيد للناس في الصلاة، فلا تميز بين الغني والفقير والعظيم والحقير؛ لأن الكل يضعون جماهيرهم على التراب، والجبين هو رمز العزة، وهو أهم أعضاء الإنسان؛ لأن بقية الأعضاء تسجد مساعدةً للرأس الذي عليه المعوّل، فلو سجدت الأعضاء ولم يسجد الرأس لم يكن هذا سجوداً.

* ما يروى عن أهل السنة:

١) روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أم سلمة راوية الحديث أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخل عليّ البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها، قال فاخرج تربة حمراء»^(٣).

٢) روى الطبراني في (الكبير) عن أم سلمة قالت: أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم للنوم فاستيقظ وهو خائر النفس فاضطجع فرقد وفي يده

(١) طه (٢٠): ٥٥.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٢١٧.

(٣) مسنـدـ أـحـمدـ ٦: ٢٩٤.

تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال [الرسول ﷺ]: (أخبرني جبريل أنّ هذا يقتل بأرض العراق لحسين فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل فيها فهذه تربتها)^(١).

ويتضح لنا أنّ النبي ﷺ أخبر كثيراً عن الحسين علّيّه وباي أرض يموت، وهذا الخبر من الله سبحانه وتعالى وليس من الرسول ﷺ، فنحن عندما نسجد على التراب فإنّ لنا في ذلك أبواباً كثيرة:

١) تنفيذ أمر الرسول ﷺ الذي لا يجوز السجود إلا على التراب كما مرّ بالأحاديث.

٢) تذليل النفس وإذلالها للعزيز الحكيم؛ لأنّ النفس تابعةٌ لهواها ولزخرف المأكل والملبوس.

٣) السير على نهج الحسين علّيّه وذكراً لمقتله (استشهاده)، وارتباطاً لمبدئه، نتخذ تربةً من أرض كربلاء إذا وجدت لتكون لنا حافزاً حياً حاضراً أبداً يدفعنا إلى وحدة الكلمة، والسير على شرعة محمد ﷺ ومبادئ الأئمة الأبرار علّيّهم.

إنّ الأرض التي قتل عليها سيد الشهداء علّيّه والتي لم يباع عليها الظالمين، ليعلمنا العزة والكرامة واستقبال الموت بصدر رحب إذا اقتضت العقيدة ذلك، وللموت عندها خير من الذلة والخضوع لظلم الظالمين الفاسقين.

ورب قائل يقول: إن الشيعة تمارس بعض حالات التقديس للتربة

(١) المعجم الكبير: ٢٣: ٣٠٨.

الحسينية من مثل مزيد الاحترام والتقبيل الأمر الذي يثير عند الناس شكوكاً معينة.

ونحن نقول لهم: إن هذه الحالات لا تمثل ممارسات غير مشروعة فالمسلمون جمياً يقبلون الحجر الأسود في الكعبة الشريفة، ويقبلون القرآن الكريم كما يقبلون جدران الكعبة، فهل نستطيع أن نقول: أنهم بذلك إنما يعبدون هذه الأشياء؟!

إن الشيعة حينما يقبلون التربة فإنما يجسدون العشق والحب والولاء الذي أمر الله به ورسوله لسبط الرسول الإمام الحسين عليهما السلام.

عن علي بن أبي طالب عليهما السلام أنه قال: «دخلت على الرسول وإذا بعينيه تدريان الدمع فقلت: يا رسول الله من أغضبك؟ قال: لا أحد ولكن قام من عندي جبريل عليهما السلام فحدثني: أن الحسين يقتل بشط الفرات، وقال لي هل لك أن اشمّك من تربته؟ قلت: نعم، فمضى جبريل يده وقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك نفسي، وفاضت عيناي بالبكاء»^(١).

إن التربة الحسينية هي وثيقة تاريخية حية تفضح جريمة المجرمين، وتحمل شواهد الجريمة التي نفذها نظام الحكم الأموي بكل البربرية والهمجية ودموية أهل الغاب، وهي الجريمة العظمى بحق صفو زكيّة اختارهم الله واصطفاهم، وستبقى هذه التربة طاهرة ومقدّسة، وشاهدًا حيًّا ما بقيت القضية نابضة في ضمير الأمة المؤمنة.

إن التعامل مع ذلك التراب ليس تعاملًا مع جماد عادي مبتذل، وإنما هو تعامل عقلي وروحي متحرّك من مفاهيم الثورة وقيم الجهاد ومضامين

(١) انظر مجمع الروايات: ١٨٧.

الشهادة، ونحن نرى في كل ذرة من ذرات هذه التربة صرخة للجهاد ونداءً للثورة، وردًا على الطاعنين بالشيعة، والمدعين عليهم بأنهم جهلاء حيث يسجدون عليها، فليعلموا أن تربة الحسين المجبولة بدمائه الطاهرة معطرة بكل رفعة والشموخ، وبكل المعانى السامية التي يجب أن نأخذ منها القدوة والمثل الأعلى.

الجمع بين الصلاتين

إنّ الفقه الشيعي الذي يستند إلى كتاب الله وسنته رسوله وفقه وسلوكية أهل البيت الكرام، قد أهمله الكثير من الكتاب، ولم يحاولوا تحرّي حقيقته الغرّاء خوفاً على سلطتهم من كتبهم التجارية التي جعلوها للكسب والتكميل، والتي جاؤوا فيها بأحكام جائرة وخاطئة وبعيدة عن الحقّ، يتهمون فيها أهل البيت وما قالوا من فقه وفتاوي حتى أنّهم طعنوا في العقائد دون تدبر ولا إنصاف.

إنّا نأمل ونطلب من كلّ مسلم يحبّ الوصول إلى الحقيقة ونصرتها، ويحبّ أن يعرف دينه دين المعرفة الحقة عليه أن يوقف نفسه على خدمة الإسلام وال المسلمين، وأن يعمل جاهداً ليساهم في سدّ الثغرات بين الطوائف الإسلامية، ولنزع ونبذ التعصّب الذي ساعد على تسلل أصابع المستشرقيين القدرة المغرضة التي ليس لها من هدف إلّا توسيع الخلاف بين المسلمين، وهأنذا أطرح واحدةً من الأمور التي فيها خلاف بين المسلمين وهي:

الجمع بين الصلاتين: من المسلم به أنّه لا خلاف بين المسلمين في جواز الجمع في عرفات بين الظهرين والعشاءين، وذلك للحجّاج فقط، وانختلفوا فيما عدا ذلك:

فمنهم من أجاز الجمع تقدیماً وتأخیراً لعدم السفر.

ومنهم لم يجزه في السفر كأبی حنيفة.

وأماماً الشافعي فقد أجاز الجمع في المطر بين الصلاتين تقديمًا في الوقت للأولى منهما.

وأماماً مالك فما أجاز الجمع بين الظهر والعصر بعد المطر.

وأماماً ابن حنبل فقد قال بجواز الجمع بين العشاءين فقط بعد المطر أماماً الجمع بين الظهر والعصر فما أجازه لا بمطر ولا بغیره.

وقد ذهب جماعة من الأئمة الأربع إلى جواز الجمع في كلّ وقت لمن لا يتخذه عادةً، وهذا قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك.

اما أصحاب الصحاح فقط اخرج مسلم: «عن انس أنّ الرسول ﷺ إذا عجل عليه السفر يؤخر الظهر إلى أقرب وقت العصر فيجمع بينهما، ويؤخر المغارب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق»^(١).

واخرج مسلم: «عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ الرسول ﷺ صلى الله عليه وسلم جمعاً والعشاء والمغارب جمعاً من غير خوف ولا سفر»^(٢).

كما أخرج مسلم أيضاً: «قال سعيد: فقلت لابن عباس ما حمله على ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أمته»^(٣).

أولاً: تدلّ هذه الآثار والشواهد بكلّ صراحة على جواز الجمع بين الصلاتين وأنّ ذلك مشروع بهدف التوسيع على الأئمة وعدم إخراجها وتفریقها.

(١) صحيح مسلم ٢: ١٥١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الرسول جمع بين الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علة بأذان واحدٍ وإقامتين»^(١).

ويقول الإمام أمير المؤمنين: «الجمع في الصلاة يزيد في الرزق»^(٢).

إِنَّ اللَّهَ سَبَحَنَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِظَرْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَبِأَحْوَالِهَا الاجتماعيةِ والمعيشيةِ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَذِكْرِ فَلَمْ يَجْعَلْ فِي الشَّرِيعَةِ السَّمْحَاءِ مِنْ حَرْجٍ عَلَى عَبَادِهِ، وَفِيهِمْ أَهْلُ الْعَاهَاتِ وَذُووَا الشَّيْخُوخَةِ وَأَصْحَابُ الْعَمَلِ وَالْمَرْتَبَيْنِ بِأَعْمَالِ وَظِيفَاتِ لَا تَنْتَهِي لَا تَنْقُضِي إِلَّا بَعْدِ فَوَاتِ أَذَانِ الْعَصْرِ، فَلَمْ لَا يَجُوزْ الْمُتَعَصِّبُونَ لِمَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الظَّهِيرَةِ أَنْ يَجْمِعُوهَا مَعَ الْعَصْرِ؟! إِنَّهُمْ بِذَلِكَ يَخَالِفُونَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنِ الرِّحْصَةِ فِي الْجَمْعِ، مَحَاوِلِينَ بِذَلِكَ إِيجَادِ الفرقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي أَمْرٍ وَاضْعَفَهُ لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ تَدْبِيرٍ وَتَمْحِيصٍ.

يقول الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسِيقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٣).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَقِ النَّهَارِ وَرُلَافًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾^(٤).

ويقول المفسرون إن الله سبحانه حدد ثلاثة أوقات تتضمن خمسة

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٧ حديث ٨٦

(٢) الخصال: ٥٠٥

(٣) الإسراء (١٧): ٧٨

(٤) هود (١١): ١١٤

فروض، ولم يقولوا بتعيين الظهر منفرداً عن العصر، ولا المغرب عن العشاء، بل قالوا: ثلاثة أوقات واضحة لا تحتاج إلى دليل.

وأماماً كيفية الجمع: فقد جاء كما أخذناه عن طريق الأئمة الأطهار وارثي العلم عن جدهم رسول الله ﷺ قالوا: إنَّ الوقت بين الظهر والعصر وقتُ مشترك فمتى صلَّى الإنسان الظهر فإنَّ بقية الوقت المتبقية من حِقَّ العصر لأنَّ الشريك الأول أخذَ حقَّه ووقته، وكلمة وقت مشترك أي جواز التقديم والتأخير في الجمع بينهما ألاَّ أنَّ الأول للأول بحيث إذا تأخرت صلاة الظهر إلى ما بعد العصر تصلي الظهر أولاً ثم تبدأ بعدها بصلاة العصر.

حديث: قال الصادق ع: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَالنَّاسِ الظَّهَرَ وَالْعَصْرَ حِينَ زَالَتِ النَّهَارُ مِنْ غَيْرِ عَلَةٍ، وَصَلَّى بَعْدَهُمُ الْمَغْرِبَ وَالْعَشَاءَ الْآخِرَةَ قَبْلَ سُقُوطِ الْشَّفَقِ مِنْ غَيْرِ عَلَةٍ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِيُتَسَعَ الْوَقْتُ عَلَى أُمَّتِهِ»^(١).

ونكرر القول إنَّ كثيراً من علماء المسلمين المفترضين أو أشباه الجهلة يأخذون مع الأسف بآراء المستشرقين دون أن يعرفواحقيقة مراميهم التي يمزجون فيها السم بالعسل.

يقول الإمام الصادق ع: «إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصالاتين»^(٢).

الحديث عن ابن عباس: «جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة في غير خوفٍ ولا مطر»^(٣).

(١) الكافي ٣: ٢٨٦، حديث ١.

(٢) الكافي ٣: ٢٧٦، حديث ٥.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٥٢.

إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ كُثْرَةُ الْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ وَعِيٍّ وَلَا تَدْبِرٍ، وَإِنَّمَا يَرِيدُهُمْ كَمَا قَالَ سَبَحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَنْهِرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾^(١).

يريد الله سبحانه وتعالى من الإنسان أن يكون عقله ممثلاً بمعاني ألفاظه ومفاهيم قراءته ليعي ما يقول.

حديث للإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نوم على يقين، خير من صلاة في شك»^(٢).

فالتشديد على وجوب الصلاة كل وقت في وقتها ما جاء في كتاب الله الكريم أمراً محسوماً وملزماً ومجزاً به، بل هناك الرخصة والفسحة للقيام بالواجبات، وهو سبحانه القائل: ﴿فَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣).

وقوله جل وعلا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٤)، والله يريد ويأمر ويحب أن تؤتي رخصه.

(١) الفرقان (٢٥): ٧٣.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٢٢ حكمة رقم ٩٧ وكتز العمال ٣: ٨٠، حديث ٨٨٠١.

(٣) التغابن (٦٤): ١٦.

(٤) البقرة (٢): ٢٨٦.

المسح على القدمين

من البدويات والمسلمات أنه لا يقبل ولا يؤخذ بقول الأعداء والمخالفين ما لم يؤيّد ذلك بإثبات من غير أهله، ويشهد به الآخرون، قاتل الله العناد الطائفي والتّعصّب الأعمى الذي طال ليله، وكثُر عشاقه المتعلّقون بقشور الأشياء، والذين سبّوا نكسات وجرّوا جنایات على المسلمين لا تغفر ونحن بأمس الحاجة إلى الوحدة بين المسلمين لنسْطِيع أن نسلك الطريق السوي، وأن نزيل عن طريقنا تلك العقبات المؤلمة.

فقضية المسح في الوضوء على القدمين تعتبر من قبل البعض مصيبة كبرى، وقد سمعنا بأذاننا الكثير من خطباء المساجد يقولون بتکفير كلّ من يمسح بالوضوء، ويعتبرون صلاته باطلة، بينما أرجوا أن الإسلام الأوائل من أصحاب المدرستين البصرية والكوفية الذين اختلفوا بينهم، كان منهم من قال بالغسل دون إنكار المسح، وآخرون منهم قالوا بالمسح دون إنكار الغسل.

فلماذا التشدّد والتّعصّب الأعمى إلى درجة إبطال الصّلاة وراء من يمسح؟! وهل هذا من الشريعة في شيء؟!

الآراء حول المسح:

مدرسة أهل البيت قالت: بوجوب غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ألا أعلمكم كيف وضوء رسول الله؟ قالوا:

بلى. قال: أتوني بسطت فيه ماء ثم حسر عن ذراعيه فغمس فيه كفه اليمنى ووضعها على جبهته ثم أسدلها على وجهه وأطراف لحيته مرّة واحدة، ثم غمس يده مرّة أخرى فوضعها على مرفق اليمنى وغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكف، ثم غرف بيمنيه فوضعه على مرفق اليسرى فأمر الماء على ساعده حتى جرّى على أطراف أصابعه ومسح مقدمة رأسه وظهر قدميه ببلة يساره وبقية بلة يمناه^(١).

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فاغْسِلُوْا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيکُمْ إِلَى الْمَرَاقِيقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسُكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٢).

نريد أن ندخل بالدلائل والقرائن إلى التأكيد أن الوضوء جاء في كتاب الله غسلتين ومسحتين.

١) التيمم في القرآن يأمر بمسح الوجه والأيدي، بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمَمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيکُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوا عَفُورًا﴾^(٣).

هذا دليل على أن مكان الغسل في الوضوء يمسح وبعض مكان المسح.

٢) لماذا يطبق التيمم عند جميع المذاهب في المسح على الوجه واليدين وإن اختلفوا، وبعد ضربات التراب فتجدهم يمسحون الوجه واليدين ويتركون الرأس والقدمين لأنهما مكان المسح.

(١) انظر من لا يحضره الفقيه ١: ٣٦، حديث ٧٤.

(٢) المائدة (٥): ٦.

(٣) النساء (٤): ٤٣.

(٣) يجيز المذهب الشافعي لبس الخف، وهو حذاء داخلي بمثابة الجوارب للقدم، ويجيز المسح عليه بدون أن يمسح القدم، فكيف يجوز المسح على ظهر الخف المصنوع من جلد حائل أو غيره ولا يجوز المسح على ظهر القدم مباشرة؟!

أما الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه قد أنكر المسح على الخفين. وورد عن عائشة (رض) النهي عن المسح على الخفين بقولها: «لئن اقطع رجلي أحب إلى من أن امسح عليهما»^(١).

وقد سُئل ابن عباس، هل مسح رسول الله صلوات الله عليه وسلم على الخفين؟ قال: «والله ما مسح رسول الله صلوات الله عليه وسلم على الخفين بعد نزول المائدة ولئن امسح على ظهر عير في الفلاة أحب إلى من أن امسح على الخفين»^(٢).

فبأي منطق وبأيّ فهم صحيح لكتاب الله يجوزون المسح على الخف
- وهو اجتهاد من الناس - ويحرّمون المسح على القدم ويکفرون صاحبه
- وهو أمر من الله - .

(٤) لا يوجد في كتاب الله إلّا آياتان بلفظة الغسل دليل صحته وقول أهل البيت، وكذلك لم يرد في القرآن بلفظة مسح إلّا آياتان، وقد ذكر ذلك الدكتور أبو الزهراء النجدي في كتابه الإعجاز العددية. وأن خير دليل وأقواء هو ما يشهد به الخصوم فقد أكد الكثير من إعلام السنة عطف الأرجل على الرؤوس أي إذا مسح الرأس مسح القدمان ومنهم الرازي في تفسيره الكبير^(٣)

(١) نيل الأوطار ١: ٢٢٣، وانظر التفسير الكبير ١١: ١٦٣.

(٢) بدائع الصانع ١: ٧ والممبسوط للسرخسي ١: ٩٨.

(٣) التفسير الكبير ١١: ١٦١.

أما الشيخ إبراهيم الحلبي في كتابه غنية المتملي في شرح قيمة المصلي وهو حنفي فقد قال: «الصحيح أن الأرجل معطوفة على الرؤوس في القراءتين ونصبها على المحل وجرها على اللفظ»^(١).

ويؤكّد ذلك العلامة أبو الحسن السندي في حاشيته على سنن ابن ماجة^(٢)، وأيضاً الطبرى في تفسيره^(٣).

أما ابن عباس والحسن وعكرمة وابن كثير فإنهم يقرؤون (وأرجلكم) بالخض وتأولوها على المسح.

وعن ابن ماجة بسنده عن رفاعة ابن رافع «أنه كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «وأنّها لا تتم صلاة لأحد حتّى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين»^(٤). والحق أحق أن يتبع.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٥).

فهذه الآية الكريمة ليست في مقام بيان كيفية الوضوء، ولا يستفاد من هذا النص أكثر من تحديد الأجزاء الواجبة في الوضوء، أما كيفية تنفيذ الوضوء والقيام به فقد أوضحها الرسول الكريم ﷺ في وضوئه.

(١) غنية المتملي: ١٦.

(٢) سنن ابن ماجة بشرح السندي ١: ٢٦٨.

(٣) جامع البيان: ٦: ١٧٨.

(٤) سنن ابن ماجة ١: ١٥٦، حديث ٤٦٠.

(٥) المائدة: ٦: ٥.

وإنَّ معنى قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ﴾، هي بيان العضو الذي يجب غسله، وإنَّ لفظه (إلى) تستعمل أحياناً بمعنى (مع) كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(١)، فلفظة: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ﴾، تعني بوضوح أيديهم مع المراقب، وقد أكَّد كثير من أعلام السنَّة عطف (الأرجل) على (الرؤوس) منهم الرازي في تفسيره الكبير^(٢).

و كذلك الجصاص في تفسير أحكام القرآن قال: «قرأ ابن عباس والحسن
وعكرمة وابن كثير (وارجلكم) بالخفض وتأولوا على المنسح»^(٣)، كما اخرج
أحمد بن حنبل في مسنده عن الإمام علي عليه السلام قال: «كنت أرى أن باطن
القدمين أحق بالمسح من ظاهرها حتى رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم يمسح
ظاهرهما»^(٤).

(١) الصف (٦١):

٢) التفسير الكبير ١١: ١٦١.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢: ٤٣٣.

(٤) مسند أَحْمَد ١: ٩٥

العرفان ونشأته

عندما تسلّم الخلفاء الأمويين دفّة الحكم في أواخر القرن الأول منبعثة النبوية دفع بهم الترف والرفاهية وشيطان المال وغريرة التملك والسيطرة والتسلط إلى الانصراف لإشباع حاجاتهم وغراائزهم في اللهو والمجون والعمل على نشر الفساد، وتشجيع مجالس الطرف والغناء، والبذخ والعطاء في غير وجه حق.

وكان كل ذلك على حساب مصالح الناس ومقدرات الدولة الإسلامية حتى انتشرت وراجت أسواق الجواري والقيان مما أحدث هوئاً قاتلاً في نفوس الشباب فتعطلت أو انحرفت طاقاتهم وقدراتهم الفكرية والإدارية والسلوكية وغرقوا بأحوال تلك الحال: (أوليس الناس على دين ملوكهم).

وكرد فعل من المتمسكين بدينهم والمحافظين على شريعة الإسلام وقيمها البليدة فقد انصرف هؤلاء إلى الزهد والتقصّف والعزلة كوسيلة للهروب من هذه الأجواء التي لم يكونوا ليستطيعوا تغييرها، وتعطلت أو تجمّدت فاعلياتهم الحركية والثورية ذلك؛ لأنّهم اتخذوا الدين كوسيلة لارتباط الإنسان روحاً بالله سبحانه وتعالى من تفكّر بالذات الإلهية، وإثبات واجب الوجود عن طريق العقل والدليل، وإنما كان أمرهم عشوائياً لتعطيلهم دور العقل والتعامل مع القرآن الكريم بشكل حركي تقتضيه المصلحة الشرعية والواجب الفردي والجماعي لحفظ الإسلام وما جاء به من معطيات لبناء الحياة بناءً صحيحاً في سبيل إسعاد البشرية.

أمّا خلفاء بنى أمية وبني العباس فقد استبشروا خيراً، وفرحوا بانطواء هؤلاء الناس عن الجماهير، وبوضعهم الاسترخائي الزاهد بعيد عن روح الإسلام الثورية التي لا تقبل الظلم والفساد والمنكر والعدوان والبغى، وقام أولئك الخلفاء بكلّ طاقاتهم بتشجيع أولئك الزاهدين بهدف كبت روح التحرير واليقظة في مجتمع يفور ويغلي، ويريد أن يثور على الظلم والفساد.

وما هذه التشعبات الكثيرة وتعدد المذاهب وتشعب الطرق وتکفير الناس بعضهم لبعض إلّا إفرازاتٌ من هذا الماضي الذي أوجد الضعف في النفوس والعقول حتّى خيم الاستعمار بأشكاله القديمة والحديثة واليهودية الاستيطانية العنصرية في وطننا.

ظهور أهل الرهد والتصوّف: يذكر السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في كتابه الشيعة في الميزان:

أن أول الصحابة في القرن الأول بعد وفاة الرسول الكريم ممن سلكوا طريق العرفان الحقيقي المبني على القواعد الإسلامية وفقاً لعقليّة «سليمة» متفتحة، للتعرف على الذات الإلهية المتعالية».

أقول إنّ أولاً لهم هو سيدي الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان من أصحابه وتلامذته سلمان الفارسي، وأويس القرني، وكميل بن زياد، ورشيد الهجري وميش التمار، هذا في القرن الأول.

أمّا في القرن الثاني فقد أتت بالدرجة الثانية طائفة أخرى ادعوا باتباع الرعيل الأول، منهم طاووس اليماني، ومالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، وشقيق البلخي، كانوا يسمون بالزهاد أو أولياء الله الصالحين.

أمّا في القرن الثالث فقد ظهر الكثير منهم أبو يزيد البسطامي، ومعروف

الكرخي، والجنيد البغدادي، وغيرهم ممن سلك طريق العرفان وادعى المكاشفة والمشاهدة اقتداءً بسلفهم حسب ادعائهم، وكان ادعائهم هذا وأقوالهم متصفة بظواهر لاذعة أثارت أقوال الفقهاء والمتكلّمين، واحتاجاجهم سبب فتناً كثيرة وصدامات كبيرة أدّت بالكثير من الناس إلى السجون أو إلى أعواض المشانق.

ثم جاء بعدهم في القرون التالية أناس ادعوا أنّهم يمتلكون القدرة حتّى على معرفة أهل الجنة من أهل النار، وأهل الرحمة من أهل العذاب، ووضعوا أنفسهم موضع القادة في الدين والدنيا، وإعمار الحياة بما يُسعد البشرية، وبكلّ أسف فقد عاشت هذه الأفكار القشرية واستمرّت حتّى يومنا هذا مع أنّها لا تنسجم بأيّ شكل من الأشكال مع معطيات القرآن الكريم.

ومن الملفت للنظر أنّ تلك الأفكار القشرية البعيدة عن معطيات القرآن الكريم - كما قلنا - ما تزال تتّسع وتزداد في البلاد الإسلامية يوماً بعد يوم، ولكلّ من تلك الأفكار طريقها وتشعباتها وشيخها الذي غالباً ما يكون على خلافٍ مع شيخ الطرق الأخرى.

وقد ادعى شيخ الطرق هؤلاء - دون الرجوع إلى القرآن الكريم أو دراسته دراسة صحيحة - أنّهم هم قادة الدين والدنيا، وإعمار الحياة بما يسعد البشرية، وأنّهم قد توصلوا إلى جوهر الدين وحقيقة متوهّمين بذلك أنّهم يقومون بتعزيز الحياة الروحية واعتماد الحكمة في السلوك مما يتّيح القدرة على استعمال القوة في ميدان الإرادة لإزالة الموانع من أمام البصيرة، وليسهل عليهم العروج الروحي والعقلي وسير الغيب والاتصال به.

لكنّهم - مع الأسف - لم يعملوا أبداً على شحد الفكر وتحريره من القيود الذاتية والرواسب الاجتماعية المصطنعة متوهّمين أنّ العرفان فوق

العقل، وضالّين عن طريق القرآن الكريم والنبي المصطفى ﷺ الذي عمل على إثارة كوامن العقل، وربط العالم المادي بالعالم الروحي عن طريق الفكر والدليل، والشريعة التي هي جوهر العقل وليس كما سلك أولئك ونسجوا لأنفسهم عالماً خيالياً خاصاً بهم ادعوا أنّهم اختاروا عناصره من الدين والأساطير والعلوم الشائعة على أساسٍ خاطئ لا يعتمد على القرآن الكريم وسنة رسوله.

وكان منهم ما يسمون أهل الكشف، وآخرون المتتصوفة مع أنّهم كانوا سبيكةً واحدة من معدن واحد مشوب غير نقى ولا صافى. وقد استحوذت عليهم، وسيرتهم أفكاراً مغلولةً بعيدةً عن الحقيقة، وخيم عليهم القلق والكدر؛ لأنّ أىّاً منهم لم يستطع أن يترجم حاله وعلومه وزهده وتصوفه إلى إسلام حركي بناءً للحياة وفاعل فيها، وبقى محاصراً ومقيداً يسيطر عليه كره الحياة والابتعاد عنها والمعاداة لها والتشهير بها والتمرد عليها.

ويشهد أنّه غير مسؤول عن الشرّ في هذا العالم؛ لأنّه يرى نفسه بريئاً كبراءة الطفل، ومستقلّاً بذاته عن العالم، ولا حاجة له بالحفظ على بيضة الإسلام أو إلى مقارعة العدو والاستعمار أو بناء تقنية العصر العرفانية، ولا يرى في الحياة إلّا الزهد الخاوي والهروب والمنفعة الذاتية، فهل تأمر الشريعة بذلك أو ترضى عنه؟!

ومما يدفع على الدهشة والتعجب أنّ من يسمون أنفسهم أهل الكشف والعرفان حتّى في عصرنا الحديث يحثّون المتتصوفة على التمسّك بهذه الطريقة والبقاء عليها مدعّين أنّها هي وحدها التي توصلهم إلى الذات الأحادية فيعيشون على رحى الذوق العلوي ووجданه.

نحن نقول وبالاستناد إلى القرآن الكريم أنّ معرفة الله واجبة بالعقل ومستقاه منه، وإن كان السمع قد دلّ عليه بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١). إن شكر النعم واجب بالضرورة، وآثار نعمه الكثير ظاهرة علينا، فكيف لا نشكر ذلك المعطي الكريم والرازق الرحيم؟! والعقل والشرع هما اللذان يحققان للناس سعادة الدنيا والآخرة.

الخلاصة: العقل والشرع متآزران متعاضدان لا يمكن الفصل بينهما أو أن تجد بينهما أي تضاد، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾^(٢).

يقول الفيض الكاشاني: «اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لن يتبيّن إلا بالعقل، والعقل كالأساس والشرع كالبناء، ولن يثبت بناء مالم يكن أساس، ولن يفنى أساس مالم يكن بناء»^(٣).

وأيضاً العقل كالسراج، والشرع كالزيت الذي يمدّه، فما لم يكن زيت لا يشتعل السراج ومالم يكن سراج لا يضيء الزيت.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُ نُورِهِ كَمِشْكَاء﴾^(٤).

وأيضاً مرّة أخرى فالشرع عقلٌ من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان بل ويتحدا، ولذلك سلب الله تعالى اسم العقل من الكافرين في مواضع

(١) محمد (٤٧): ١٩.

(٢) الإسراء (١٧): ٩٥.

(٣) انظر الأصول الأصيلة: ١١٨.

(٤) النور (٢٤): ٣٥.

كثيرة من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿صُمْ بِكُمْ عُمَّيْ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١).

إذا سمي العقل ديناً فلكونه متحداً مع الشرع وباتحادهما هذا يكونان نوراً على نور، آية ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء﴾^(٢). يقول بعض الحكماء إن الإلهام إلهامان اثنان حقيقي وغير حقيقي، أما الحقيقي: فلا يتأتى إلا بتسوية النفس وتهذيبها بالأخلاق المرضية والأعمال الحميدة وأن يكون ذلك العمل مطابقاً للإسلام وموافقاً للشرعية الملائمة لضروريات الحياة والوجود.

آية قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَهْمَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٣).

فيكون عند الإنسان إلهامان اثنان، أولهما المطابق للشرع، وثانيهما المطابق للهوى والخواطر الشيطانية، ولا يمكن التمييز بينهما إلا بوجود الإمام بعد الرسول لأن الإمام هو وكيل الرسول وحافظ الدين وصائن الشرع.

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

فكلّ من يدعى التصوّف والكشف ولم يكن سالكاً طريقة أهل البيت وأولهم سيد الأولياء والعارفين الإمام علي عليه السلام لا بدّ وأن يقع في خطأ فاحش يؤدي به إلى أدنى موقع من موقعه بعد عن الحقيقة وجواهر الدين، وتكون قدمه على شفا جرف هاو، وأماماً من يسلك طريق أهل البيت عليهما السلام بأعماله المطابقة للشرع؛ فإنه سيصل إلى الكثير مما خص الله به أئمّة الهدى بعبادة عن يقين فيها الإيمان والحب والإخلاص.

(١) البقرة (٢): ١٨.

(٢) النور (٢٤): ٣٥.

(٣) الشمس (٩١): ٧ - ٨.

(٤) الأبياء (٢١): ٧.

التصوّف والحقيقة:

إن التصوّف لم يكن لبناء الإنسان العابد لله والملتزم بشرعه وإنما هدفه الوصول إلى مذاقات الاتصال بالوجود المطلق والفناء به أو إدراك الحقائق إدراكاً بالعيان والقلب، وهذا لا يصح أن يكون هدفاً وطريقاً صحيحة لبناء صريح الإسلام الحركي.

ومن الملفت للنظر أن عدد وحجم الطرق الصوفية يزداد باضطراد واستمرار في شتى أنحاء العالم الإسلامي برغم كل الخلافات القائمة بين تفرعات تلك الطرق وكثرة فرقها، ولقد كان التوسيع فيها على الشكل التالي:

لكل فرقة منهم شيخ من الشيوخ، وبقية أعضاء الفرقة تسمى مریدین للشيخ، وهم دائماً يتذمرون أثره ويتبعون خطاه، ويسمونه قطباً، وهو باعتقادهم أكمل إنسان في مقام الفردية، وهو موضع نظر الله في الأرض، وفي كل مكان تدور عليه أحوال الخلق، وهو أي شيخ الطريقة يسري في الكون سيران الروح في الجسد، ثم يفيض على أتباعه روح الحياة وهو ملجاً الملهم المحتاج إليه حتى أطلقوا عليه لقب (الغوث).

وفي اعتقادهم الصوفي أن مهمّة القطب هي الخلافة العظمى إليه من الله الذي جعله المفترد في تصريف الأحكام وتنفيذها فلا يحدث شيء بين الخلق، ولا يصح إلا وفقاً لأحكام ذلك القطب وعليه، وكلما مات قطبُ أقيم مكانه واحد من يسمونهم الأوتاد، أي أهل الدرجة الثانية الذين يساعدهم الإبدال، والبدل في اعتقادهم هو صفو روحانية تجتمع إليها أرواح الناس في ذلك البلد الذي رحل عنه القطب.

أمّا عدد الإبدال فهو أربعون موزّعين بين الشام والعراق، ثمّ يلي هذه المرتبة مرتبة من يسمّونهم النجاء، وعدهم سبعون ويأتي النقباء في المرتبة الأخيرة ويتوهّمون أنّ هؤلاء النقباء هم الذين يستخرجون خبايا الأرض، وعدهم ثلاثة نقيب.

هذه دولة التصوّف والباطن. فأين هي من إمامية الشيعة التي تقوم على أساس المرجعية والتي ترى أنّ مهمتها الأولى هي رعاية المسلمين وهدائهم وإرشادهم دينياً وسياسياً، وإقامة العدل على الأقواء والضعفاء في الدولة الإسلامية على حدّ سواء؟ ثمّ يتولّى رعاية أمور المسلمين في هذه الحال الفقهاء ومراجع التقليد من إصدار الفتاوى واستنباط الأحكام الإلهية في كلّ ما يهمّ المسلمين من أمور حياتهم الدينية والاقتصادية والسياسية، وهم الذين يرجع إليهم الناس ليعرفوا كلّ الأمور التي تتعلّق بأحكام الشريعة الإسلامية وحلولها.

ينطلق اعتقاد الشيعة الإمامية بأنّ وكلاء أهل البيت عليهم السلام هم المراجع في مثل تلك الأمور، فقد قال علي بن الحسين عليه السلام: «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولو لا ذلك لم يعبد الله»^(١).

وقد أوصى الرسول على إمامية علي عليه السلام ثمّ إلى الحسن عليه السلام ثمّ إلى أخيه الحسين عليه السلام وهكذا إلى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام.

أمّا العرفان في الفكر الشيعي: فهو بخلاف مراحل التصوّف ابتداءً من حالة الزهد السلوكي ومروراً بحالة الفلسفة الصوفية التي تدعوا في بعض

(١) كمال الدين: ٢٠٧، حديث ٢٢.

حالاتها إلى الفناء والاتحاد كما عرفنا عند ابن عربي والحلاج.

وإذا أردنا أن نعرف الفكر الإسلامي الشيعي أفراداً وجماعات من أهل الزهد والعرفان فمما لا شكّ فيه ؛ فإنّهم قد حازوا على أسمى المقامات وأعلى صورها، دون أن يكونوا أتباعاً لإسلام منفصّم مسترخٍ يعالج المجال الروحي ويغفل المجال البنائي للحياة بكلّ أبعادها بل أخذوا عن أئمتهم تراثاً بالعرفان العلمي المملوء بمجاهدة النفس وردع الشهوات، ثمّ التعبئة الكاملة للناس في سبيل حماية الإسلام من المندسين والمخرّبين أعداء الدين، ولنا مثل أعلى وقدوةُ أولى في الصلاح، تلك التي يمثلها الإمام علي عليه السلام وهو سيد العارفين والصالحين وهو القائل: «لو كشف لي الغطاء ما ازدلت يقيناً»^(١).

وهو المعبر عن الوصول إلى النفحات العرفانية التي نشرها في خطبه وعظاته وإرشاداته للناس ومنها: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده»^(٢).

ويقول عليه السلام في موضع آخر: «ومن عده فقد أبطل أزله»^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب ٣١٧:١.

(٢) نهج البلاغة ١:١٤.

(٣) المصدر السابق ٢:٤٠.

البدع

ليس في الخليقة مثل الإنسان حين يستخدم عقله وينير بالوحي بصيرته ؛ لأن العقل قبس من نور الله الذي أودعه في ضمير الإنسان، وبدونه لا يكون الإنسان إلا حفنة من التراب، وإن ما نجده اليوم من الحضارات والتقدم العلمي، وما ننعم بخيراته ما هو إلا من بركة التجليات العقلية حيث أبدع العقل عند المبدعين، واكتشفوا كنوز أنفسهم، وتمتّعوا بلذة التحرر والانطلاق بقوّة نور البصيرة.

لقد جاء الإسلام الحنيف تتويجهً لرسالات الله منبئاً العقل إلى أهداف الرسالة حتى أنه جاء ذكر العقل بمترادفاتة المختلفة سبعمائة وخمسين مرّة في القرآن الكريم دلالة و توكيداً على أهميته.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمَّيَّ الَّذِي يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمُعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيَّابَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِضْرَارُهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

وقد ينشأ عن الجاهلية المتمثلة في إهمال العقل ورفضه حالة قشرية تدفع الفرد إلى التمسّك بالتقالييد والإعراف الماضية أيناً كانت تمسكاً شديداً، لأنّه في هذه الحالة لا يريد أن يتحمّل مسؤولية التفكير وإعمال الفكر في حركة

(١) الأعراف (٧): ١٥٧.

منطلقة نحو المستقبل، وفي محاولة لإنقاذ النفس والعباد من أصنام البشرية وتحريرهم من الخوف والرهبة والجزع والاستسلام أمام الطبيعة.

ان اهتمام الإنسان بالماضي، وجعله بدليلاً عن الحاضر، هو الذي يحدّ من تطلعات الإنسان، ويعرق طموحه فيجعل دروبه مليئة بالغرق في حتى ليعجز عن الفهم والتحصيل واستخدام إرادته الحرة للوصول إلى أهدافه.

وما أسرع ما دخلت على المسلمين القشريين البدع المختلفة، وذلك عن طريق التفسير الخاطئ للدين الذي قلب الحقائق رأساً على عقب، لأنَّ القناعات والمفاهيم الفكرية متى فسّرت فقد فسد كلُّ شيءٍ في الإنسان.

والآن لتساءل ما هي البدعة؟:

البدعة: لغوياً هي الإضافة وليس النقصان، وهي هنا إضافة منسوبة إلى الدين.

يقول الرسول ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعله لعنة الله»^(١).

ويقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أحدثت بيعة إلا ترك بها سنة فاتقوا البدع وألزموا المهاجرين إِنَّ عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها»^(٢).

وكثيراً ما تكون البدعة ذريعةً لصاحبها طلباً للمنفعة ولكن محاولته لا تنجح لإنه اتبع سبيل البدعة.

حديث من الرسول ﷺ: «عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في

(١) الكافي ١: ٥٤ حديث ٢.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٨ - ٢٩.

بدعة^(١).

ويأمرنا الدين بمحاربة أهل البدع ومحاصرتهم اجتماعياً ونهيهم عما هم فيه حتى لا تنتشر بدعهم ويضل الناس بها.

يقول الرسول ﷺ: «من أتى ذا بدعة فعظمها فإنما يسعى في هدم الإسلام»^(٢).

إن الاختلاف بين المسلمين ليس في أصول الدين، ولا في نزول الوحي، وإنما هو في تفسير المبادئ، فإذا راح يفسر كل واحد حسب رأيه وعلى هواه، ثم ينسب ذلك إلى الدين فقد تعصب وابتدع وافتوى على الله كذباً، ولذلك يتوجّب على الفقهاء العدول والعلماء والدعاة إلى الله أن يرفضوا هذه البدع، وأن يحولوا دون انتشارها بين العوام؛ لئلا تكون لهم ديناً وعقيدة من دون الدين الصحيح.

يقول الرسول الكريم ﷺ: «إذا رأيتم أهل البدع فباهتوهم»^(٣) أي بالحجّة آية: ﴿فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهِيءِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

قصة: جاء جماعة إلى رسول الله يريدون الدخول في الإسلام فوضّعوا ثلاثة شروط:

- ١) أن يبقوا في أصنامهم سنة كاملة.
- ٢) أن لا يصلوا صلاة المسلمين إلاّ بعد سنة.

(١) الأُمالي للشيخ الطوسي: ٣٨٥، حديث ٨٣٨

(٢) الكافي ١: ٥٤، حديث ٣

(٣) انظر المصدر السابق ٢: ٣٧٥، حديث ٤.

(٤) البقرة (٢): ٢٥٨

٣) أن يقوم الرسول بنفسه بتحطيم أصنامهم.

قال الرسول ﷺ الشرط الثالث مقبول والبقية مرفوضة.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَهَادِنْ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَلَمْ يَقْبَلْ بِقَائِمِهِ عَلَى عِبَادِهِمْ يَوْمًاً وَاحِدًاً، وَمِنْ هَنَا نَسْتَخْلُصُ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا إِلَّا بَعْدَ إِعْدَادِهِمْ إِعْدَادًا مُتَكَامِلًا انْطَلَاقًا مِنْ رِعَايَةِ الْغَنْمِ حَتَّى رِجَاهَ الْعُقْلِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْابْتِلَاءِ لِيَكُونَ أَهْلًا لِتَحْمِلِ الرِّسَالَةِ، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ بِرِسَالَةِ السَّمَاءِ طَالِبًا إِلَيْهِ تَوْجِيهَ النَّاسِ تَوْجِيهًا رَسَالِيًّا مُتَمَاسِكًا وَلِيَزْرَعَ فِيهِمْ بِذُورِ الْعِقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ الْجَلِيَّةِ الصَّافِيَّةِ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ، ثُمَّ يَوْحِي بَعْدَ ذَلِكَ بِوجُوبِ الْابْتِعَادِ عَنِ الْبَدْعَةِ؛ لِأَنَّ «كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١).

إِنَّ الْوَصْوَلَ إِلَى الْحَقِّ بِغَيْرِ طَرِيقِ الْحَقِّ بَاطِلٌ. لَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا إِذَا أَرْدَتَ أَنْ تَبْنِي مَسْجِدًا وَرَحْتَ تَحْدِثُ النَّاسَ أَحَادِيثَ مُخْتَلِقَةٍ مِنْ نَفْسِكَ لِتَشْجُعَهُمْ عَلَى الْعَطَاءِ؛ فَإِنَّ سَبِيلَكَ إِلَى بَنَاءِ الْمَسْجِدِ هُوَ سَبِيلٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ، وَهَذَا مَا يَرْفَضُهُ الْإِسْلَامُ الَّذِي لَا يَرِيدُ مَسْجِدًا يَبْنِي عَلَى التَّمْلِقِ وَالْحِيلَةِ وَأَسَالِيبِ الْكَذْبِ وَالْخَدَاعِ.

ثُمَّ إِذَا أَرْدَتَ أَنْ تَقِيمَ مَوْلَدًا إِحْيَاءً لِذِكْرِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّ كَانَ ذَلِكَ الْعَمَلُ بِنِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَبِالطَّرِيقَةِ الشَّرِيعَةِ فَهَذَا حَلَالٌ، وَلَكِنْ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ مَالَمْ يَفْعَلُهُ الرَّسُولُ مِنْ قَبْلِ كَالْدَفْ وَالْطَّبْلِ وَالضَّرْبِ بِالشَّيْشِ بِغَيْرِ إِظْهَارِ إِبْرَازِ بَعْضِ الشَّخْصِيَّاتِ، فَهَذَا حَرَامٌ وَصَاحِبُهُ آثِمٌ أَمَامَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ بَلْ هُوَ بَدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ.

(١) الكافي ١: ٥٧، حديث ١٢، والحديث عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله ﷺ.

الخرافات

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَنْلُوُ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمُلْكَيْنِ بِبَأْبَلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلَّمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يِإِذْنِ اللَّهِ ﴾.

يقول سبحانه: ﴿ وَآتَاهُ كَانَ رِجَالٌ مَّنِ الْإِنْسِ يَعْوِذُونَ بِرِجَالٍ مَّنِ الْجِنِ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا * وَآتَهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾.

إن الاستعلاء والاستكبار والأنانية المفرطة وحب الذات والابتعاد عن الخير وعن خدمة ومحبة الناس كلها من صفات الأمة العنصرية ﴿ وَقَالُوا قُلُّنَا غُلْفٌ ﴾.

ومثل هذه الأمة تبتعد عن توجيهات الله سبحانه وعن سنن التاريخ وتجارب الناس، وتشوه الحقائق، وليس أمامها بعد ذلك إلا الهبوط إلى حضيض السحر والشعوذة والدجل.

كانت الشياطين تخدم وتطيع النبي الله سليمان، وبعد موته خلفت هذه الأجراء وراءها مجموعة من العقائد والأفكار الباطلة؛ لأنّ عنصرية الشعب حين ذلك ولدت عنده القناعة بأنّ هذه الأفكار هي من عند الشياطين الذين كانوا حول سليمان وفي خدمته، وظنوا أنّه مadam سليمان نبياً فإن هذه الأفكار هي من

عند الله، والتَّبَسُّ علىْهِمْ الْأَمْر فَتَرَكُوا كِتَابَ اللهِ الْمَنْزَلَ، وَاتَّبَعُوا أَفْكَارَ الشَّيَاطِينَ.

وَبِمَا أَنَّا لَا نُؤْمِنُ بِالسُّحْرِ، وَلَا بِالسَّاحِرِ لَمَا يَحْمِلَنَاهُ مِنْ خَطْوَرَةٍ فِي رِبْطِ النَّاسِ بِالخَرَافَةِ وَالتَّضْلِيلِ وَالتَّمْوِيهِ، وَالابْتِعَادُ عَنِ الطَّبِيعَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلأَشْيَاءِ تَحْتِ سَتَارِ مِنَ الْأَسْرَارِ الْغَامِضَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا ارْتِبَاطٌ بِالْجَانِبِ الْحَسِنِيِّ فِي قَضَايَا الْحَيَاةِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَهِيَ تَفَقَّرُ إِلَى الْأَدَلَّةِ الْشَّرِعِيَّةِ وَالْوَجْدَانِيَّةِ، وَمَا هِيَ إِلَّا ضَرْبٌ مِنَ التَّخْيِيلِ وَصَنْعَةٌ مِنْ لَطِيفِ الصَّنَائِعِ الَّتِي أَمْرَ اللَّهُ بِالْتَّعْوِذِ مِنْهَا فِي سُورَةِ الْفَلْقِ.

حَدُودُ عَمَلِ الشَّيَاطِينِ: يَتَبَيَّنُ لَنَا مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الشَّيَاطِينَ عَامِلُونَ قَائِمُونَ بِذَاتِهِمْ، لَهُمْ عِبَادَاتُهُمْ وَتَصْرِفَاتُهُمُ الْخَاصَّةُ بِهِمْ، الْمُخْتَلِفَةُ عَنِ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عِنْدَهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَى اخْتِرَاقِ بَعْضِ الْأَجْوَاءِ؛ لَأَنَّهُمْ أَجْسَامٌ شَفَّافَةٌ وَغَيْرِ مَرئِيَّةٌ يَصْلُونَ إِلَى عَالَمِ خَارِجِ عَالَمِهِمْ، وَيَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ مِنْ أَحَادِيثِ الْمَلَائِكَةِ وَأَصْوَاتِهِمْ، وَقَدْ هَيَّأَ اللَّهُ لَهُمْ شَهَادَةً تَرْجِمُهُمْ وَتَسْقُطُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ حِيثُ يَلْتَقِونَ مَعَ بَعْضِ بَنِيِّ الْإِنْسَانِ مِنَ الَّذِي اعْتَمَدُوا عَلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ مَقَابِلَ بَعْضِ الْأَمْرَوْنَ الدِّينِيَّةِ التَّافِهَةِ كَمِثْلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ الَّذِينَ نَزَلُوا بِيَابِلٍ عَلَى طَبِيعَتِهِمْ إِنْ كَانُوا مَلَائِكَةً أَوْ مِنَ الْجِنِّ فَعَلِمَّا النَّاسُ السُّحْرَ لِيَكُونُ تَبِيَانًا لِخَطْرِ هَذَا الْعَمَلِ، وَلِيَكُونَ حَجَّةً عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ نَشْرَ الضرَرِ بَيْنَ بَنِيِّ الْبَشَرِ، وَيَفْرَقُونَ مَا بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ إِنَّمَا يَعْصُونَ اللَّهَ وَيَكْذِبُونَ عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ يَسْمَعُونَ أَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ بِحَقِّهِمْ وَإِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِنِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا ﴾^(١).

(١) الجن (٧٢): ٦.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُّخْرُفَ الْقُولِ ﴾^(١).

وهذا دليل على أن بعض الناس يستعينون برجال من الجن سيطروا عليهم بطرق محرمة وبالطلسم المستخرجة من أعمال محرمة حتى صاروا يستطيعون الكلام مع الجن.

إن الشيطان أو الجن لا يعرفان من أسرار الحياة وأسرار الناس إلا القليل، ولا يعلمان إلا بعض الأشياء عن الماضي من zaman، وليس لهما القدرة على معرفة المستقبل، وهم ينقلان إلى أصحابهما بعض الأخبار فيتظاهر بها الساحر أمام الناس، ويصدقه السذج في هذه المعلومة الضئيلة التي يبني عليها الساحر بقية المسرحية من خياله فيرهق نفسه بالكذب ليكمل معلومة الجن ويقي من مرهقاً مسلوب الضمير والوجدان؛ لأنّه امتهن المكر والخداع، أكثر من الشيطان.

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكْرُوْا مَكْرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ لَتُزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾^(٢).

إن كيد الشيطان أضعف من قدرات الإنسان بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾^(٣).

الحياة مادّة، والإنسان أعلم بها من غيره، ولو كانت الشياطين تعلم

(١) الأنعام (٦): ١١٢.

(٢) إبراهيم (١٤): ٤٦.

(٣) النساء (٤): ٧٦.

لأخبرت الملوك وأصحابهم عن خزائن الأرض وكنوزها.

إِنَّ السُّحْرَ عَمَلٌ حَرَامٌ يَخْرُجُ بِهِ صَاحِبُهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ مُوْغَلًا فِي الشُّرِكِ
وَالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، وَالسَّاحِرُ وَطَالِبُ السُّحْرِ كُلُّهُمْ فِي الْجَرْمِ سَوَاءً.

الإسلام الجغرافي (تأثير البيئة): عندما نقول: فلان مسلم أو غير مسلم منطلقين بذلك من موقع جغرافي معين يعيش فيه ذلك الشخص، فإذا كانت بيئته مسلمةً بحكم التقليد والوراثة أطلقنا على ذلك الشخص صفة الإسلام، ولكن إسلام تقليدي جغرافي يتلاطم مع الوسط والبيئة التي يعيش فيها.

أما الإسلام الواقعي الذي يحمل القيم الروحية السماوية فإنَّ المسلم فيه قد استوعب حقيقة الإسلام والتسليم في قلبه وأوسع للحقيقة مكاناً في صدره ليأخذ بما هو حق، وليعمل به بعد أن فحصه وتحقق منه بعيداً عن التعصب، وحاشا الله أن يعذّب إنساناً دون أن تكون الحجّة عليه تامة.

حيث إنَّ علماء الأصول قالوا: «قبح العقاب بلا بيان»^(١).

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمُوتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيْكُمْ أَخْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢).

قال أحسن عملاً، ولم يقل أكثر عملاً؛ لأنَّ الإنسان إذا قام بعمله بداعي الرياء وجلب المنافع المادية؛ فإنَّ لعمله حينئذ بعدها واحداً فهو ناجح بحكم واقع الحالة الاجتماعية، ولكنه فاشل ومغضوبٌ عليه من حيث البعد المعنوي الإلهي، خادعاً نفسه وإخوته في الإيمان ومحاولاً خداع ربّه.

(١) كفاية الأصول: ٣٤٨ و ٣٥٦.

(٢) الملك (٦٧): ٢.

إنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَعْرُفُ اللَّهَ لَا يُسْتَطِعُ تَمْزِيقَ الْحَجَبِ، وَلَا تَجْتَازُ نَفْسَهُ
الْمَرَاحِلُ الرُّوْحِيَّةُ لِيُنَالُ السُّرُورُ وَالسُّعَادَةُ وَالظَّمَانِيَّةُ الرُّوْحِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَرِيدُ
الْعَمَلَ صَادِقًاً حَيًّا وَلَا يَرِيدُهُ خَادِعًاً مِيَّتًا لَا رُوحَ فِيهِ، فَإِذَا أَدْعَى الْمُسْلِمُ الزَّكَاةَ
وَخَالَطَهَا شَيْءٌ مِنَ الرِّبَا فَإِنَّ هَذِهِ الزَّكَاةَ مَرْدُودَةٌ وَغَيْرُ مَقْبُولَةٌ، وَإِذَا زَحَفَ
الْمُسْلِمُ إِلَى الْجَهَادِ وَخَالَطَ ذَلِكَ الرِّيَاءَ وَحَبَّ الظَّهُورِ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ مِنْهُ.

ما أَكْثَرُ الْأَعْمَالِ الْفِصْحَمَةِ الَّتِي تَبَدُّلُنَا فِيهَا عَنْدَ اللَّهِ لَا تَسَاوِي
قَطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ النَّحَاسِ الْأَسْوَدِ كَالْقَصُورِ وَالْمَعَابِدِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْمَشَافِيِّ
وَالْمَدَارِسِ الَّتِي يَتَبَرَّعُ بِهَا بَعْضُ عُشَاقِ التَّظَاهِرِ وَالْغَرُورِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُصَالِحِ
الْدُّنْيَوِيَّةِ.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١).

ضرب من الخرافات: نعيش في بلدنا عادات وتقالييد قديمة تحكم
بالإنسان، وتقيّد حر كاته، وتعزله نحو المستقبل، ومن أهم وأخطر
تلك التقالييد عادة منكرة صارت كالخطبوط يتعلق حولها الجاهلون وبعض
العلماء، وهي قضية الضرب بالشيش والسلاح وقلع الأعين كما يدعون،
وإدخال اليد في البطن وإخراج ما فيها من طعام، وإطلاق الرصاص على
الرؤوس والأجسام (الأمر هكذا).

إنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُونَا أَنْ نَلْتَزِمَ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى أَسَاسِ الْمَفَاهِيمِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَأَنْ
نَحْفَظَ عَلَى صَفَائِهِ فِي جُوْنِ الصَّفَاءِ الَّذِي يَرِيدُهُ لَنَا اللَّهُ، وَأَنْ تَبَيَّنَ الْخَطُوطُ
الْفَاصِلَةُ مَا بَيْنَ خَطِيِّ التَّوْحِيدِ وَالشَّرْكِ، وَأَنْ لَا تَنْتَرِكَ وَفَقَاءً لِأَسَالِيبِ الْلُّفْ

(١) فاطر (٣٥): ١٠.

والدوران والمصانعات والمجاملات التي لا يقرّها الإسلام، ولم ي عمل بها المصطفى محمد ﷺ.

إنّ قضية الضرب بالشيش والرصاص وما شابهها غرق فيها الكثير من الناس ما بين عالم وجاهل وكبير وصغر في مجتمع مسلم يعيش فيه الناس في فترة هي أسوء فترات تاريخنا، فترة يعجز فيها المسلم الوعي أن يعالج هذه العقائد المزيفة والتّيارات المنحرفة التي تعتبرها كارثةً على الإسلام والمجتمع المسلم، والتي ستلد لنا عاجلاً أم آجلاً نتائج بشعة قاتلة تعيق كلّ فهم صحيح لروح الإسلام، وكلّ تقدّم وتطوّر يطالب به الإسلام لكلّ حركة وعي، ولكلّ محاولة فهم إسلامي صحيح، وسلوك إسلامي صحيح.

هذا بالإضافة إلى أنّ مثل هذه الأضاليل تفعل فعلها السلبي في نفوس الناس فيختارون ولا يدرؤون على أي صعيد يعلمون، وفي أي اتجاه يسرون ويركّنون إلى التوكّل.

الارتباط بالخرافة: لقد أصبحت البدع والخرافات جزءاً كبيراً وواسعاً من حياتنا الدينية، ونحن - بكلّ ألم وأسف - نرى العالم الذي يمتلك طاقة فكرية وفهمًا واسعاً يرتبط بشيخ من شيوخ الطرق. ويركن إليه حتّى ولو كان هذا الشيخ أمياً وجاهلاً في الدين، ولكنه يتظاهر بالكرامات وبعلوم باطنية وعينية قد وهبها الله له حسب ادعائه مؤكّداً ما يدعوه بقيامه ببعض الحركات البهلوانية التي يبرز من خلالها أنه يستطيع إدخال السلاح في الجسم، وقلع العين، وما إلى ذلك.

إنّ مثل هذه المظاهر ليس لها أساس في قوانين الشريعة المحمدية، والدستور الإسلامي، وإنّها أخذت أهميّة كبيرةً لا بسبب صدقها، ولكن بسبب

سذاجة وتقليدية الناس، والأدهى والأمر من ذلك أنّ معظم أصحاب هذه الصلالات ليسوا من أهل الصلاح والتقوى، وليسوا ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم بعيدون كلّ بعد عن روح الإسلام، وإذا سألت بعضاً من أتباعهم عن هذا التناقض بين سلوكه في المجتمع وبين ادعائه في الدين لقال لك إن هذه كرامة قد خصّهم الله بها.

وإذا ما سأله أيضاً: إنّ شيخك أمي أو شبه أمي، وأنت مثقف فكيف تكون تلميذاً له؟!

وماذا يمكن أن تستفيد منه؟

أجابك هو الآخر: أنّ الطريقة شيء، والشريعة شيء آخر، ثمّ يحاول أن يقوّي موقفه، و موقف شيخه فیأیتك بأحاديث لا تمت إلى الإسلام والقرآن بصلة، ويعطيلك تفسيرات بعيدة كلّ بعد عن منطق العقل، وهو بذلك إنما يحاول تنزيه وتأييد عمل هؤلاء الشيوخ.

وقد يشطرون ويغالون مدّعين أنّ أعمالهم هذه هي التي تدخل الإيمان إلى قلوب الناس، وأنّ هذه الطريقة أفضل من الطريقة التي اتبعها الرسول الكريم الذي كان يدعوا إلى اسم ربّه بالحكمة والمواعظ الحسنة.

إنّ الإسلام الحنيف بريء من مثل هذا الرجل ومن أصحابه، وإنّ تاريخنا البعيد والقريب يشهد أن المستعمر قد أحسن الاستفادة من أهل الشيش والدفّ هؤلاء، وأنّه كان يمولهم ويغرّقهم بعطائه.

أخي المسلم كلّنا نعلم أنّ الله العلي القدير هو مع المتقين، وهو قريب من المحسنين، وهو الذي ينصر من ينصرونه، ويهدى إلى سبيله المجاهدين

لنصرة الدين، ونحن جميعاً نعلم أنَّ الإسلام الحنيف ورسوله الكريم ﷺ لا يقبلان البدعة والخرافة؛ لأنَّ الإسلام دينٌ شاملٌ كاملٌ مناسبٌ لبني البشر في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فمن أين أتى هؤلاء الذين لا يفرقون بين الحلال والحرام بمثل هذه البدع؟!

وحتى لو فرضنا جدلاً أنَّ بدعهم تلك هي إحدى كرامات المتقين فهل يحقُّ لصاحب التقوى أن يتظاهر بهذه الكراهة وأن يتاجر بها وأن يتبرج ويُدعى أنه ولِي من أولياء الله؟!

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَقْرَءُونَ﴾^(١).

أيَّ أَنْهُمْ لَا يُرَاوِونَ وَلَا يَدْعَونَ وَلَا يَتَظَاهِرُونَ بِمَا زَعْمَوْهُ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ.

الشبهة الظالمة: ويدعى هؤلاء الذين يضربون بالشيش والسلاح أنَّ هذا العمل مأخوذه ومستقى من الشيخ الأول الرفاعي، والذي سأله في حياته: كيف شقَّ الملائكة صدر رسول الله ﷺ؟ قال هكذا، وفتح صدره بيده حتى بانت أمعاؤه: وبقيت هذه المعجزة أو الكراهة يتناقلونها شيخاً عنشيخ، ويدعمون من يتبعهم سرَّ الضرب وشقَّ الصدر، ثمَّ كبرت هذه الرواية حتى أصبحت من المسلمات عندهم، بل الأصول الصحيحة التي يعتمدون عليها.

ونحن نقول أمَّا الباطل فيذهب غثاءً وأما ما ينفع الناس فيبقى، ونستغرب ونشاءُلُّ أليس النبيُّ الكريم ﷺ طهراً مطهراً ومصطفىٌ من عند ربِّه منذ

(١) يونس (١٠): ٦٢ - ٦٣.

خلقه الأول؟ وهو الذي بعثه هادياً ونذيرًا ومبشراً وسراجاً منيراً ورحمةً للعالمين، كيف يكون الطاهر من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة ذرية بعضها من بعض، كيف يكون في قلبه علقة نجسة ليرسل الله سبحانه الملائكة فيمسكون به وهو طفل، ثم يجرؤن له عملية جراحية لإخراج تلك العلقة النجسة؟!

أوليس مثل هذا القول تجديفاً على النبي المصطفى ﷺ وقدفاً في شخصه الكريم؟ ثم لماذا لم يأمر الخالق العظيم بإجراء مثل هذه العملية للأئباء من قبل محمد ﷺ والذين يربوا عددهم على مائة وعشرين ألفاً مابيننبي ورسول؟

مثل هذا الكلام المختلق والمؤذني مرفوضٌ ومردود بحق النبي محمد ﷺ الذي هو من نور الله، وحبيب الله، وقمة في الكمال البشري، وهل لو لم يقم الملائكة بإجراء تلك العملية - على حد زعمهم - لكان بقي سيد الأنبياء وسيد الخلق يحمل علقةٌ من النجاسة والدناس في صدره، ولما أشرقت الأرض بنور مولده.

إن من واجبنا كمسلمين حقيقين أن نفرق ما بين الحقيقة والخرافة، ما بين الإسلام الحقيقي والإسلام المشوه المصطنع حسب مفاهيم ذوي المطامع الكبيرة والعقول الصغيرة وإنها لمصيبة كبرى أن يتبع المسلمون مثل هؤلاء وأن يصدقوهم لكن ومرة ثانية نذكر بقوله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿فَإِنَّمَا الرَّبُّ دُلْجَنْدَهْبُ جُفَاءَ﴾^(١).

(١) الرعد (١٣): ١٧.

إن عبارة ﴿أَمْ نَسْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١) في القرآن الكريم لا تعني شق الصدر، وإنما تعني السعة المعنوية لا الجسمية سعة تختزن من الصبر والتحمّل والتجمّل مالا يسعه قلب بشر، وهو الذي قال فيه الخالق العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) ولو كانت السعة تعني المفهوم المادي والجسمي لوجب إجراء الكثير من العمليات الجراحية لتوسيع صدور المؤمنين ولإزالة العلق الدنس اللاصق بأكبادهم.

إن تقوى المؤمن في صدره وإن سبيله إلى الله هو التوجّه السليم، والقلب السليم والعمل الذي يرضي عنه الله ورسوله.

.١) الشرح (٩٤):

.٤) القلم (٦٨):

حملة الإسلام عبر التاريخ والقرآن



حملة الإسلام عبر التاريخ والقرآن

الأئمة الأطهار عليهم السلام:

آية: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُظَرَّوْنَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاتَّهِزْ إِيمَانَهُمْ مُشْتَظَرُونَ﴾^(١).

يتضح لنا من خلال هذا البحث والآيات المتقدمة أن الذين قادوا التاريخ السياسي الإسلامي في صدر الإسلام ودوّنوه هم الذين قاموا بالتعييم والتستر على الانهيارات التي توالت عبر التاريخ حتى حولت النظام السياسي في الإسلام إلى هيكل عظيم لا روح فيه إلا اسم الإسلام، وهم أنفسهم الأحزاب الدينية العربية التي تولّت قيادة موكب التقليد الأعمى، وتاجرت بالألام المصطنعة وخلطت كل الأوراق لغاية في نفس يعقوب، لتأكد للناس أن التاريخ السياسي الإسلامي الذي مرّ عبر مئات السنين هو نفسه النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده المصطفى محمد ﷺ.

وأنا بجهدي المتواضع أحاول أن أبين هذه المغالطة الكبرى أن ما نقرأه ويرسخ في أذهاننا من هذا التاريخ هو الأمر المناقض للقرآن والحقيقة.

لقد جاء في السير والتاريخ أن أصحاب رسول الله «كالنجوم بأيّهم

(١) السجدة (٣٢): ٢٨ - ٣٠.

اقتديتم اهتديتم»^(١) وجاء أن أصحابه عدول، وأن كلّ من رأى وعاش معه وصحابه ولو لحظة واحدة فهو صاحبى، ولا يجوز التمايز بينهم في جميع الأمور الدينية والدنيوية: ونحن إذاقرأنا القرآن وعرفنا ما أثبته من مجريات الأحداث عبر التاريخ في حياة الرسول وبعد وفاته يتبيّن لنا بأن الناس أقسام مكشوفة أفعالهم واتجاهاتهم فمنهم المؤمن، ومنهم المنافق، ومنهم المتهاوي بينهما، ومنهم الكافر الذي انطوى تحت لواء المسلمين ولم يؤمن طرفة عين، وبقي يختزن الطعن والأذى لضرب الإسلام مستعيناً ب أصحابه تارة. وبالمنافقين تارة أخرى، وتمكنوا من الدس في الإسلام ما يستطيعون من الأحاديث التي تلعب دوراً فعّالاً في ضرب الإسلام في صميمه ليصبح كما يقول الماديون: الدين أفيون الشعوب، أي خاوي من الروح الثورية والعملية.

إنّ ما جرى في حياة الرسول من بدء رسالته حتّى نهاية حياته كافيًّا لإعطاء الصورة الواضحة عن جميع الذين عاشوا في وسط الإسلام باسم الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّؤُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يُصْرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢: ٩٠. والأحكام لابن حزم ٦: ٨١٠ وفيه: «قال: ثنا البزار: وأمّا ما يروى عن النبي صلّى الله عليه وسلم: « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فهذا كلام لا يصح عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

قال: أبو محمد: فقد ظهر أن هذه الرواية لا تثبت أصلاً، بلا شك أنها مكذوبة...».

(٢) آل عمران (٣): ١٤٤.

إن ذهاب الرسول إلى المدينة خالل هجرته لم يكن الإسلام قد شمل الناس جميعاً ولكنّه أخذ الدور الأكبر والغلبة مما أجبر الكثير من المعاندين وأهل المصالح أن يعلنوا الدخول في الإسلام بدون قناعة أو إيمان وهذا القرآن يكشفهم والرسول يعرفهم، ولكن ليس من خلق النبوة كشف أسرار وأستار الناس بل كان يتركهم للزمن والقناعة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمُدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُّ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾^(١).

هذا في بادئ الدعوة وبقيت السموم في نفوسهم تجري ويحاولون كشف جميع الخطوط الإسلامية لأعداء الإسلام.

قال تعالى: ﴿ لَقَدِ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلٍ وَقَبَّلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحُقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾^(٢).

إن كثيراً من الناس ذهبوا مع الرسول في غزوة تبوك - الجيش الذي أعدّه الرسول لقتال الروم عندما سمع أنّ الروم يعدّون العدة لمحاجمة المسلمين - كان ذهابهم للغائم فقط ليس لنصرة الإسلام لأنّهم عند رجوعهم من تبوك (ذكر الواقدي في مغازييه) أن المنافقين أرادوا الوقعية برسول الله في بعض الأودية فلما علم الرسول من جبريل بفعلهم جعل الناس يسلكون بطن الوادي وسلك الرسول طريق العقبة خارج الوادي وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق الناقة فلما علم المنافقين أنّ

(١) التوبة (٩): ١٠١.

(٢) التوبة (٩): ٤٨.

الرسول لم يسلك بطن الوادي داهموه ليلاً ملثمين متکالبين على غس الناقة به ليطرحوه من فوقها قتيلاً ولكن حذيفة بن اليمان الذي كان يسوق الناقة قام بضرب وجوه رواحلهم بمgesch في يده وبقي يضربهم ويرد رواحلهم عن ناقة الرسول حتى ظن القوم أن أمرهم انكشف فرجعوا مسرعين واختلطوا بين الناس متسترين فسأل الرسول ﷺ حذيفة بعد أن غضب غضباً شديداً: هل عرفت أحداً منهم فقال: نعم يا رسول الله لقد عرفت رواحلهم راحلة فلان وفلان ولشدة ظلمة الليل واللثام على وجوههم لم أميز أحداً منهم^(١)، فقال صاحبي وهو أسيد بن حضير اسمح لنا بقتلهم فلم يقبل الرسول فنزل بحقهم من الله.

آية قوله تعالى: ﴿يَخَذِّرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْدِرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنُّتُمْ تَسْتَهْزِئُوْنَ * لَا تَعْتَذِرُوْا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِإِيمَانِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٢).

وذكر الطبرسي في تفسيره مجمع البيان أنها نزلت في اثنا عشر رجالاً وقفوا على العقبة ليفتكونا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك فأخبره جبريل عليه السلام بخطفهم^(٣).

(١) انظر امتناع الأسماع للمقرizi ٢: ٧٤ و ٥: ٣٢٣ - ٣٢٤ و ٦: ٢٤٠ و ٩: ٣٢٨ والسيره الحلبية ٣: ١٢١ - ١٢٠.

(٢) التوبة (٩): ٦٤ - ٦٦.

(٣) مجمع البيان ٥: ٨١

ثم من أهل المدينة قاموا بعملية كبيرة لتدمير الإسلام عندما بعث الصحابي حاطب بن بلترة رسالة مع امرأة وبعث معها رجلين إلى أهل مكة يخبرهم بقدوم الرسول إليهم محارباً وفاتهاً بجيش كبير فأخبار جبريل الرسول بهذه الرسالة فبعث علياً بن أبي طالب ولحق بهم وأخرج الرسالة من وسط ضفيرتها بعد أن هددتها بالقتل لما امتنعت، وبعدها اعتذر حاطب بن بلترة من رسول الله بأعذار فغاف عنه^(١).

وإننا نجد أن القرآن يذكر المنافقين في عشرات من الآيات ويأمر الله رسوله بجهادهم وتجاهد الكفار بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمُصِيرُ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

لذلك نجد أن الرسول ﷺ عندما أراد دخول مكة كشف عن بعض العينات من الرجال والنساء وأمر بقتلهم، ولو كانوا متعلقين بأسنار الكعبة، فمن الرجال أربعة هم: (عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن حبابة)^(٤).

ومن النساء فيitan كانتا تغنيان وتهجيان رسول الله ﷺ اسم إحداهن قريبة فأمر الرسول بقتلها فقتلت - والثانية هربت فتذكرت وتابت على يد

(١) صحيح البخاري ٤: ١٩.

(٢) التوبة (٩): ٧٣.

(٣) التوبة (٩): ٩٦.

(٤) سنن النسائي ٧: ١٠٥، والمستدرك على الصحيحين ٢: ٥٤.

رسول الله، وأسلمت^(١).

وهذا العدد كافي بأنه كان الكثير يعلنون الإسلام في حياة الرسول وهم يعملون على هدم الإسلام ومنهم الذين خذلوا رسول الله في غزوة أحد وانفصلوا عن جيشه راجعين إلى أهلهم وعدهم (٣٠٠) من أصل (١٠٠٠)^(٢) مدعين بأنّ الرسول أطاع الصبية والولدان فرجعوا والرسول بأخرج الظروف وأمسّ الحاجة إليهم، وأراد الصحابة الباقيون قتلهم فمنعهم رسول الله ﷺ وقال إنا لا نستعين بمنافقين.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشَهُدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحًا﴾^(٣).

وجاء يوم الفتح ودخل الرسول ﷺ مكة فاتحاً منادياً بـ «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»^(٤).

فكان أهل مكة يظنون أنّ السيف لا يرفع عنهم لكن الرسول ﷺ أراد أن يكشف مدى إيمانهم بمجيء الإسلام والمسلمين، ومدى كرههم للإسلام، ولهذا قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ١٩٠: ٢.

(٣) المنافقون (٦٣): ١ - ٢.

(٤) سنن الدارقطنى ٣: ٨٣، حديث ٣١٤٥.

(٥) صحيح مسلم ٥: ١٧٣.

فكان التقسيم السياسي للرسول بهذه الكلمات من أجل أن يكشف بأن الذي يدخل بيته إلى عياله هذا لا يريد القتال، وأما الذي يذهب إلى بيت أبي سفيان فهذا الذي مليء حقداً على الرسول والإسلام، فذهب إلى القائد وانضم إلى صفوفه معلناً نصرته والقتال معه، لكن الرسول ﷺ الرحيم العطوف بعدما كشفهم ووجدهم عند أبي سفيان قد تجمعوا جميعاً ينظرون الأوامر، وبعد أن طوقهم وأثبتت الحجّة عليهم، وأصبحوا أسرى بين يدي الرسول، قال قوله المشهورة: «يا أهل مكة ما ترون إني فاعل بكم: قالوا: أخْ كريم وابن أخْ كريم فقال الرسول ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١).

فتركهم الرسول ﷺ تحت سيطرة الإسلام، طلقاء، من شاء فليؤمن ومن شاء فليبقى على عقيدته؛ لأنَّ الإسلام لا يُدخل بالقوة مما حدا الناس أن يعلنوا الإسلام المبطن بالنفاق بدءاً من القائد أبو سفيان وولده معاوية وبقية الناس من أهل مكة، لقد كشف الله لرسوله أسرار أهل مكة وما يخفون، وكشف لرسوله إعلانهم الكاذب للإسلام بأنهم كانوا يقولون سابقاً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

ما أنزل الله تعالى لدعوة الرسول لأهل مكة أكثر من عشرين سنة، وما زادتهم إلا إصراراً على الكفر، وعبارة الأوثان، وصموا آذانهم عن الحق، وتبعوا عصبيتهم وشياطينهم، وتحدّوا الله ورسوله والمؤمنين حتى جاء نصر الله المبين، وكشف كل إيمان مزيف من المعاندين والمرجفين بقوله تعالى: ﴿فُلْ

(١) تاريخ الطبرى ٢: ٣٣٧.

(٢) السجدة ٤٨: ٢٨.

يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ^(١).

هكذا أراد الله سبحانه عبر كتابه الكريم كشف زيف المرجفين، وكذب المنافقين من قلب الحقائق عبر التاريخ، ووضعهم لمن لا يستحق قيادة المسلمين، وولايتهم أميراً لهم، ووضعوا له مناقب كاذبة تتناقض مع كتاب الله، وما جاء به رسول الله، وعتموا على الحقائق، ودفعوا تاريخ أولياء الله الذين اجتباهم في كتابه، بل ووضعوا أعداراً لقتلهم وتشريدهم، وحاربوا كتاب الله بقولهم إنّ أصحاب رسول الله عدول ^(٢) وهم كلّ من رآه وصاحب، وعاش معه ولو يوماً واحداً ^(٣).

وكل هذا من أجل أن يخفووا تاريخهم الذي كان تدوينه في عهدهم، وتحت مراقبتهم، بينما نجد الرسول يقول في حياته عندما أقبل أبو سفيان ومعه معاوية قال: «اللّهم عن التابع والمتبوع، اللّهم عليك بالأقييس فقال ابن البراء لأبيه: من الأقييس قال معاوية» ^(٤).

وجاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «يطلع عليكم من هذا الفجّ رجلاً من أُمّتي يحشر على غير ملتي فطلع معاوية» ^(٥).

وقال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة

(١) السجدة (٤٨): ٢٩.

(٢) عمدة القاري ٥: ٢٢١.

(٣) انظر شرح مسلم للنووي ١: ٣٦.

(٤) وقعة صفين لابن مزارحم: ٢١٨. وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٩ وشرح الأخبار للقاضي النعمان: ٢.

(٥) تاريخ الطبرى ١٨٦، وشرح نهج البلاغة ١٥: ١٧٦، وقعة صفين: ٢٢٠.

وفيها أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث وذكرها ابن الجوزي كذلك^(١).

وروى أبو الفداء عن الشافعي أنه أسر إلى الريبع أن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وزياد^(٢).

فتبيّن لنا أن الإيمان الناتج لا عن وعي بضرورته بل بسبب موقف يذهب أدرج الرياح بمجرد زوال ذلك السبب أو العامل، فهذا الإيمان لا يقبله الله من الكفار حين ينزل بهم العذاب؛ لأنَّه إيمان وليد الواقع المفروض.

فكان سؤال أهل مكّة عن الفتح، وإنكارهم له بكلمة متى هذا الفتح، هو الذي أنطق السماء أنه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الفتح، والسيطرة عليهم، وأنَّ العذاب لا يمهلهم، بل يتظار لهم كما كانوا يتظارون موت الرسول أو قتله فأظهر الله الحق على الباطل، والمحق على المبطل.

وهكذا يظهر لنا تاريخ الأمويين وعصرهم الذي هو وليد الفتح الإسلامي الذي عم الجزيرة العربية، ولم يكن لمن لا يؤمن بالإسلام آنذاك مناص إلا الدخول تحت لواء الإسلام خوفاً على مصالحهم ومراكزهم الاجتماعية، وبقيت السموم تماماً صدورهم، والحدق والحسد يأكل قلوبهم حتى أنَّ الحكم بتمرُّد معاوية على الإمام علياً الخليفة الرابع حسب دور الخلافة تاريخياً، فظهر منهم كانوا يخفون وينكرن.

وهكذا تتابعت الحوادث وازدادت الأمور سوءاً كلما ولَّ الحكم واحداً منهم فكرهتهم النفوس، واستاءت منهم البشرية، لسلطتهم على رقاب الناس،

(١) الموضوعات لابن الجوزي ٢: ٢٤، يرويه بإسناده عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

(٢) خزانة الأدب ٦: ٥١.

ولعبهم في اقتصاد الأمة، وأخذهم الجزية ممن لم تجب عليهم، واللعب في ثروات الأمة وإنفاقها في مصالحهم الشخصية والخاصة، وتجاهرهم بالظلم والفساد، وهجرهم للسنن الإسلامية، ونبذهم تعاليم الكتاب وراء ظهورهم، مما حلّ بالأمة من الجور والعسف، وإراقة الدماء حتى قام دعاة الإصلاح وصلحاء الصحابة بالمعارضة والوقوف بوجه الحكام الأمويون؟ لردهم عن غيّهم، فلم يفلحوا حتى جاءت ثورة الحسين عليه السلام التي كانت بداية الانطلاق لنشر الوعي الإسلامي ضدّ الأمويين، وصرخة مدوية هزّت عروش الظالمين.

وأول طلائع تلك الثورات الإسلامية هي ثورة المدينة المنورة وأهلها مثل عبد الله بن الزبير وغيره ضدّ يزيد بن معاوية وحكمه الظالم الجائر، فكانت فيها واقعة الحرّة سنة (٦٣) التي انتهت بانتصار يزيد وجيشه الذي كان يقوده مسلم بن عقبة المسيحي الغير مسلم، والذي كان اسمه مسرف بن عقبة، فكان ما كان فيها من فظائع من أهل المدينة، ومذابح ذكرها واستنكرها جميع المؤرّخين وأهل السير؛ لأنّ يزيد أمر قائد مسلم بإبادة المدينة لجنده ثلاثة أيام، يقتلون ويعملون ما يشاوون، فقد قتلوا ثلاثة من أصحاب الرسول، كما قتل سبعمائة رجل من حملة القرآن وبسبعيناً من بقية المهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من أوساط الناس سوى النساء والصبيان، وأمّا الباقيون من الناس فقد أخذت منهم البيعة ليزيد بيعة عبودية واسترقاق^(١).

وهكذا وضعوا فضائل لمعاوية من الأحاديث المكذوبة والأقوال الموضوعة التي تبرّأ منها الإسلام، وأنكرها المسلمون جميعاً، ولكن أمّى

(١) البداية والنهاية: ٦: ٢٦٢ و ٨: ٢٤٢.

يجدي الإنكار في وقت الجمْت فيه الأفواه، وَكَبَتْ فيه الشعور، وَحُكِّمَ على أهل الصدق بالقتل والتنكيل والطرد والتبعد، فَكُلُّ ما أَجْمَلَنَاهُ في هذا الفصل من أمور وحقائق هو بيان للأخ القارئ الوعي ليكون على عِلْمٍ كافٍ من تاريـخـهـ، ويـكـونـ لهـ حـافـزاـ لـعـرـفـةـ القرـآنـ وـالـتـارـيـخـ، وـماـ يـحـمـلـانـهـ مـنـ حـقـبـ وـحـقـائـقـ قدـ طـمـسـهاـ وـعـتـمـ عـلـيـهـاـ أـنـاسـ جـنـدـواـ أـنـفـسـهـمـ لـإـطـفـاءـ نـورـ اللهـ الـذـيـ أـرـادـهـ لـلـأـجيـالـ الـبـشـرـيـةـ عـلـىـ مـرـ السـنـينـ وـالـأـزـمـانـ.

الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ

نعرف أن كلمة إمام تعني القائد والهادي والمرشد والدليل.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُ كُلَّ أُنْسَٰءٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾^(١).

ثم يقول سبحانه: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلنَّٰتِيْنِ إِمَاماً ﴾^(٢).

ويقول جل وعلا: ﴿ وَجَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾^(٣).

لقد اختار الله هذا الاسم لأبي الأنبياء وجد رسول الله ﷺ إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّٰسِ إِمَاماً ﴾^(٤)، فسمّاه إماماً بعد أن كان رسولاً ونبياً وخليلاً.

أما كلمة جاعلك فإنها ما أنت عباداً، بل جاءت بروابط محكمة وتسديد إلهي متقن ليربطه إلى سلسلة الأئمة الأطهار، ونحن نقول في كل صلاة: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل

(١) الإسراء (١٧): ٧١.

(٢) الفرقان (٢٥): ٧٤.

(٣) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٤) البقرة (٢): ١٢٤.

إبراهيم في العالمين إنك حميد مجید»^(١).

كما جعل الله سبحانه إبراهيم إماماً أراد أن يجسّد هذه الكلمة حكماً مبرماً عند أمّة محمد ﷺ وبياناً لمكانتها وشرفها، لأنّ النبوة هي لطف من الله سبحانه ، والإمامية كذلك هي لطف بالتبغية، مقرونة بالعوامل والأسباب الحافظة لخط النبوة وبقائه، ولكي نعرف عظمة هذا الإمام والأئمّة الآخرين من بعده والذين هم في مصاف الرسول العظيم في صفاتهم وخصائصهم الربانية لقيادة الأمّة الإسلامية، ثم وجوب الاقتداء بهم والتمسّك بحبّلهم؛ لأنّهم مطهرون، ولم نجد في كتاب الله آية واحدة تحضّ الناس على التمسّك بغيرهم.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمْ مِنْكُمْ﴾^(٢).

فهؤلاء هم أولي الأمر؛ لأنّهم يحملون الصفات القيادية الربانية، وجاءت الولاية بشكل واضح صرّح به، وأجمع عليه كل المفسّرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣).

فالولاية المنصوص عليها من قبل الله تعالى تشير إلى حكماً، وبمقتضى

(١) كتاب الأم للشافعي ١٤٠ وختصر المزنبي: ١٥ وفتح العزيز ٣: ٥١٥ والمجموع ٤٦٤ وروضة الطالبين ١: ٣٧٠ والموطاً ١: ١٦٦، حديث ٦٧.

(٢) النساء (٤): ٥٩.

(٣) المائدة (٥): ٥٥.

العقل، ومن خلال الأدلة والقرائن إلى الخلافة أو القيادة العامة، وقد سبق أهل البيت الناس كلهم في الصفات العالية والدرجات السامية، وكانوا خزائن للعلم والمعرفة والحكمة والطهارة، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَيْسُتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَةِ ﴾^(١).

علي عليه السلام هو أبو الأئمة وأعظمهم شأناً، وقد تحدث الرسول الكريم عن جلاله قدره، وعظيم شأنه، وكمال إيمانه عند منازلته لعمرو بن ود العameri في معركة الخندق حيث قال: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»^(٢).

وروى الحافظ الحسكناني في كتابه شواهد التنزيل قال: «إن ابن عباس سأله الرسول عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ ﴾^(٣) فقال له حدثني جبريل بتفسيرها وقال لي: ذاك علي وشيعته إلى الجنة»^(٤).

وروى الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي في كتابه المناقب عن ابن عباس قال: سأله رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ ﴾ قال لي الرسول عليه السلام قال لي جبرائيل: ذاك علي وشيعته السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامته لهم».

وحتى يومنا هذا لم تستطع البشرية أن تحيط بكل ملامح شخصية الإمام

(١) الروم (٣٠): ٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٦١. وينابيع المودة للقندوزي ١: ٢٨١ ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي: ٢١٧.

(٣) الواقعة (٥٦): ١٠ - ١١.

(٤) شواهد التنزيل ٢: ٢٩٥.

على عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينِ هذه الشخصية العملاقة وأن تعرف مدى مكانتها وعظمتها في الإسلام كما لم يلاق أي عظيم في التاريخ ما لاقاه الإمام علي من ظلم وغبن وافتراء في حياته وبعد وفاته.

فبعد رحيل الإمام إلى الرفيق الأعلى أخضعت أجيال الأمة الإسلامية لعملية مسح دماغي، ليس لها مثيل لكي تنسى علياً ودوره الفعال في دفع الحركة الإسلامية في الطريق الصحيح طريق العزة والكرامة، وقاموا بتسخير المنابر لعشرات من السنين، والمنابر كما هو معروف هي للإعلام والتربية والتوجيه عند المسلمين، لكنهم سخروها للقدح في علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينِ وشتمه وتشويه تاريخه ومكانه من رسول الله، وكانت خطبة الجمعة في العهد الأموي تفتتح بالنيل من علي بأقذع اللعن والسباب^(١)، وأجبرت السلطة كتابها المرتزقة أن يكتبوا عن علي ما يرضي أرباب السلطان فأغلقوا الباب دونه عن كل فضيلة، بينما كتبوا عن غيره من ليس لهم في التاريخ إلا المواقف السلبية التي عملت على إضعاف بنية الإسلام، كتبوا عن مثل هؤلاء أكاذيب عجيبة لا تمت إلى الحقيقة وإلى الشريعة بأية صلة.

نشأة الإمام: لقد أشار الإمام بنفسه إلى التربية التي حظي بها من لدن أستاذه العظيم الرسول الأعظم وذلك في خطبته المعروفة (بالقاصلة) وقد جاء فيها: «وقد علمتم موضعني من رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينِ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصوصية، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويمسني جسده، ويشمني عرفة، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا

(١) روح المعاني: ١٤: ٢١٩ - ٢٢٠ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٥٨.

خطأ في فعل...

ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراً، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع
بيتُ واحدٌ يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخدیجة وأنا ثالثهما أرى نور
الوحى والرسالة وأشم ريح النبوة»^(١).

إن هذا الشوط الذي قطعه الإمام في ظل تربية الرسول، وفي مضمار
التقرب إلى الله سبحانه، والامتثال لأوامره هي التي رشحته لأن يكون وزيراً
للنبوة وهو مقام لا يناله إلا من قطع شوطاً في طريق المعرفة والفضيلة قال
الرسول ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدك»^(٢).

ويجدر بنا أن نقول إنّ رسول الله ﷺ ما دعا على إلى الإسلام كما دعا
غيره، ذلك لأنّ علیاً عليه السلام كان مسلماً على فطرة الله تعالى، لم تصبه أو ضار
الجاهلية ولم يتفاعل مع سفاسفها، فنجده مؤمناً بالرسالة إيماناً تجسيدياً، ولم
يكن يفاجأ بنزول وحي، ولا بأمر دعوة مباركة إلّا ولبّي النداء بكلّ جوارحه،
ولذلك فإنّ الرسول الكريم لم يودع بادئ ذي بدء بسر الدعوة إلّا لعلي
وخدیجة، ونزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣)، فأمر الرسول علياً
أن يدعوا أعمامه، وكانوا أربعين شخصاً حتى إذا اجتمعوا دعاهم الرسول إلى
التصديق بالنبوة وقال: «إني رسول الله فمن يجيبني على هذا الأمر ويأزرني

(١) نهج البلاغة ٢: ١٥٧ خطبة رقم ١٩٢.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٢٠ وسنن ابن ماجة ١: ٤٥ حديث ١٢١ وسنن الترمذى ٥: ٣٠٤،
 الحديث ٣٨١٤ ومجمع الزوائد ٩: ١٠٩.

(٣) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

عليه في يكن أخي ووصيي وزيري ووارثي وخليفي من بعدي» فلم يجده إلا على عالي عليه السلام فدعا ثانية ولم يصدقه إلا على ^(١).

إنّه على الذي آزر وصدق وأجاب، وهو الذي رقد في فراش رسول الله عندما تعاقد المشركون على قتله، واختاروا من خيرة رجال القبائل نخبةً للتنفيذ حتى تذهب روحه الطاهرة هدراً بين مختلف القبائل، لكن الله أمره بالخروج فطلب إلى علي أن ينام في فراشه حيث يتضرر الموت المحتم فقال عالي عليه السلام: يا رسول الله وهل بنومي تسلم؟ قال: بل يا علي، قال: إذاً فأنا فداء لك وللإسلام ونام قرير العين هانيها ^(٢).

في السنة التاسعة للهجرة وكانت قد توسيّعت قوّة الإسلام، وأحسّ الروم بالخطر فجهزوا جيشاً كبيراً لقتال محمد عليه السلام في عقر الجزيرة العربية، وعندما سمع الرسول جهّز جيشاً وبเด بالمسير إلى العدو فاصداً تبوك، وترك في المدينة كثيراً من تحالفوا عن جيشه من المنافقين، لكنه أبقى على عالي عليه السلام مستخلفاً إياه على الناس وأوصاه بوصية الخليفة من بعده لكن الإمام لحق بجيشه الرسول قائلاً: أتركتني يا رسول الله على النساء والصبيان، قال رسول عليه السلام: «ألا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا

(١) انظر شرح نهج البلاغة ١٣: ٢١١ ونظم درر السمحطين: ٨٣ - ٨٢ ومجمع الزوائد ٨: ٣٠٢ و ٩: ١١٣ ومستند أحمد ١: ١١١ والسيرية الحلبية ١: ٤٦٠ - ٤٦١.

(٢) روضة الاعظين: ١٠٧ وفيه: «فأنزل الله في علي حين نام على الفراش ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾» (البقرة ٢: ٢٠٧).

وانظر: شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٦٢ والكشف والبيان ٢: ١٢٥ - ١٢٦ وشوادر التزييل للحاكم الحسکاني ١: ١٢٣ - ١٣٠ الأحاديث ١٣٣ - ١٤١ والتفسير الكبير ٥: ٢٢٣ والجامع لأحكام القرآن ٣: ٢١ وتفسير البحر المحيط ٢: ١٢٧.

أَنَّهُ لَا نَبِيٌّ بَعْدِي^(١).

الكتابة عن علي لا حدود لها؛ لأنّ عظمته وفضائله بلا حدود، وأنا لا أريد أن أطيل وإنّما أخذت نبذة قصيرة لبعض المواقف التي تعتبر أدلّةً سماويةً ورساليةً تؤكّد إمامته على وأهل بيته عليهم السلام.

حياته السياسية: عندما آل أمر الخلافة إلى الإمام تجسّد فيه وجود الرسول بكلّ جوانبه التشريعية والسياسية والقيادية؛ لأنّه نسله وجزء لا يتجرّأ منه، ولأنّه نشأ في حضنه وعلى تربيته، وكان من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كالظلّ من صاحبه، والعضد من الساعد وكالنور من النور.

بعد أن توفي الخليفة الأول أبو بكر وآل الأمر إلى عمر بن الخطاب الذي أوصى بعد طعنه وإشرافه على الموت أن توضع الخلافة في ستة أشخاص، وفيهم علي، وأوصى عمر أن يختاروا واحداً منهم تتوفّر فيه أهلية الخلافة فقام عبد الرحمن بن عوف بوصية من عمر وقال لعلي: أقسم إن آل الأمر لك أن تسير على كتاب الله وما سار عليه الشيوخان (أبو بكر وعمر) فقال علي عليه السلام: «والذي نفسي بيده لن أسير إلّا على كتاب الله وما سار عليه رسول الله»^(٢) فضرب عبد الرحمن ابن عوف على صدره ونحّاه عنها وأعطيت لعثمان بن عفان، وبعد قتل عثمان انتخب المسلمون علياً لكنه رفضها إلّا أن المسلمين أصرّوا عليه، ولم يقبلوا بغيره بدليلاً، ولما استلم خلافة المسلمين بدأ ينفذ خطّته الإسلامية المحكمة بقيادة

(١) صحيح البخاري: ٥: ١٢٩.

وانظر: صحيح مسلم: ٧: ١٢٠ وسنن ابن ماجة: ١: ٤٥، حديث ١٢١.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٦٢ والأمالي للشيخ الطوسي: ٥٥٦، حديث ١١٦٩ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعترلي: ١٢: ٢٦٤.

يستقيها من القرآن الكريم ومن سنة الرسول ﷺ.

وببدأ بناء صرح الدولة الإسلامية ببناءً محكمًا لم يعرف التاريخ البشري له مثيلاً؛ لأنَّه عَزَّلَه يمتلك من القدرات اللا متناهية مالا يمتلكها غيره من الناس، وجعل من جامع الكوفة ميداناً لإلقاء توجيهاته ونشر الوعي الديني، وربّي جيلاً عقائدياً جديراً بحمل الواجبات اتجاه الله واتجاه الناس.

لقد ترك الإمام عَزَّلَه محاربة أهالي البلاد الأخرى ومحاولة فتحها، بل ركّز جميع إمكانياته لربّي جيلاً مسلماً بالوعي والعلم والأخلاق والسلوك الحسن والكفاءة في قيادة الحياة، هذا بالإضافة إلى أنَّ الفترة التي سبقته من حكم الخلفاء جعلت نفوس الناس ضعيفة مريضة فالتفت إلى إصلاحها منتصراً عن الفتوحات والحروب.

كان المجتمع الإسلامي حين استلامه الخلافة مجتمعاً ملغوماً للتحزّبات الواسعة، والإقطاع المستفحّل، والسعى وراء المصالح الدنيوية، فلم يجد حلاً لهذه الأمراض إلّا العمل الدؤوب على إحياء المجتمع الإسلامي وربطه بحبل الشريعة الصحيحة وتوحيد كلمته وصفّه.

هكذا كان إمام الأُمة الخالد علي بن أبي طالب أخو الرسول، وسيف الله المسلط، وزوج البطل، وهو الذي يقول: «وأيم الله لأنصفنَ المظلوم من ظالمه، ولأقودنَ بخزانته، حتّى أورده منهـل الحقّ وان كان كارهاً»^(١).

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩، خطبة رقم ١٣٦.

فاطمة الزهراء عليها السلام

يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورِهِ كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةِ الرُّجَاجَةِ كَأَهْنَاهَا كَوْكَبٌ دُرْيٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْمَ مَقْسَسِهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

شاءت حكمة الله أن يدلّ على ذاته من خلال آياته، وبعده عن مجانية المخلوقات، وهو الذي جعل بين أيدينا نوراً نهدي به لنرى عظمة هذا الكون، ودقة صنعه، ولتبين الخارطة المرسومة لنا في كتابه الكريم، وفي سنة رسوله لنكون كما يريد الله ويرضى، وقد ضرب لنا الأمثال لكي نستطيع السير بنور الحق عبر ظلمات الحياة، وجعل هذا الحق وذلك النور يتمثل في من اختارهم من الأنبياء المعصومين وأوصيائهم المنتخبين، وشاءت حكمته تعالى أن يقرب لنا الحقيقة لما يتناسب مع مؤهلاتنا وبالشكل الذي تدركه وتقبله عقولنا ليكون ذلك علينا حجة.

من أجل هذا وبحكمته الإلهية جعله نوراً من نور، من قلب ومن روح نبينا الكريم محمد ﷺ إلى فلذة كبده فاطمة الوراء الإنسية فاطمة الزهراء عليها السلام، ولعل القارئ يشك أن الوهم قد ذهب بي بعيداً وأنني أصبح في بحرٍ من

(١) النور (٢٤): ٣٥

الخيال، وأنسج على هذا المنوال، لكن الإنسان المدرك المفَكِّر الذي يتعرّف على الله سبحانه وتعالى لم يجعل لرسوله ذريةً من ولد أو بنت إلّا فاطمة، فتبليورت عاطفة الأبوة والحبّ لها لحكمة، يريدها الله وقد عيّره المشركون في آنَّه الأبتر ولا ذرية له فجاءهم الردّ من ربّ العزة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحُرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١).

يقول الرسول ﷺ: «عند ما غُرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل عليه السلام فأدخلني الجنة، وناولني من رطبه فأكلته، فتحول ذلك إلى نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعَت خديجة فحملت بفاطمة ففاطمة حوراء إنسية فكلمًا اشتقت إلى رائحة الجنة شمتت رائحة ابنتي فاطمة»^(٢).

فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم ﷺ وبضعيتِها احتضنها أبوها بعد وفاته والدتها خديجة حيث لم يبق له إلّا هذه الفسيلة الطاهرة، فكرّس عطفه وحبّه لهذه اليتيمة الوحيدة، ولا زمها وصحبها في ذهابه وإيابه حتّى آنَّه سماها أمّ أبيها لكثرة ما يطمئن لجلوها وخدمتها له، فكانا عليهما السلام يزيلان وحشة اليم عن بعضهما عند اللقاء، يتيمان يلتقيان في الروح والألم والفرح.

ولعلّ هذا الوالد العظيم قد أوحى إليه السماء أن يرعى وأن يحفظ هذه النسمة الطاهرة، فحفظ الوحي ومزجه بعاطفته الكبيرة ليشكّل منها بحرًّا من الألطف والنسيج الإلهي الذي يعجز عن وصفه حتّى الخيال. وراح الرسول

(١) الكوثر (١٠٨): ١ - ٣.

انظر: تفسير مجاهد ٢: ٧٩١ وتفسير القرآن لعبد الرزاق الصناعي ٣: ٤٠٢.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوقي: ٥٤٦، حديث ٧٢٨.

وانظر: مجمع الزوائد ٩: ٢٠٢ والمعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٠١.

الكريم ﷺ يعبئُ هذا الإناء الطاهر بنور المعرفة ليعدّها إعداداً كاملاً مدرسةً شموليةً للفضيلة والمعرفة والعلم والإيمان الصحيح.

كان يريد لها جديرة لأن تكون ابنته، وظلّ يهذّبها ويعلّمها ويرعاها حتى فارق الدنيا، ولكن بعد أن اطمأنّ عليها وأنّها أصبحت قادرةً على أن تؤدي أمانتها، وبقيت فاطمة ظلّلها بعد رحيل أبيها الكريم كنزاً مليئاً بنور العلم والمعرفة التي تشمل كلّ جوانب الدين والدنيا، ولكن ويا للأسف وكعادته يطلّ الشرّ برأسه وبالظلم والعناد وحبّ الدنيا ومتاعها الغرور، يحاول الشرّ أن يغلق منبع النور وأن يعتم على قدرات وعظمة المكانة التي خصّ الله بها سبحانه هذه المطهّرة فاطمة الزهراء ظلّلها.

لا نجد في كتب الحديث أو التاريخ ما ينقل عن فاطمة حديثاً أو رواية، وكأنّها لم تكن بنت النبوة، مع أنّ كتب الحديث ورواته ينقلون الكثير عن زوجات الرسول، وعن زوجات الصحابة، وعن الكثيرين ممن عاصروا رسول الله ﷺ، إلّا فاطمة الزهراء فلم نجد لها حديثاً واحداً في أيّ موضوع من المواضيع.

لقد ورد في أحاديث «خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء»^(١) أي عائشة فكيف يأخذ الناس شطر دينهم عن زوجٍ واحدة ولرسول الكريم زوجات عديدات؟! حتى لكانه ﷺ لم يحدث بشيء إلّا لها بينما ابنته الزهراء - وهي بضعة منه، وهي الكوثر، ومنيع النور، وهي التي لازمته وتربت في أحضانه - لا يُنقل عنها، ولا يُروى حديثٌ واحدٌ! أولاً نرى في هذا التناقض رؤية اليقين أن

(١) البداية والنهاية ٨: ١٠٠، وفيه: «فإنه ليس له اصل، ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام».

بعض الأيدي المغرضة الخبيثة هي التي غيرت الحقائق، وحرفت الكلم عن مواقعه، ونشرته وفقاً لأغراضها وأهوائها ومصالحها الدنيوية الرخيصة.

لقد تقدم الكثير من كبار الصحابة إلى رسول الله ﷺ طالبين إليه التقرب بالمشاهدة، فكان يرددهم الرد الجميل قائلاً: «انظر بها القضاء»^(١).

وكان الرسول ﷺ يسألها: بنيتي ما أحسن شيء للمرأة فتقول: «أن لا ترى رجلاً ولا يراها»^(٢).

فكان يضمها إلى صدره الكريم ويقول: ﴿ ذُرْيَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾^(٣).

لقد عايش الرسول ﷺ الإحساس بمرارة اليم، ولذلك احتضن الزهراء بين حناته ودفأها بحبه وعطفه وعين عنايته ورعايته، فكان لا يخرج إلى سفر حتى يمرّ بها ويدخل عليها فيكلّمها كلاماً خاصاً ثم يسافر بعد ذلك مع أصحابه، وبعد عودته، لم يكن ليدخل إلى بيته حتى يمرّ بها فيقضي عندها برهةً من الزمن يخرج بعدها إلى زوجاته وبعض شؤونه^(٤).

قال الرسول ﷺ في وصفها: «فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني»^(٥) «ومن أغضبني فقد أغضب الله»^(٦).

(١) كنز العمال ١٢: ١١٢، حديث ٣٤٢٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ١٩ وإمتناع الأسماء للمقرizi ٥: ٣٥١.

(٢) كنز العمال ١٦: ٤٠١، حديث ١١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٩، والآية من سورة آل عمران (٣): ٣٤.

(٤) الأمالي للصدوق: ٣٠٥ ومسند أحمد ٥: ٢٧٥ وسنن أبي داود ٢: ٢٩١، حديث ٤٢١٣.

(٥) صحيح البخاري ٤: ٢١٠.

(٦) مجمع الزوائد ١٠: ٤٨ والمعجم الكبير ١٨: ١٠٨.

أي أنّ إغضاب فاطمة منوط بغضب الله، وعند ولادتها نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر﴾^(١) الخ وقد عيره المشركون وأطلقوا عليه لقب الأبتل لكن السماء أتهمهم بردّها السريع، وذهب الرسول الكريم ﷺ إلى زوجه خديجة لينقل لها البشارة، ويبلو عليها آيات المولى، ويقول: أبشرني يا خديجة بالنور من النور، أبشرني ببنت جعلها الله الكوثر، الدائم والمبارك ومنها الذرية الطيبة والنسل الكثير، وأنها أم لأحد عشر من خلفائي يخرجون من بعدي وبعد أبيهم، لقد أخبر الله تعالى رسوله وخديجة لا تعلم أنّ علياً الشاب الهاشمي الذي ربّته في بيته، والذي نعم بحنانها وحبّها وحسن رعايتها له، لا تعلم أنه سيكون زوجاً لابنتها الزهراء وسيكون أبواً لأولئك الأئمة الأطهار.

ومن المعروف أنّ قريشاً قد عزلت واعتزلت الرسول وأهله وأعمامه في شعب أبي طالب حيث ذاقوا الأمرين من عذاب الجوع والحرمان، أما الزهراء فقد كانت إلى جانب أبيها تشارك ذويها وأهلها هذه المرارة، وتتعلم الصبر، وتقدم التضحيات على صغر سنّها حتى انتهت ذلك الحصار بعد ثلاث سنوات طوال ثقال فكانت المأساة قد شحذت عزمها. مدفوعة بإيمانها القوي صممت على إكمال الطريق مع والدها، ضاربةً المثل الأعلى في الصبر على الشدائـد، وكانت كلما نظرت إلى حال أبيها وإلى خصومة أهله وعشائره له يعتصرها الألم، ويغلب الحزن العميق على نفسها الكريمة.

زوجها من علي: بعد أن يئس كبار قريش من مصاورة الرسول لهم قام بعضُ من أحبّاء علي على تشجيعه، ودفعه لطلب يد فاطمة فذهب إلى بيت

(١) الكوثر (١٠٨): ١.

الرسول الكريم ﷺ لكنه قبل أن يلتجّ البيت وأن يقول حاجته نزل جبرائيل إلى الرسول ﷺ وقال له: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ جَبَرِيلَ زَوْجَ النُّورِ»^(١).

وبعد حين جمع الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار وخطب فيهم خطبةً عظيمةً مأثورةً بهذه المناسبة ثم قرأ هذه الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(٢). وهكذا أجرى النبي ﷺ أمام المسلمين صيغة عقد الزواج بين علي وفاطمة ؑ ونلاحظ أنه في الإجراء قد سن الإشهاد والإشهاد في عقد النكاح وسن التخفيف في الصداق وعدم المغالاة في المهر محدداً مهر سيدة نساء العالمين بأخف الأمور وال حاجات وهي أكمل النساء وأحسنهن خلقاً وخلقها، زوجها من أعظم الناس نسباً وشرفاً وشجاعةً وعلماً وأوسعهم حلمـاً، إنه أخوه وزويـره وخليـفـته من بعده وإمام المسلمين وبطلـهم وقطـبـ الرـحـيـ في حـروـبـ وـمعـارـكـ الإـسـلامـ.

فعلاً أتوقف بعد الزفاف: وزفت الحوراء الإنسية فاطمة ؑ واشتراك
أهل السماوات والأرض في زفاف النور إلى النور، في زفاف بضعة من
الرسول وفلذة كبدـه واشتراك ﷺ في حفلـهما آخذـا بـيدـ عليـ في يـمينـهـ وـبـيدـ
فاطـمةـ في شـمالـهـ ثمـ جـمعـهـماـ علىـ صـدرـهـ الشـرـيفـ وـقـبـلـهـماـ بـيـنـ أـعـيـنـهـماـ وـهـوـ
يـقولـ: «الـلـهـمـ إـنـهـمـ بـحـرـانـ يـلـتـقـيـانـ وـنـجـمـانـ يـقـتـرـنـانـ، اللـهـمـ إـنـهـمـ أـحـبـ خـلـقـكـ
إـلـيـ فـأـحـبـهـمـاـ وـبـارـكـ فيـ ذـرـيـتـهـمـاـ وـاجـعـلـ عـلـيـهـمـاـ مـنـكـ حـافـظـاـ وـادـهـبـ عـنـهـمـاـ
الـرجـسـ وـطـهـرـهـمـاـ تـطـهـيرـاـ»^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٢٤.

(٢) انظر نظم درر السبطين: ١٨٦ والفصل المهمة لابن الصباغ المالكي ١: ٦٥٤.

(٣) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١ والمعجم الكبير ٤١٢: ٢٢.

فإذا كانت الشجرة الطيبة المباركة لا تثمر إلا طيباً مباركاً فقد ولد لهذين الزوجين الإمام العظيم والزهراء البتول، ولد لهما سيداً شباباً أهل الجنة وسبطاً رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليةما يحيى. ولم يرضَّ الرسول الكريم ﷺ ذو الخلُق العظيم المثل في الأبوة وحنانها ومسؤولياتها لم يرضَّ أن تكون الزهراء بعيدة عنه في سكناها فجعلها في دار ملاصقة لبيته الشريف لكي يتمتع قلبها الشريف برؤيتها في ذهابه وإيابه، وكان يدخل إلى بيتها كلما اشتاق إليها، وعاشت في بيتها إلى جانب والدها تعاون زوجها في كل أمور الحياة وتعمل بكل طاقاتها من أجل أن توفر الراحة لبعلاها الكريم.

فكانَت تعجن، وتخبز، وتطهو، وتطحن على الرحى حتى مجلت يداها من الطحن بالرحى^(١)، كما أثر في صدرها الاستقاء بالقربة^(٢)، ولكنها ظلت تخفي آلامها ولا تشكو إلى زوجها ما بها حبّاً له وخوفاً على مشاعره. وقد دخل الرسول الكريم ﷺ ذات يوم بيتها فوجدها وعليها يديران الرحى، والتعب الشديد باد عليهما، فقال: أيّكما أكثر عياءً من الآخر حتى أساعده؟ فقال علي: فاطمة يا رسول الله، فأخذ الرسول الكريم مكانها، وتقابل مع علي يديران الرحى حتى انتهى الطحن^(٣).

هم النور نور الله جل جلاله هم التين والزيتون والشفع والوتر^(٤)

بلى هم مشاعل الخير والهدایة على مرّ القرون والأجيال، وهم القادة

(١) مناقب آل أبي طالب ١١٩:٣ - ١٢٠:٣.

(٢) مسنن أحمد ١: ١٥٣.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٥١.

(٤) بيت من قصيدة ابن العرنوس الحلبي (ت ٨٤٠هـ) المعروفة بالرائية.

الذين طهّرهم سبحانه وتعالى وانتقام لهم لسرّة وخزنةً لعلمه، وأركانًا لتوحيده، وحججاً في أرضه، وتراجمه لوحيه، إنّهم نور الله في الأرض، وقد عصّمهم من الزلل، وأبعدهم عن الزيف والضلالة.

بقيت على طول المدى ذكرها في مهد فاطمة فما أعلاها من ذا يدانى في الفخر أباها هادي الشعوب إذا ترور هداها في الدنيا وفي آخرها وكأنه بعد البلى أحياها مثل العرائس في جديد حلامها تاج يفوق الشمس عند ضحاتها ^(١)	نسب المسيح بنا لمريم سيرةً والنجم يشرق من ثلاث مطالع هي بنت من هي زوج من هي أم من؟ هي ومضة من نور عين المصطفى هي رحمة للعالمين وکعبة الآمال من أيقظ الفطر النائم بروحه وأعاد تاریخ الحياة جديدة ولزوج فاطمة بسورة هل أثى
--	---

لم يذكر التاريخ أنّ الرسول الكريم قام بوجه أحد من الناس مستقبلاً إلا فاطمة إذا دخلت عليه يقوم بوجهها، ويقول: أهلاً بأم أبيها، أهلاً بمن ولدت أباها مررتين، وفي مرضه الأخير، مرض وفاته صلوات الله عليه دخلت عليه ابنته العزيزة فاطمة فقال لها اعذرني بنيتي لأنّي لا أقدر أن أقوم بوجهك.

هذه هي فاطمة وهذه هي مكانتها عند رسول الله صلوات الله عليه وعند ربّ رسول الله الذي جعلها كوثراً للتور، ومنطقاً للهدي، وأمّا لأشرف مولودين في الدنيا، ونتساءل بعجب ومرارة ودهشة: إذا كانت حياتها وحياة أبيها الكريم صلوات الله عليه متقاربتين وملتصقتين بهذا الشكل فهل يمكن أن نصدق أنّها صلوات الله عليه ماروت حدثاً

(١) هذه القصيدة للدكتور محمد إقبال اللاهوري (ت ١٩٣٨)، واسمها: النجم المشرق.

واحداً عن أبيها رسول الله ﷺ؟!

جهاد فاطمة: لقد عايشت الزهراء الطاهرة كلّ الظروف التي مرت بأبيها رسول الله ﷺ فذاقت معه مرارة الحرمان وشقاء الحروب، وهي الابنة الوحيدة. فكيف لا تشاركه في محنته؟! وشدّته وكيف لا تشاركه في الجهاد وهي تنظر إلى صبره في غزوة أحد حين كسرت رباعيته؟! وشج وجهه وخذه المنافقون فكانت هي التي تضمد جروحه^(١)، وجروح زوجها، وكانت تقدم الطعام لأبيها العظيم كسراً من الخبز في غزوة الخندق^(٢)، وظللت صور هذه المواقف مطبوعةً في قلبها حتى توفي والدها رسول الله ﷺ فرأت بأمّ عينها كيف ترك الناس جثته، وغادروها مسرعين في طلب الدنيا ومناصبها وزخرفها، وتولى دفنه علي عليه السلام.

ثمّ ذاقوا مرارة الإذلال والإهانة من أولئك الطامعين في المناصب والسلطة والرئاسة حتى أنها قاست صنوفاً من الشتم والضرب^(٣)، ومرضت، وعلى فراش المرض جاء إليها ليعودها كثيرٌ من نساء الأنصار والمهاجرين وقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت: «أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، ونشأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لغلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي، و﴿لَيُنَسَّ مَا قَدَّمْتُ هُنْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٤)... ويحهم أنّي زحرتها عن

(١) صحيح البخاري: ٣: ٢٢٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢: ٤٨.

(٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٥٠.

(٤) المائدة (٥): ٨٠.

رواسي الرسالة؟! وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطالبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي الحسن، والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته ونكاو وقعته، وتنمره في ذات الله عزّ وجلّ... فابشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً وزرعكم حصيداً، فيا حسرتي لكم وأني بكم، وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون»^(١).

(١) معاني الأخبار: ٣٥٤ - ٣٥٥، حديث ١.

الإمام الحسن عليه السلام

إن دراسة مناهج أئمة أهل البيت عليهم السلام ودقائق سيرة خطّهم في الحياة واستعراض أخلاقهم وسلوكياتهم وسيرتهم وما خلفوه للأمة الإسلامية، ولكلّ من يرغب في العيش الكريم من آثار وأعمال خالدة في مجالى العقيدة والأحكام والفقه والتشريع والتربية والإصلاح والجهاد والكفاح السياسي، وعما عانوه من آلام ومشاكل وما تحمّلوه من ظلم واضطهاد من سلطات عصرهم ومن بيدهم مقاليد الأمور، كلّ ذلك يدفعنا إلى معرفة أكثر التجارب الإسلامية الرائدة شرائعها وأغناها تجسيداً للمهمة الرسالية الصادقة والجهاد والنضال من أجلها وفي سبيلها.

إن كلّ من يدرس ويعيش حياة أهل البيت عليهم السلام، ويتعريّض إلى وجودهم العلمي، وموافقهم السياسية، وإلى الأحداث والظروف التي عصفت بأركان الأمة وبالرسالة على حد سواء، أقول كلّ من يقف على ذلك فسيكتشف له بكلّ وضوح من هم آل البيت عليهم السلام، وما هو سرّهم العميق ؟ إذ يقول القرآن بطهارتهم من الذنوب والمعاصي ثم يدعو إلى محبتهم والولاء لهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَ كُمْ ثَطْهِيرًا﴾^(١).

وقد بين النبي الأكرم صلوات الله عليه هذا المعنى بكلّ وضوح بعد انصرافه من

(١) الأحزاب (٣٣): .٣٣

حجّة الوداع حيث قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتاهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي. ثم قال: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثلاث مرات؟ قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١).

والإمام علي عليه السلام هو خليفة رسول الله ﷺ، وهو رجل العدالة الخالد، ورمز الحق على امتداد التاريخ البشري، وقد تجلّى عدله خلال خلافته الإسلامية ، فكان الناس عنده سواسية كأسنان المشط عند الحق، فلا قرابة ولا أنساب، ولا يجرؤ أحد من آل أبي طالب على التقرب إلى أمير المؤمنين ليحاول أخذ مالاً حقّ له فيه، وإن التاريخ ليشهد شهادة حقّ أنه كلّما ذكر الحقّ كان علي عليه السلام إلى جانبه، وهو القائل: «الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحقّ له، والقوى عندي ضعيف حتى آخذ الحقّ منه»^(٢).

فهذا السفر العظيم من الخلق العظيم كان ينتقل في أئمة أهل البيت عليهما السلام من كابر ل CABER ، وهذه الشمائل كانت وصية كبيرة لهم لصغيرهم من الإمام الأب إلى الإمام الأبن، وهذا السبط المجتبى الإمام الحسن عليه السلام الذي لا يقل عن أبيه الإمام علي في شأن حرب أو سلم ولا في حكم أو علم، إنه ابنه الأكبر، وابن فاطمة الزهراء عليها السلام، وابن الرسول العظيم عليه السلام بنص القرآن الكريم عندما باهل النصارى فأيده القرآن الكريم بأن أكد أنّ حسناً وحسيناً هما من أبناء رسول الله ﷺ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ^(٣).

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ١: ١١٠.

(٢) نهج البلاغة ١: ٨٩، الخطبة رقم ٣٧.

(٣) آل عمران (٣): ٦١. انظر: صحيح مسلم ٧: ١٢١ وسنن الترمذى ٤: ٢٩٣ وتفسير ابن كثير ١: ٣٧٩.

فالإمام الحسن عليه السلام قال عنه بعض المؤرّخين: أنه رجل ضعيف في الأمور الإدارية لشئون المسلمين، وأنه لا يكتثر إلا بزواج النساء، وأنه رجل صلح وسلم، لا رجل حرب، وأنه خذل المسلمين في صلحه مع معاوية، وقالوا فيه باطلًا الكثير مما ليس فيه، وتنطلي مثل هذه الأمور بكلّ أسف على من يقرأ التاريخ بشكله الصحيح أو يتقرّى حياة أهل البيت الكريمة، وهم لا يختلفون في مسيرة حياتهم فكراً وسلوكاً وسواء عن بعضهم بعضاً أو عن الإمام علي عليه السلام وحتى الإمام المهدى المنتظر عليه السلام، إنّ الذين اصطفتهم الألطاف الإلهية في النسب والمولد والتربيّة، وتغذية العلم لهم عند كلّ ذي إنصاف من أشرف الخلق، ومن أطهر البيوت، وحرى بهم أن يضطّلعوا بمسؤولية القيادة في الدنيا والدين، وأن يكونوا نوراً وهداية للناس إلى طريق الحق.

ولكي ننصف الإمام الحسن عليه السلام ولكي نبيّن أنه لم يكن ليخطو خطوة واحدة في حياته إلا وفيها صلاح الأمة وهدایة الناس، وله أسوة حسنة في جدّه رسول الله الذي ما أذن المسلمين في مكة أول الدعوة بالقتال لمدة ثلاثة عشرة سنة، وذلك بعدم كمال استعداداتهم آنذاك للدفاع عن دينهم، كما وله أسوة حسنة في جدّه يوم صلح الحديبية عندما رأى أنّ المسلمين سوف يقطفون ثمار هذا الصلح فيما بعد، وكذلك في صلحه مع اليهود وإعطائهم ثلث ثمار المدينة، وقد عارضه يومها بعض الصحابة، ولكنّ الرسول أدرى بأمور المسلمين وشئون حياتهم، ولو كان الإمام الحسين عليه السلام مكان الحسن عليه السلام وفي نفس الظروف والشروط لما فعل إلا الذي فعله الحسن، ولو كان الحسن بمكان الحسين بكرباء لما فعل إلا الذي فعله الحسين؛ لأنّ كلّ إمام لا يقرر ولا ينفذ إلا وفقاً لما تعلمه عليه عقیدته الثابتة آخذًا بعين الاعتبار

الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة به.

الإمام الحسن المجتبى وأسباب الصلح:

لدى مطالعنا في كتب التاريخ الإسلامي نجد الكثير من الشائعات المتداولة بين الناس والتي تشير إلى أمور مشينة كثيرة حول قيادة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام. وينسجون حول ذلك الشائعات، عن ضعفه وتخاذله أمام الأحداث التي مررت به فمنهم من يقول إن تنازله كان حسماً للفتنة وسفك الدماء بين المسلمين، ومنهم من يقول: إن شخصيته لم تكن بمستوى المسؤولية، وآخرون يقولون إن الشعب كان مسلوب الإرادة وضعيفاً عن القتال مما حدى بالإمام أن يرضخ للصلح، وفئة أخرى تقول: إن شعب العراق قد أصابته دعوة أبيه الإمام علي عليهما السلام لما لاقى من التزلف والتملق والنفاق فقبل الصلح مع معاوية وهو مرغم لذا فإننا نقول إن الذين يؤاخذون الإمام على الصلح مع معاوية إنما يهملون - خطأً أو قصداً - العواصف والأعاصير العاتية التي أحاطتها به عدو ظالم داهية لا يتوصل إلى هدفه إلا بالغدر والمكر والخديعة بعيداً عن كل إملاء للضمير الإنساني، وعن كل واجب في الحق، وسنبيّن هنا لكل باحث حقيقة ما جرى مع ملابسات هذا الصلح وأسبابه محاولاً أن أنصف الإمام الحسن عليهما السلام الذي لم يكن له إلا الخيار الصعب، وهو الصلح مع معاوية.

إنّه لمن حسن الحظّ ومن أكبر النعم على الشعوب أن يولّى عليهم حاكم عادل وقائد رحيم. عالم يستطيع أن يشيد أعظم الحضارات على وجه الأرض وأن يبنيها على ركائز متينة من العدل والحرية والرفاهية والأمن والطمأنينة، ولقد خصّ الله سبحانه، الشعب المسلم بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في بلاد العراق وبعض البلاد الأخرى فأسس لهم دولة قوية في قواعدها عظيمة في مبادئها؛ لأنَّه هو من أعظم القادة بعد رسول الله ﷺ مما أعطوا حرية الفكر والعبادة لغير المسلمين الذين غطى بلادهم الإسلام.

وتلك هي آثاره العظيمة التي لم يكن معظمها معروفاً ومفهوماً عند أبناء ذلك العصر. إنَّ كلَّ قضية أو حركة لكي تقوم وتنجح إنما تحتاج إلى ثلاث ركائز، القائد والدستور والمجتمع، فإذا كان القائد كفياً وعليناً بالدستور الذي يحقق السعادة للناس والمجتمع وطائعاً له فإنَّه واصل لا محالة إلى أرقى المراتب وأعلى المستويات، أمّا إذا تعطل واحد من هذه الركائز الثلاثة أو فسد فإنَّ الركائزتين الأخيرتين ستتأثران وتميلان إلى الانهيار والسقوط، وهذا ما لاقاه شعبه في العراق بتأثير التزلف والانحراف والخوف، إضافة إلى ابتلائه بعده فاجر كاذب غادر محتال، وهو معاوية، الأمر الذي جعل الناس من حول الإمام ضعيفي الإرادة، واهني العزيمة، وأهوائهم شتى حتَّى إلى ما بعد وفاته.

وقد انعكست مجمل هذه الظروف على حياة ابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي استلم بعد أبيه والذي كان ملزماً بالواجب الإلهي أن يعمل بكلِّ ما يملك من قدرة على استمرار دوام الحكومة الإسلامية كما أسسها أبوه، لكنَّ شعبه كان عدواً لنفسه بعد أن عرف معاوية المارق كيف يدخل إلى أعمق ذلك الشعب بالمال والرُّشوة حتَّى جعل أكثر قادة الإمام الحسن سلعة بيده، وطوع أمره، وهنا يتبيَّن للقارئ الكريم كيف عصفت أعاصير الكوارث بالحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وكيف قبلَ الصلح مرغماً!

صعد الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد وفاة أبيه على المنبر خطيباً، ومن حوله كبار المهاجرين والأنصار، فوجَّه لهم بياناً عن توليه الأمر بعد أبيه، وراح يحثُّهم

على خير العمل، والثبات حول قائدتهم، مذكراً بنفسه قائلاً: «أنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، أنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»^(١).

ثم ثنى بعده عبد الله بن العباس، فقام الناس وبايعوا الحسن عليه إماماً وخليفة، وجاءته الشعوب من مختلف الأمصار الإسلامية وسائر مناطقه الأخرى في اليمن وفارس والحجاز فأدوا له البيعة.

وأجهد الإمام الحسن عليه إماماً نفسه في بناء الدولة الإسلامية فقام بتصفية الأجواء، ورسم الخطط، واختار العمال والولاة الأكفاء الصالحين على المناطق الإسلامية لتنظيم مختلف شؤون الدولة السياسية والاجتماعية والدعوية، لكن معاوية الذهنية أدرك خطورة هذا العمل المتقن عليه فبدأ بإرسال جواسيسه للاتصال مع المنافقين ومع أهل الدنيا في دولة الإمام، فراحوا يشّون الدعاية لصالح معاوية حتى علم الإمام بذلك الختل والمكر فبعث برسالة إلى معاوية يقول فيها: «أما بعد فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحبُ اللقاء»^(٢).

وفهم معاوية من الرسالة الإنذار والتهديد والوعيد فبدأ بتجهيز جيوشه استعداداً لمقاتلة الإمام الذي علم بذلك فأعلن التعبئة العامة، وهو يلمّس في الشعب من حوله ذهولاً وارتباكاً وضعفاً وتوانياً عن الاستعداد للحرب، وهذه إحدى الصدمات للإمام عليه.

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٧٢.

(٢) الإرشاد ٢: ٩ والفصل المهمة لابن صياغ المالكي ٢: ٧٢٠.

وعندما اكتمل تجهيز جيشه الأول بعثه بقيادة عبيد الله بن العباس لainوف على اثنى عشر ألفاً، وكانت هذه الفرقة قد قاتلت معاوية بصفين مع أبيه الإمام علي عليهما السلام وأنزلت به أكبر الخسائر، وقد أوصى الإمام ابن عمه عبيد الله وصايا كثيرة حثّ فيها على اللين والرحمة وفرش الجناح لمن تحت إمرته ثم وضع معه قائدين هما قيس بن سعد وسعيد بن قيس، وسار الجيش حتّى وصل إلى صفين في الرقة حيث كان موقع معركة أبيه، فتفاول الجيشان قتالاً مريراً، وكانت الهزيمة النكراء لجيش معاوية الذي تلافي نتائج الهزيمة وأخطارها فانتقل من الاقتتال إلى المكر والخداع والإغراء والترغيب.

قال معاوية في زمان علي عندما بلغه شعر المنذر بن أبي حمصة الوداعي:
«والله لاستميلن بالدنيا ثقات علي ولا قسمن فيهم الأموال حتّى تغلب دنياي»^(١).

وفعلاً استطاع الماكرون أن يغري الكثيرين فقد بعث بآلف دينار إلى عبيد الله بن عباس القائد العام على شرط الانسحاب، أعطاه نصفه والنصف الآخر وعده إذا دخل الكوفة فأخذها عبيد الله وانسحب ليلاً، وبقي قيس بن سعد القائد الثاني^(٢) حتّى أرسل له الإمام نجدة من أربعة آلاف رجل وعلم الماكرون معاوية بأمر النجدة فبعث إلى قائده خمسمائه ألف دينار، واستطاع إخراجه من المعركة، فلما علم الإمام بهذه الخيانات المتكررة خطب بالناس في الكوفة، وأخبرهم بأمر الخيانة، ثم طلب قائد آخر اسمه المرادي، وسلمه أربعة آلاف جندي حتّى وصل إلى ساحة المعركة فلما سمع به معاوية استطاع أيضاً أن يغريه بالأموال الطائلة فانهزم المرادي ملتحقاً بمعاوية، ناكثاً

(١) شرح نهج البلاغة ٨: ٧٧.

(٢) مقاتل الطالبين: ٤٠ - ٤١.

بكل العهود والمواثيق التي قطعها على نفسه للإمام الحسن عليه السلام^(١).

عندما خطب الإمام بالناس في الكوفة وقال لهم: «فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا انصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت بحمد الله ومنه محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة...»^(٢).

ونظر الناس بعضهم إلى بعض وهو يتشاررون ويقولون: والله إنه يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه و قالوا: قد كفر الرجل والله وهجموا عليه ونهبوا ممتلكاته وخيمته وطعنوه في فخذيه اسمه الجراح بن سنان فسقط الإمام على الأرض وهو يقول: «لعنكم الله من أهل قرية لقد قاتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا»^(٣).

ثم رجع إلى المدائن يتلقى العلاج هناك وكان جيشه يتراجع إلى العراق وأخذ الكثير من الزعماء في الكوفة يبعثون إلى معاوية قائلين: إن شئت قتلنا لك الحسن بن علي عليه السلام وإن شئت بعثناه أسيراً^(٤)، وكان منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص الخائن وحجر بن عمر والأشعث بن قيس وغيرهم كثير. واكتشف الإمام عليه السلام مضمون هذه الرسائل وعرف أهلها فتبين له خيانة الناس وعبادتهم للدنيا وحبهم للراحة. وبعدهم عن الدين وقال قوله خالداً: «وا عجبًا من قومٍ لإحياء لهم ولا دين، يغدرون مرّة وأيّم الله لو وجدت على ابن هند

(١) انظر الهدى الكبى لحسين بن حمدان الخصيبي: ١٩٠.

(٢) مقاتل الطالبين: ٤١.

(٣) تهذيب الكمال ٦: ٢٤٦ وانظر سير أعلام النبلاء ٣: ٢٦٤.

(٤) الإرشاد ١: ١٢.

أعواناً ما وضعت يدي في يده، ولا أسلمت إليه بالخلافة وإنها محرمة عليهم، فإذا أنت لا يأمن عددكم وأفعالكم فإني واضح يدي في يده، أيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية، وإنني لأعلم أنني عنده أحسن حالاً منكم، وتالله ليسوء منكم بنو أمية سوء العذاب، ويشنون عليكم جيشاً عظيماً من معاوية فتبأ لكم وترحأ يا عبيد الدنيا وأبناء الطمع»^(١).

وتراحمت قوى الشر من كلّ ما كرّ وغادر وبائع لدینه على قتال هذا الإمام الصالح الذي لم يكن لي يريد إلّا الخير كلّ الخير للإسلام وأهله، ويملي عليه معاوية شروطه للصلح بالخديعة ويقبل الإمام مرغماً. صلح الغادر الماكر بالشروط التالية:

١) أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله^(٢).

٢) اشترط أن الحكم بعد معاوية يرجع إلى الحسن^(٣).

٣) أن يؤمن شيعة علي عليه السلام وأن لا يتعرّض لأحد منهم بسوء^(٤).

٤) أن يكف اللعن والسب عن الإمام علي على المنابر^(٥).

تلك هي الشروط التي أبرمها الإمام هادفاً إلى حفظ الأمة من الأخطار التي كانت تهدّدها محاولاً أن يعيد تعبئة النفوس وفقاً لرسالة الإسلام وأن يبعث الأمة من جديد.

(١) الهداية الكبرى: ١٩١.

(٢) انظر ينابيع المودة ٢: ٤٢٥.

(٣) فتح الباري ٣٣: ٥٥.

(٤) الإرشاد ٢: ١٤.

(٥) المصدر السابق.

فماذا نقول للتاريخ وقراءه وماذا نكتب للضمائر وأهلها؟ وكيف نخاطب الجهلة المخدوعين الضاللين الذين يتوهمون أنَّ الحسن بن علي عليهما السلام جبان ورجل سلام لا رجل حرب، ثم يفتررون عليه مالا يليق بشخصه الذي لا يختلف عن شخص أبيه ؟ لأنَّهم ذرييُّ بعضها من بعض ، وكانت وصيته عليهما السلام أن يدفن إلى جانب جده^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن دس له المجرم معاوية السُّم عن طريق زوجته جعدة^(٢) وبعد أن وضع الشروط المبرمة للصلح تحت قدميه وقال للناس في الكوفة: «إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكُوا ؛ إنكم تفعلون ذلك فإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»^(٣).

وبعد وفاته عليهما السلام حمله بعض أصحابه ليدفنه إلى جانب جده حسب وصيته لكن الأمويين منعوهم من ذلك وراحوا يرمون جثمانه الطاهر بالبفال الحاقدة حتى غطتها السهام وعادوا بالجثمان فدفنه بالبقيع.

(١) شرح نهج البلاغة ١٦:١٣.

(٢) الاستيعاب ١: ٣٨٩.

(٣) مقاتل الطالبين: ٤٥.

الإمام الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ

تزداد ثورة الإمام السبط الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن تألفاً في جبين التاريخ، ورسوخاً في ضمير الأمة المسلمة، ووضوحاً في فكر المؤرخين والباحثين، كما يزداد الأحرار المؤمنون اقتداءً بها وتمسكاً بنيل أهدافها من أجل تحطيم جور الطواغيت، وإزالة حكم عملاء الشرق والغرب في عالمنا الإسلامي الكبير.

الإمام الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ شار وأصرّ على الشورة وواصل أشواطها الأخيرة، واسترخص أغلى التضحيات، وبذل أعزّ النفوس الطاهرة والأرواح الزكية لهدف واحد، وهو إبطال ما غرسه ويغرسه من الفساد والظلم معاوية بن هند آكلة الأكباد والذي حاول جاهداً مع ابنه يزيد أن ينسف مبدأ الشرعية الإسلامية من الجذور، وعمل بالباطل على إباحة كل حدود الله وأحكامه ابتداءً من شروط توقي قيادة الأمة المسلمة وانتهاءً بتعطيل كل أحكام العبادات وقواعد الأخلاق في الإسلام.

إنّ لأبي عبد الله الإمام الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ مكانة عظمى لا يرقى إليها سوى أبيه وأمه وأخيه السبط والأئمة من ولده عَلَيْهِ الْسَّلَامُ، ولو بذل كلّ مؤرّخ جهده الحقيقي لتتبّع ما يحظى به الإمام الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ من مقام رفيع إذاً لخرج بسفر جليل في هذا المضمار، وإنّا وبقدر ما تسمح به المحاولة التي بين أيدينا سنشير إلى بعض المنطلقات الأساسية التي تبرز مقامه الشريف ومكانته الكبيرة في معيار

الشريعة الإلهية.

مسيرة الإمام الحسين إلى كربلاء شكلت مدرسة الإسلام العظيمة في مطلع العقد السابع من القرن الهجري الأول، وثبتت التعاليم الشاملة في السياسة الإسلامية ، وهي تعليم تصلح لكل زمان ومكان ؛ لأنّ الحسين عليهما السلام استقاها من القرآن الكريم ومن سيرة أبيه عليهما السلام ومن سنة جده الرسول ﷺ فكان سلوكه السلوك الرسالي الذي يحمل الهدایة والإرشاد للعالم .

لقد ألقى الإمام الحسين عليهما السلام درساً رئيسياً على الإنسانية هو جوهر الإسلام وحقيقة، والذي انبثقت منه دروس كثيرة تحدد المكلفين لقيادة أمّة الإسلام، وتكشف عنمن يجب أن توكل إليهم إماماً للأمة الإسلامية بعد الرسول الأعظم ﷺ، وإنّ هذه الإمامة التي صدّع بها الحسين من أهم المسائل الأساسية في الفكر السياسي الإسلامي، بل هي أهمّ تلك المسائل على الإطلاق، والتي اختلفت حولها آراء المسلمين وموافقهم بعد وفاة الرسول ﷺ، وخاصةً بعد استلام معاوية الأمر، وتنصيبه لابنه يزيد من بعده، فقد اتسع هذا الخلاف وأخذ منحىًّا مصيريًّا هاماً فقال البعض: إنّ الإمام معين بالنصّ بواسطة الرسول ﷺ عن الله سبحانه وتعالى، ومنهم من قال: إنّ المسألة شورى في المسلمين يختارون لقيادتهم من يرون أنه أهلًّا للقيام بذلك.

فأمّا وجهة النظر الأولى القائلة بالنصّ على الإمام فلم يكتب لها أن تُطبق في الإسلام إلّا لفترة وجيزة تمثلت في خلافة الإمام علي عليهما السلام، ولم يُفتح لها أن تخوض تجربتها بسبب ما واجه الإمام من المشاكل المعقّدة التي أدّت إلى اندلاع الحروب المتالية في عهده، ولم يقدر للأمور أن تحسّم، وللمشاكل أن تحل آنذاك بسبب اغتيال الإمام.

أما وجهة النظر التالية والقائلة بالشوري: فهي التي طبّقت عملياً، وهي التي أفضت في نهاية الأمر إلى ما هو سائد اليوم من حالة مزرية في بلدان المسلمين.

الواجب الشرعي في مقاومة أئمة الجور: علم الحسين في مسيرته ضرورة مقاومة أئمة الجور كواجب شرعي يقع على عاتق المسلمين بقيادة الإمام الحق، والمنصوص عليه من الله سبحانه وتعالى، وتأكيداً لهذا المبدأ كان الحسين عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ يعلن أنّ ما يمنعه من بيعة يزيد، إنّما هو فساده الشخصي الذي لا يؤهّل إلّا أن يكون سلطاناً جائراً، وإنّ تمسّك الحسين بهذا المبدأ ينطلق من القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿لَا يَنَأِيْ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

والظالمون - حسب القول الإلهي - هم أولئك الذين يتعدّون حدود الله أمّا الإمام الحسين فقد كان يسير على هدي تعاليم الرسول ﷺ حيث يقول: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، تاركاً لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ فعمل في عبادة الله بالإثم والعداوة ثم لا يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٢).

إنّ أعظم الدروس السياسية التي قدّمتها الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ لأمة الإسلام هي أن لا يجعل القائد نفسه وذويه في مأمن عندما تعرّض نفوس الآخرين للخطر، وهو عندما جاء إلى كربلاء وصاحب معه جميع نسائه وأولاده وإخوته وأبنائهم حيث استشهد جميع الذكور باستثناء الإمام زين العابدين عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ الذي

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

(٢) الفتوح لأحمد بن أعمش الكوفي: ٥: ٨١

وانظر: مقتل الحسين لأبي مخنف: ٨٥ و تاريخ الطبرى: ٤: ٣٠٤ والكامل في التاريخ: ٤: ٤٨.

كان مريضاً، وأنقذه الله من الموت، هذه هي شجاعة ومصداقية وإيمان الإمام الغير المحدود إمام عدل قضيته وإمام واجب دينه يمثل بها جده رسول الله ﷺ الذي وقى أصحابه قدّ السيف بأهل بيته الكرام حيث قتل عبيدة بين الحارث في بدر والحمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة^(١).

نحن نقول إن ثورة الحسين هي عطاء عظيم، وتصحيح عقلي وفكري لأمة الإسلام آنذاك حيث كان التمييز مشوهاً ما بين الحاكم الإسلامي الشرعي والحاكم المنحرف، وكان الكثيرون يدينون للباطل دون إدراك أو تميز.

إن ثورة الحسين تنير الدرب للمؤمنين الشرفاء وتذكّرهم دائمًا بوجوب تصحيح المسار والتبرئة من النفاق والمنافقين، وليرفوا من هم أولوا الأمر الذين قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَعْلَمُ﴾^(٢).

إن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليعني الحكام المسلمين، ولكن هم الذين يحدّهم ويزكيّهم حتى يكونوا بمستوى ولاية الرسول بعد الله تعالى.

من هو الحسين: الحسن والحسين أسماءٌ خصّهما بها الله تعالى دون سواهما، ولم يسبق لأحد من قبل أن سمي كذلك إلا ولدا هارون أخونبي الله موسى ووصيه، وكان الاسم بالعبرانية شبراً وشبيراً وترجمتهما في العربية حسن وحسين^(٣).

(١) انظر نهج البلاغة ٣:٩، كتاب رقم ٩.

(٢) النساء (٤): ٥٩. نزلت في علي عليهما السلام وفي بعض الأخبار معه الحسن والحسين عليهما السلام انظر شواهد التزيل للحاكم الحسکاني ١: ١٨٩ - ١٩١ - ٢٠١ - ٢٠٣ ومناقب علي ابن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه: ٢٣٠، حديث ٣٣٧ و ٣٢٨، وينابيع المودة ١: ٧٤.

(٣) الأمالی للشيخ الصدوق: ١٩٧ - ١٩٨. وانظر: مسند أحمد ١: ١١٨ والمستدرک للحاکم النيسابوري ٣: ١٦٥ والسنن الكبرى للبيهقي ٦: ١٦٦ والمصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٣، حديث ١١.

كنيته عليه السلام أبو عبد الله، وألقابه: سيد شباب أهل الجنة^(١) والسبط^(٢) الوفي
ثم المظلوم^(٣).

جاء الرسول صلوات الله عليه إلى ابنته فاطمة عليها السلام قبل أن تلد بأيام قليلة وقال لها لا ترضعي المولود حتى أعود فلما ولدت جاء إليها وقال: أين ولدي؟ فناولته لأبيه فوضع لسانه الشريف في فمه، وأذن في أذنيه ثم بدأ يضع إبهام يده اليسرى في فم الحسين يمتصها فسائل: لماذا يا رسول الله؟ قال: حتى ينمو جسمه من نبض قلبي^(٤).

وعلى ذلك فقد غدت هذا الغلام أكفرّ الحق، وأرضعته ثدي الإيمان، وقيل أيضاً أنه حين ولد الحسين نزل جبريل عليه السلام بأفواج وصفوف من الملائكة ليهنئوا رسول الله صلوات الله عليه بمولده^(٥) وامتزج الدمع في عيني الرسول الكريمتين بالفرحة في وجهه الكريم حين أخبره جبريل أنّ ولده الحسين يذبح مظلوماً^(٦) وكان عليه السلام كثيراً ما يصاب بالحزن والأسى ويبكي عندما ينظر إلى الحسين كثيراً ما.

(١) الأمالى للشيخ الصدوقي: ١٧٧ ومسند أحمد: ٣: ٣ و٦٢ و٦٤ و٨٢ و٣٩١ و٣٩٢ وسنن ابن ماجة: ١: ٤٤ وسنن الترمذى: ٥: ٣٢١ حديث ٣٨٥٦ و٣٢٦ حديث ٣٨٧٠ وفضائل الصحابة للنسائي: ٥٨ والمستدرك للحاكم: ٣: ١٦٧ و٣٨١.

(٢) الإرشاد: ١٢٧ ومسند أحمد: ١٧٢ وسنن ابن ماجة: ١: ٥١ وسنن الترمذى: ٥: ٣٢٤ والمستدرك للحاكم: ٣: ١٧٧ والمصنف لابن أبي شيبة: ٧: ٥١٥ وصحیح ابن حبان: ١٥: ٤٢٨ والمعجم الكبير للطبراني: ٣: ٣٣، حديث ٢٥٨٩.

(٣) كمال الدين: ٢٥٩، حديث ٥.

(٤) انظر الإمامة والتبصرة: ٥٢.

(٥) بحار الأنوار: ٤٣: ٢٤٩، حديث ٢٤.

(٦) كفاية الأثر للخزاز القمي: ١٨٨.

أخي القارئ الكريم إن الملائكة لا تنزل بالبشرة والبركة إلا لمن خصّهم الله سبحانه بمحبّته وأحاطهم بلطفه وعطائه. ووضعهم في المكانة الرفيعة التي يستحقونها في حمل رسالة الأمة وجاءت الوثيقة الإلهية بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

عن سلمان الفارسي قال: (دخلت على رسول الله ﷺ فإذا الحسين على فخذه وهو يقبل خديه ويلثم فاه ويقول: «أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام وأنت حجة ابن حجة أخو حجة، أبو حجج تسعه، تاسعهم قائمهم المهدي»^(٢).

إن آية التطهير الكريم كما تقول كل صحاح المسلمين إنما نزلت بحق أهل البيت وإن النبي ﷺ دعا بكساء وجلل به علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ونزلت الآية الكريمة شهادةً من الله تعالى بحقهم وبطهارتهم وسمو مكانتهم^(٣).

ونزلت فيهم آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِرِينَ﴾^(٤).

وذهب أهل التفسير والعلم أنها عندما اتفق نصارى نجران مع رسول

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) ينایع المودة ٣: ٢٩١، حديث ٨.

(٣) الأمالی للصدوق: ٥٥٩، حدث ٤ والخصال: ٤٠٣، حدیث ١١٣ ومسند أحمد ١: ٣٣١ وسنن الترمذی ٥: ٣٠ والمستدرک للحاکم ٢: ٤١٦ و٣: ١٣٣ و١٤٦ و١٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ٢: ١٥٢ وصحیح مسلم ٧: ١٣٠.

(٤) آل عمران (٣): ٦١.

الله ﷺ أن يتباهى كلا الطرفين إلى الله تعالى أن يهلك من كان في دعوته على الباطل فخرج الرسول بأهل بيته وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن. وفاطمة تسير خلفه وعلى يمشي خلفهم والرسول يقول: «إذا دعوت فأمّنوا» لكن النصارى حين رأوا تلك الوجوه الزكية التي يشع منها نور الظهر والإيمان وتوطّرها حالةً من الجلال، اعتذروا للرسول ﷺ عن المباهلة واعترفوا بنبوته ودفعوا له الجزية^(١).

انظر إلى الآية تجدها تعبر عن الحسينين بالأبناء للرسول وعن علي (أنفسنا) نفس الرسول (ونسائنا) فاطمة التي تمثل نساء المسلمين جميعاً، ذلك هو ما يحظى به أهل البيت من مقام رفيع عند الله لا يمكن أن يرقى إليه سواهم أحد من البشر.

قال الرسول ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأبطال»^(٢).

(١) انظر روضة الوعاظين: ١٦٤ والأمالي للصدوق: ٦١٨ والخصال: ٥٧٦، حديث ١ وصحيح مسلم ٧: ١٢٠ وسنن الترمذى: ٤: ٢٩٣، حديث ٤٠٨٥ وفتح الباري: ٧: ٦٠ وتحفة الأحوذى: ٨: ٢٧٨ ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ٥٠ ونظم درر السمعتين: ١٠٨ وتفسير ابن أبي حاتم: ٢: ٦٦٨ وتفسير السمرقندى: ١: ٢٤٥ وتفسير ابن زمين: ١: ٢٩٢ والكشف والبيان: ٣: ٨٥ وتفسير السمعانى: ١: ٣٢٧ وشواهد التنزيل: ١: ١٥٦، حديث ١٦٨ وتفسير البغوى: ١: ٣١٠ وتفسير النسفي: ١: ١٥٨ وأحكام القرآن لابن العربي: ١: ٣٦٠ وزاد المسير: ١: ٣٣٩.

(٢) مسند أحمد: ٤: ١٧٢ وسنن ابن ماجة: ١: ٥١، حديث ١٤٤ وسنن الترمذى: ٥: ٣٢٤، حديث ٣٨٦٤ والمستدرك للحاكم: ٣: ١٧٧ ومجمع الزوائد: ٩: ١٨١ والمصنف لابن أبي شيبة: ٧: ٥١٥، حديث ٢٣ والأدب المفرد للبخارى: ٨٥، حديث ٣٦٩ وصحيح ابن حبان: ١٥: ٤٢٨ والمعجم الكبير: ٣: ٣٢، حديث ٢٥٨٦ ومسند الشاميين: ٣: ١٨٤، حديث ٢٠٤٣ ونظم درر السمعتين: ٢٠٨.

حسين مني أي من لحمي ومن سنجي وجلدي، وأنا من حسين أي أنَّ
الحسين هو الذي يحافظ على رسالتي ويجددها ويثبت قواعدها وهو الذي
يستمر الدين بفضل ثباته وجهاده إن الإسلام محمدي الحدوث حسيني البقاء.

علاقة الإمام باهله: قيل للإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَوْمًا: «ما أعظم خوفك من
ربك؟ فقال: لا يأمن يوم القيمة إلَّا من خاف الله في الدنيا»^(١).

وكان إذا توضأً تغير لون وجهه وارتعدت فرائصه فقيل له في ذلك فقال:
«حقٌّ لمن وقف بين يدي الملك الجبار أن يصفر لونه وترتعد مفاصله»^(٢).

لقد طلب الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ من جيش العدو الأموي في اليوم العاشر أن
يمهله تلك العشية قائلاً: «إننا نريد أن نصلِّي لربِّنا الليلة فإنَّه يعلم أني أحب
الصلاحة له وتلاوة كتابه»^(٣).

وكذلك كان الإمام طوال حياته وحتى في أحلك الساعات وأحرجها
كان يطلب من المعتدين أن يوقفوا الزحف لكي يتمكن من الصلاة بين يدي
الله تعالى، إنسان يواجه الموت فما ينسيه ذلك واجبه نحو ربه في علاقة عميقه
ترتبط بينه وبين خالقه.

أهداف ثورة الحسين:

عندما علم الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ بخلافة يزيد الفاجر قدر تقديرًا صحيحاً
مدى خطورة ذلك، على مستقبل الأمة الإسلامية وقدر في الوقت نفسه ما

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٢٤.

(٢) العالم ٦٢: ١٧، حديث ١.

(٣) اللهوف: ٥٤.

يتربّ عليه هو من الواجب الشرعي إزاء هذا التحول الخطير، ويدافع من وعيه وإيمانه راح بكل الحرارة والعنف يحاول تبديد ضباب الهجمة الفاجرة الذي حجب الرؤية الرسالية وأمات الضمائر، وعطل روح الجهاد والانتصار للحق لدى فئة كبيرة من أمّة الإسلام لصالح المتسليين على رقاب الأُمّة، ولم يكن ليزيد في اندفاعه وتضحيته إلّا الانتصار للحق، وإحداث هزة عنيفة في ضمير الأُمّة لتعي واقعها، وما آلت إليه من انهيار وتفسخ وانحراف، فأذاع عليه السلام بيان ثورته الأوّل قائلاً: «وإني لم أخرج بطراً ولا أشراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجمت أطلب الإصلاح في أمّة جدي محمد صلوات الله عليه، أريد آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، أسيّر بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، وهو خير الحاكمين»^(١).

لقد كان بيان الإمام الحسين بمثابة إعلان رسمي واضح للشورة على الباطل لا هوادة فيها، تدعوه إلى حرب على الفساد والانحراف الذي طمس فيه المعروف، وظهر وأعلن المنكر، وقد نزل عليه السلام قبل سيره إلى العراق بدار العباس في مكّة. يحث الناس الذين زحفوا متوجّهين لنصرته من كلّ مكان، وكان أهل العراق قد طلبوا إليه ذلك وألحوا في طلبهم مستنكرين حكم يزيد وبطانته المجرمة، ووصل صوت أهل الكوفة عاصمة العراق إلى الحسين يحثّه على المسير، ويعلن له تأييده سياسياً ثورياً وموالاة مطلقة ضدّ يزيد بن معاوية، وسلطه على رقاب المسلمين بغير الحق.

وهكذا تحرك الحسين من مكّة مارّاً بجميع البلاد والقرى في طريقه معلناً

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤١.

للناس ومبينًا لهم حال المسلمين الراهن وموقفه منه، وقد لقي خلال ذلك التأييد الكامل حتى وصل بجميع أهله وبعض أصحابه إلى العراق، لكنه فوجئ بأنَّ العدو الجائر كان قد أغرق الناس في جوٍ إرهابيٍ دمويٍ، وغير الموازيين إلى حدٍ بعيد لصالح الفاجر يزيد إما بالتهديد أو بالمال أو بإغراء المنصب حتى استبدل القنوط بكثير من الناس، وأصبحت القبيلة تمنع زعيمها من التصدِّي للسلطان، والأمهات يمنعن أولادهن من الخروج إلى نصرة الحق، وتقاطر الطامعون والمنافقون سراعاً إلى قصر الإمارة الأموي طلباً للمال أو المنصب.

وهكذا تشتَّت وتمزَّق مجتمع الكوفة وانعكس ذلك كله خذلاناً لابن رسول الله الحسين عليه السلام، ولم يعد عندهم من سلاح إلَّا الندم والعجز والبكاء على ما فرطوا بحق آل البيت مما حدى بالسيدة زينب أخت الحسين المرافقة له أن تقف فيه خطيبةً ممثلةً دور كل النساء الصالحات اللواتي ينتصرن لنضال الحق في مسيرته الخالدة، فقالت: «الحمد لله والصلاحة على أبي محمد وآله الطيبين أمّا بعد: يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقات الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة، أنكاثاً تتخدون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلَّا الصلف النطف؟! وملق الإمام وغمز الأعداء...»

ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون، أتیكون وتنتحبون؟ إيه والله فابکوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحسوها بغسل بعدها أبداً، وأنني ترحسون مثل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيركم،

ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون وبعداً لكم
وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفة، بغضب من الله
ورسوله، وضررت عليكم الذلة والمسكناً.

وي لكم يا أهل الكوفة أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟ وأيّ كريمة له
أبرزتم؟ وأيّ دم له سفكتم؟ وأيّ حرمة له انتهكتم؟! لقد جئتم بها صلعاً
سوداء فقاماء. فأعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا
تنصرون فلا يستخفنكم المهل؛ فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الشار
وإن ربكم لكم بالمرصاد»^(١).

وهكذا تضع زينب الكبرى المتخاذلين من أهل الكوفة أمام مسؤولياتهم،
وتعكس لهم جسامته الخطر، وحراجة الموقف الذي هم فيه بعد قتلهم
الحسين عليه السلام.

أما الإمام فيواصل مسيرته إلى العراق متسلحاً بقراره في الدفاع عن الحق،
ولا يحاول النكوص والتراجع، ولم يتأثر بنكث الناس لعهدهم، رغم اتخاذ
السلطة الأموية كل الإجراءات لقطع الطريق على الحسين ودخوله إلى
الكوفة، فمنعت الدخول والخروج من الكوفة وإليها، بأمر من الوالي عبيد الله
ابن زياد الذي نشر قواته على جميع الطرق المؤدية إلى الكوفة في خط يمتد
من القادسية حتى خفان، وخط آخر يمتد من القادسية حتى قطقطانة، ويمتد
انتشار الخطوط حتى جبل لعل فنجحوا في خطّهم الخبيث هذه بقتل ابن
رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحجوا عن العباد نور الله.

(١) اللهوف: ٨٧

الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ

تتملّكنا الدهشة عندما نستمع إلى الوحي يأمرنا بالولایة لأهل البيت! ونتساءل ما هذا التوكيد المتواصل والبالغ الأهمية: ﴿أطِيعُوا الله وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

يأمرنا القرآن الكريم بطاعة أولى الأمر الشرعيين، والتسليم لأمرهم، وعندما نتدبر تلك الآيات يوسموس لنا الشيطان في أنفسنا عمّا إذا كانت هذه الآيات تحدّثنا عن بشر من مثلنا أم عن ملائكة خلقوا من نور قدرته تعالى؟ فما هي الحقيقة الواقعية التي تبيّن لنا سيرة حياة هؤلاء الذين أمرنا الله سبحانه باتباعهم، ألم يكونوا عباد الله الأبرار، وأوليائه الأطهار، الذين أمرنا الله أن نبتغي الوسيلة إليه عبر ولايتهم، وأن نطلب منه الهدى، كما هدى الذين أنعم عليهم، فركع مع الراكعين، ونرجو اللحاق بركب الصالحين.

إنّ ولایة مثل هؤلاء تدفعنا إلى أن نتلمس سيرة حياتهم الوضاءة لنتعرّف إليهم عن كثب، وإنّا عندما نشرح للناس ونعرفهم على حياة الأئمة سواء كان ذلك عن زين العابدين أو غيره من الأئمة ؛ فإنّنا نبيّن حقيقةً واضحةً لا تحتاج إلى بيان، لكن إهمال الناس في تحري الحقائق عبر التأمل المنصف، ومطالعة تاريخ الأئمة، ذلك الإهمال يدعونا أن نبيّن من هو الإمام وما هي مهمّته الرسالية؟

(١) النساء (٤): ٥٩.

الإمام زين العابدين عـ هو سيد العابدين، وقبلة العارفين، وقدوة الموحدين، هو ابن الحسين عـ الباقي الوحيد لأبيه بعد قتل إخوته وأهله يوم كربلاء، وكان عمره ثلاثة وعشرين سنة، وكان متزوجاً، وله ابن اسمه محمد الباقي الذي احتضنه جده الحسين عـ لمدة سنتين.

أما أمّ زين العابدين فكانت (شهربانو أو شاه زنان) بنت أكبر ملوك عصره الملك الفارسي يزدجرد بن شهريار بن كسرى^(١).

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لأكرم من نيطت عليه التهمائم^(٢)
 وإن غلاماً بين كسرى وهاشم

وعجباً لنا لا نعرف أهل البيت ولا نقتدي بهم ولا ننصرهم! بينما يفاخر الأعاجم حتى أبد الآبدين بانتساب هذا الإمام إليهم من طرف أمّه.

مولده وحياته:

ولد عـ في المدينة المنورة سنة ٣٨هـ، وتزوج عدة زيجات، وله من الأولاد خمسة عشر ما بين ذكر وأنثى^(٣)، وعاش الإمام عـ في عهد يزيد بن معاوية ثلاث سنين الذي هلك سنة ٦٤هـ^(٤).

وفي حكم ابنه معاوية الأصغر الذي حكم أربعين ليلة فقط^(٥) تبرأ فيها

(١) انظر مواليد الأئمة لابن الحشّاب: ٢٣ و تاريخ الأئمة للكاتب البغدادي: ٢٤ والإرشاد: ٢: ١٣٧.

(٢) الكافي: ١: ٤٦٧، حديث ١ ومناقب آل أبي طالب: ٣: ٣٥٠.

(٣) الإرشاد: ٢: ١٥٥ - ١٥٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٦: ١٥٢.

(٥) المصدر السابق.

من أعمال أبيه وجده ثم مات فاستلم الحكم بعده مروان بن الحكم لتسعة أشهر في عصر الإمام.

ثم تلاه عبد الملك بن مروان الذي مات سنة ٨٦ هـ ثم الخليفة الوليد بن عبد الملك^(١) الذي مات الإمام في عهده مسموماً.

كان الإمام عَلَيْهِ السَّلَام سليل النبوة، وكان نافذةً من النور، وأفقاً بين الدرب الصحيح الذي يتقرب فيه العباد إلى الله وتراباً يتمرّغ فيه الزهاد شوقاً إلى عالمهم الآخر، ولقد كتب عنه المنصفون قدِيمًا وحديثاً، وقالوا عنه الكثير عن عفوه وحلمه وكرمه وعطائه وتواضعه، ودوّتوا له أدعيةً هي ينبوع من عالم الحقيقة، مفسراً فيها كلّ معضلة، وموضحاً كلّ إبهام، وواضعاً الدواء لكلّ داء، مناجياً بكلام الحقّ وجمع أدعيته تحت عنوان: «الصحيفة السجادية»^(٢).

وانتشرت علومه عن طريق الدعاء؛ لأنّها كانت مراقبة ومحاصرة بشدةً من قبل السلطة السياسية الأموية، فاضطرّ أن يبيّن للناس أعظم العلوم الأخلاقية والروحية والتوحيدية والسياسية عن طريق الدعاء الذي لا يستطيع أن يصل إلى مثل مستوى أحد لو لا الألطاف الإلهية التي خصّ الله بها من اختارهم لقيادة العباد، وسياسة البلاد، وحمل لواء الدعوة، ذلك هو الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَام.

إن هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة عبد الملك والوليد، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر، فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه،

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٤.

(٢) الذريعة: ١٥: ١٨.

وأطاف به أهل الشام فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجهًا، وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجادة، كأنّها ركبة عز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس حتى يستلمه، هيبة له وإنجلاً، فغاظ هشاماً فقال رجلٌ من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرجوا له عن الحجر؟

فقال هشام: لا أعرفه، لثلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق - وكان

حاضرًا - لكنني أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبو فراس؟ فقال:	هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيتُ يعرّفه والحلّ والحرمُ	هذا ابنُ خير عباد الله كلهُم
هذا التقى النقى الطاھرُ العلُمُ	هذا علیٰ رسول الله والدُّهُ
أمسي بنور هداه تهتدي الظلمُ	إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ	ينمى إلى ذروة العز التي قصرت
عن نيلها عرب الإسلام والعجمُ	يكاد يمسكه عرفان راحته
ركنُ الخطيم إذا ما جاء يستلمُ	يغضي حياءً ويغضي من مهابته
فما يكلم إلا حين يتسمُ	ينشق نور الدجى عن نور غرته
كالشمس تنجاب عن إشراقتها الظلمُ	بكفه خيزران ريحه عبق
من كف أروع في عرنينه شمُّ	مشتقة من رسول الله نبعته
طابت عناصره والخيم والشيمُ	حمال الثقال أقوام إذا فدحوا
حلو الشمائل تحلو عنده نعمُ	هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا	هذا ابن فاطمة الغراء نسبته
في جنة الخلد يجري باسمه القلمُ	

جرى بذلك له في لوحه القلم وفضل أمته دانت لها الأممُ عنها الغيابة والإملاق والظلمُ يستو كفان ولا يعروها عدُّ يزيشه اثنان حسن الخلق والكرمُ رحب الفناء أرب حين يعترمُ كفرٌ وقر لهم نجى ومعتصمٌ ويستزد به الإحسان والنعمُ في كلّ بداء وختوم به الكلمُ أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُمْ ولا يُدان لهم قوم وإن كرموا والأسد أسد الشري والنار تختدمُ خيمٌ كريمٌ وأيد بالندى هضمُ سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا لأولية هذا أوله نعمٌ والذين من بيت هذا ناله الأممُ	الله فضلـه قـدماً وشـرفـه من جـدـه دـان فـضـلـ الـأـبـيـاءـ لـهـ عـمـ الـبـرـيـةـ بـالـإـحـسـانـ فـانـقـشـعـتـ كـلتـاـ يـدـيـهـ غـيـاثـ عـمـ نـفعـهـاـ سـهـلـ الـخـلـيقـةـ لـاـ تـخـشـىـ بـوـادـرـهـ لـاـ يـخـلـفـ الـوعـدـ مـيمـونـ نـقـيـتـهـ مـنـ مـعـشـرـ حـبـبـهـ دـيـنـ وـبـغـضـهـمـ يـسـتـدـفـعـ السـوـءـ وـالـبـلـوـيـ بـحـبـبـهـمـ مـقـدـمـ بـعـدـ ذـكـرـ اللهـ ذـكـرـهـمـ إـنـ عـدـ أـهـلـ التـقـىـ كـانـواـ أـئـمـتـهـمـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ جـوـادـ بـعـدـ غـايـتـهـمـ هـمـ الـغـيـوـثـ إـذـاـ مـاـ أـزـمـةـ أـزـمـتـ يـأـبـيـ هـمـ أـنـ يـحـلـ الذـمـ سـاحـتـهـمـ لـاـ يـنـقـصـ الـعـسـرـ شـيـئـاـ مـنـ أـكـفـهـمـ أـيـ الـخـلـائـقـ لـيـسـتـ فـيـ رـقـابـهـمـ مـنـ يـعـرـفـ اللهـ يـعـرـفـ أـوـلـيـةـ ذـاـ
--	---

قال فذهب هشام وأمر بحبس الفرزدق، فحبس بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام، فبعث إليه باشنتي عشرة ألف درهم وقال: أعذرنا يا أبا فراس لو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردّها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت إلاّ غضباً لله ولرسوله عليه السلام وما كنت لأرزاً عليه شيئاً

فرَّدَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: بِحَقِّي عَلَيْكَ مَا قَبْلَهَا فَقَدْ أَنَارَ اللَّهُ مَكَانَكَ وَعَلِمَ نِيَّتَكَ
فَقَبْلَهَا^(١).

عاش الإمام السجاد عليه السلام يمارس في ظلال والده الإمام الحسين عليه السلام دور
الزيادة في مواجهة الردة الجاهلية الأموية فعمل جاهداً على تطهير القلوب
التي امتلأت بحبّ الجبّ والطاغوت وأعوانهم والنهي عن الطاعة العمياء
للظالمين، وكان مجلسه ملتقى للعلماء والفقهاء الذين حفظوا عنه الموعظ
والأدعية وفضائل القرآن الكريم وتعرّفوا إلى الحلال والحرام في الشريعة،
وكان الإمام عليه السلام شديد الاحترام لطلبة العلم الذين يتواجدون عليه في المدينة
من شتّى أقطار العالم الإسلامي ليتزوجوا من طلعته الربانية التي تفيض بخشية
الله ولیأخذوا عن عقله وعن لسانه الذي لا يفتر عن ذكر الله.

لقد كانت الفتوحات الإسلامية تضم في كلّ يوم بلدًا جديداً إلى جسد
أمة الإسلام، لكن ذلك الجسد كان بحاجة ماسّة إلى زخم إيماني وتربيوي
يصهر مختلف الثقافات والتقاليد والمصالح في بوتقة الأمة الواحدة، وقد
تصدى الإمام عليه السلام وأصحابه لهذه المسؤولية فكان شديد الاحترام للموالى
الذين دخلوا حديثاً في الإسلام في زرع القيم الإلهية فيهم، ويتعامل معهم
بأفضل الطرق ثمّ يعتقهم بعد أن يوفر لهم الحياة الكريمة و يجعل من كلّ
واحد منهم ركيزة إعلامية بينبني قومه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في
طلب وجه الله^(٢).

(١) الاختصاص: ١٩١ - ١٩٤.

(٢) الإرشاد: ٢ - ١٤٢.

رسالة الإمام في دعائه:

الحصار الذي كان مضروباً من قبل الأمويين على أهل البيت حدّ كثيراً من فعالية الإمام وعرقل مسيرته الرسالية بشكل مكشوف فاضطر إلى أن يتخد أسلوباً جديداً في الدعوة إلى الله بعد استشهاد أبيه، أسلوب يتناسب مع الظرف السياسي الذي هو فيه ويحقق له نشر مبادئ الإسلام وحمل لواء دعوته عن طريق الأدعية والمناجاة التي هي تجليات الوحي على أفئدة الهداء المهتدين من عباد الله المقربين وانعكاس لمعارف الوحي على القلوب الزكية والألسنة الصادقة.

وقد أجمع العلماء الربانيون من أهل البيت أن دعاء الإمام عليه السلام كان يحمل في طياته جميع أهداف الدعوة والرسالة، وكان دعاؤه معلماً في كيفية العبادة والتضرع إلى الله وفي السلوك الحسن والأخلاق المحمدية والتبرأ من الطالمين، والتمسك بحبل الله المتين. لقد كانت أدعيته عليه السلام شرحاً لطريقة الداعية إلى الله في علم العلوم الغيبية تبيّن للناس قوانين الله في الآفاق وفي أنفسهم ليتأملوا قدرة الله وعظمته وشمولية علمه وحكمته.

من أدعيته: «سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرّة»^(١).

ليس من المدهش أو الغريب أن يتكلّم الإمام بهذه العلوم التي لم يكتشفها العلم إلا مؤخراً، وليس من العجيب أن يعرف وأن يكتشف القضايا

(١) الصحيفة السجادية: ٢٤

العلمية الدقيقة ذلك ؛ لأنَّه إمام الأُمَّة وابن رسول الله، ومن الذين هم عدل القرآن، فإذا تكلَّم فإنَّما يتكلَّم بما سبق به القرآن الكريم كلَّ العلوم، وهو الذي عرف منطق القرآن، وتأوileه لقد ذكر وزناً للهواء وللضوء والفيء، ونحن وإن لم يكن هذا من اختصاصنا لكنَّا نأخذ التعبير البسيط والشيء الواضح مثل وزن الهواء الذي لم يفَكِّر به أغلب الناس عندئذٍ.

ومن الدلائل التي أثبتها العلماء أنَّ وزن الإنسان ينقص بعد وفاته وخروج روحه من الجسد، وهذا دليل على أن الطاقة الروحية هي مادة ذات وزن وكتلة ؛ لأنَّ كلَّ طاقة تعادل ثقلاً، والثقل هو الوزن، فاندفاع الريح مثلاً يضغط على الأجسام بقوَّة مشابهة لقوَّة التي يولدها الثقل على راحة اليد ولذلك قال: «سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرَّة».

وأهل البيت جمِيعاً عليهما السلام كانوا كذلك، وعلى هذه الدرجة من العلم، ولقد اجترحوا الكثير من العجائب، والإمام زين العابدين عليهما السلام رسول المحبة وحامل راية الدعوة، كان يغتنم كلَّ فرصة ليقوم بهذا الواجب، فلقد قدم عن طريق الدعاء كلَّ ما يستطيع من إرشاد وهداية ودعوة إلى مقارعة الظلم والظالمين، فكان نعم الإمام ونعم حامل راية الدعوة، ولقد سمي عليهما السلام لرقة عاطفته وعظيم حماسه بأحد البَكَائين الخمسة في الدنيا، وكان يجعل من البكاء ومن دموعه الطاهرة ومن مشاعره المتحرّقة الصادقة نداءً يوقف كلَّ مؤمن وينبهه إلى واجب محاربة الظالمين المجرمين، وبكي على أبيه الحسين عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين^(١). وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: يا ابن

(١) روضة الوعظين: ١٧٠

رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟!

فقال له: «ويحك، إنّ يعقوب النبيَّ ﷺ كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله عنه واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، وأحد دوب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حياً في الدنيا وأنا نظرت إلى أبيي وأخي وعمّي وبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني^(١)؟!

وكان ﷺ يبكي الناس من حوله ويعولون، وبهذه الطريقة اللطيفة والقوية كان يحرّك ضمائر الناس وينبههم على مظلومية الحسين عليه السلام.

سبايا آل محمد إلى الشام:

أكاد لا أصدق وإنّ عيني لتنكران هذا العنوان، وإنّ قلبي لينخلع اشفاقاً ومحبةً وإجلالاً لهذه السلالة كما يمتلىء كرهاً وحقداً وضغينةً واحتقاراً على المجرمين، عندما انتهت معركة كربلاء بمقتل الحسين وأهل بيته الذين لم يبق منهم إلا الإمام زين العابدين عليه السلام لأنّه كان عليلاً فنجا بحكمة ربانية حيث أراد شمر قتله يوم عاشوراء فمنعه عمر بن سعد قائلًا: «ولا يعرضنّ لهذا الغلام المريض»^(٢) وأمر ابن زياد بقتله فتعلقت زينب به وطلبت من ابن زياد أن يقتلها معه فقال ابن زياد: «دعوا الغلام ينطلق مع نسائه»^(٣).

ولتبقى سلسلة الإمامة محفوظة ومستمرة، وبعد القضاء على صفة أهل النبي عليه السلام أخذ المجرمون غلاظ الأكباد عديموا الإيمان النساء المطهّرات

(١) الخصال: ٥١٨ - ٥١٩.

(٢) تاريخ الطبراني ٤: ٣٤٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٤: ٨٢.

الشريفات سبايا ومعهنّ عدد من الأطفال إلى الكوفة ثم إلى الشام، وقبل أن يصلوا إلى الشام كانوا قد ملئوا المدينة إعلاماً مضللاً ودعائية أرادوا بها التعتم على الحقيقة قائلين إن هؤلاء الذين جاؤوا بهم هم من الخوارج المتمرّدين على خلافة يزيد ولاية عبيد الله بن زياد ولسوف ينالون كما قالوا جزائهم العادل بالسببي والسجن. لقد ضلّوا الناس بهذا الإعلام الكاذب ثم أنزلوا النساء والأطفال في خربة مكشوفة^(١)، وأخذوا الإمام مقيداً بسلاسل الحديد من عنقه ويديه.

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد:

روي أنّ يزيد لعنه الله أمر بمنبر وخطيب ليخبر الناس بمساوي الحسين وعلى عليهما السلام وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم أكثر الواقعة في علي والحسين، وأطرب في تكريظ معاوية ويزيد لعنهم الله فذكرهما بكل جميل، قال: فصاح به علي بن الحسين: «وilyك أيها الخطاب اشتريت مرض المخلوق بسخط الخالق»، فتبواً معدك من النار ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام: يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات الله فيهن رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً فقال: إنّه إن صعد لم ينزل إلا بفضحي وبفضحة آل أبي سفيان فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنّه من أهل بيته قد زقوا العلم زقا قال: فلم يزالوا به حتّى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكي

(١) روضة الوعاظين: ١٩٢.

منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس أعطينا ستا وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمدًا، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفي أربأته بحسبي ونبي أيها الناس أنا ابن مكة ومني، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركين بأطراف الرداء...، وأبو السبطين: الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام فلما قال المؤذن الله أكبر الله أكبر قال علي: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين: شهد بها شعري وبشرى ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قلت عترته؟ قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة وتقىد يزيد فصلى صلاة الظهر^(١).

نلاحظ أن خطب الإمام وأدعيته كانت مصدر قلق مستمر للأمويين كما كانت دافعاً محراضاً على الثورة ضد الظالمين الذين أوصلوا الأمة إلى هذا التشتيت والضعف، إن خطب الإمام وأدعنته كانت تشحن العقول والآفوس بكلّ ما هو خير وتحمّل المؤمنين مسؤولياتهم الدينية.

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٧ - ١٣٩. وانظر مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٧٦ - ٧٨.

رحم الله سيدى الإمام البكاء الشاير زين العابدين الذى كان قدوةً للناس في صحة العقيدة وقوه الإيمان والدعوة إلى الثورة غير آبه بالسجن أو الموت أو بأى نتائج كانت، وإن من يطالع خطب وأدعية الإمام التي كانت سلاحه الوحيد في تلك الظروف سيجد فيها الدليل على صحة ما نقول، وستبقى أبد الدهر مشعلاً وضاءً وطريقاً قوياً إلى مقارعة الظلم والظالمين.

الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ

إن دراسة مناهج أئمة أهل البيت عَلَيْهِمَا السَّلَامُ والسير في دقائق خطهم في الحياة ومعرفة ما عانوه من آلام ومصاعب وما تحملوه من ظلم واضطهاد ممن كان بيدهم مقايد الأمور في مراحل عيشهم تكشف للمسلم الرسالي بوضوح مدى عطاء الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومدى تضحيته وجهاده في حياته، وتشعرنا أن الإسلام لا يتقوّم ولا يقوم إلّا على كاهل المجاهدين الثابتين على الخط الرسالي الصحيح.

إنّا نعيش اليوم صحوةً دينيةً ويقظةً إسلاميةً في العالم كله، وهذه الصحوة لم تأت عبثاً وإنما كانت نتيجةً لجهود كبيرةً بذلها المسلمين الرساليون حتّى تشكّلت خلال أربعة عشر قرناً من الجهاد والبطولات والتضحيات بدءاً بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومروراً بأهل البيت وما قدّموه من الدماء الزكية والأرواح الطاهرة ليقى خط الرسالة حياً متمرداً ثائراً على الظلم والنفاق والجريمة. ولقد أورث الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المسلك الملزّم إلى العلماء الريّانين المجاهدين على خطّه، وغذى ذلك في أهل بيته الأطهار إماماً بعد إمام فحملوا لواء النبوة والرسالة، وجعلوا من أنفسهم سياجاً منيعاً للصحوة الإسلامية الصحيحة، وضماناً لاستمرارها، وبتضحيات كبيرة خلقت جيلاً مؤمناً وصل بحماسه اليقيني وإحساسه بالمسؤولية الجهادية إلى أعلى الدرى.

ذلك هو ما أورثه سيدي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ابن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وابن علي المرتضى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتبعه ابنه الإمام السجّاد زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي لم تسمح له

ظروفه أن ينشر علومه في المجتمع المسلم الذي عاش فيه، وذلك بسبب المراقبة والتضييق والحصار على أهل البيت عليهم السلام من السلطات الحاكمة فلجأ إلى نشر علمه وخدمة دعوته عبر الأدعية والابتهايات التي صاغ بها حياة المجتمع الرسالي التابع لخطّ أهل البيت.

ثم جاء من بعده الإمام الباقر بن الإمام زين العابدين عليهما السلام والذي سمي بالباقر لأنّه بقر العلم ووصل إلى جوهره ولبابه كما قال جابر بن عبد الله الأنباري بأنّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال له: «بأنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائي يبقر العلم بقرأ»^(١).

ولد محمد الباقر عليه السلام من أبوين علوين، وذلك قبل واقعة كربلاء بأربع سنوات عام ٥٧هـ^(٢)، وعاش في ظلّ جده الحسين هذه السنوات الأربع حتى جاءت الفجيعة الكبرى كربلاء جريمة التاريخ، والتي تركت في نفس الباقر الطفل صوراً من الأهوال شاهدتها لحظة بلحظة.

بقي الإمام الباقر عليه السلام مع والده السجاد تسع عشر سنة، وهو يستقي منه معاني الحياة الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والمثل أعلى للصبغة الربانية، وراح يضيء بعلمه دروب السالكين إلى الله حتى يومنا هذا.

ونقل عن ابن الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال: «كنا عند جابر بن عبد الله فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد، وهو صبي، فقال علي لابنه قبل رأس عمك فدنا محمد بن علي من جابر فقبل رأسه فقال جابر من هذا، وكان

(١) الكافي ١: ٤٦٩، حديث ٢.

(٢) الإرشاد ٢: ١٥٨.

قد كفَّ بصره فقال له علي: هذا ابني محمدٌ، فضمَّه جابرٌ إليه وقال: يا محمدٌ، محمدٌ رسول الله يقرأ عليك السلام، فقالوا لجابر: كيف ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال كنت مع رسول الله ﷺ والحسين في حجره، وهو يلاعبه، فقال: يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي إذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعلي ابن يقال له محمدٌ يا جابر إن رأيته فاقرأه مني السلام وإن علم أن بقاءك بعد رؤيته يسير، فلم يعش جابر بعد ذلك إلَّا قليلاً ومات^(١).

مما لا شكَّ فيه أنَّ الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَام قد استأثره جده رسول الله ﷺ بأمر تحديد اسمه ولقبه بالباقر أي المتبصر بالعلم المستخرج لغواضه ولبابه وأسراره، والمحيط بفنونه مما منحه أهلية النهوض بأعباء الإمامة للأُمَّة بعد أبيه عَلَيْهِ السَّلَام. لقد كان الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَام كما وصفه جده رسول الله ﷺ بنى أعلى صرح المعارف الإسلامية وحافظ على القاعدة التوحيدية بعد أن تصدَّعَتْ ثم أحاطها بالعلوم الإلهية من تفسير وفقه وعلم كلام وحديث متسلحاً في كل ذلك بنور العقل الذي يتوهَّج بالإيمان والإلهام ذلك العقل الذي لم يؤت منه بقية الناس إلَّا قدر ضئيل لكن الله سبحانه أكمله بنبيه وأوصيائه وتلك حكمته التي يريدها عند طائفة من الناس دون غيرهم فيجعلهم نوابغ وعظماء كباراً وهذا يقودنا ويهدينا إلى معاني العلم الكوني الذي يضعه ربنا في روح الصفوَة من أوليائه. يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ

(١) كشف الغمة ٢: ٣٣١.

(٢) السجدة ٣٢: ٢٤.

فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاءِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿١﴾.

وجاء الحديث المأثور عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لجابر بن عبد الله: «يا جابر إننا لو كنا نحدّثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بآحاديث نكترها عن رسول الله ﷺ كما يكتر هؤلاء ذهبهم وورقهم»^(٢).

إن الظروف السياسية القاسية التي مرّت على الأئمة من حصار وتضييق ومراقبة وعداء وإرهاب قد اتسمت بانفراج نسبي بال نسبة للإمام الباقر عليه السلام، وذلك لظروف داخلية أرغمت السلطة آنذاك على إعطائه هاماً في حرية التدرّيس فكان يعلم الناس، ويحاجج المخالفين ليهديهم سواء السبيل، وقد بث عليه السلام علمه للناس في كل حاجاتهم الدينية والدنيوية حتى سمّي باقر العلم. وقد أخذ عنه كثير من العلماء الذين عاصروه من مثل عبد الله بن المبارك^(٣) والزهري^(٤) والأوزاعي^(٥) وأبو حنيفة^(٦) وابن جرير^(٧) والأعمش^(٨) وغيرهم كثيرون^(٩).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إني كنت أمهد لأبي فراشه فانتظره حتى يأتي

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٢) الاختصاص: ٢٨٠.

(٣) معالم العلماء لابن شهر آشوب: ١٨٦.

(٤) تهذيب الكمال ١٣٩: ٢٦ والكافش في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢: ٢٠٢.

(٥) نفس المصدر.

(٦) تذكرة الحفاظ ١: ١٦٨.

(٧) الكافش في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢: ٢٠٢ و تذكرة الحفاظ ١: ١٢٤.

(٨) تذكرة الحفاظ ١: ١٢٤ و سير أعلام النبلاء ٤: ٤٠٢.

(٩) تهذيب الكمال ١٣٨: ٢٦ - ١٣٩.

فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وإنه أبطأ عليّ ذات ليلة فأتتني المسجد في طلبه، وذلك بعدها هدا الناس، فإذا هو ساجدٌ، وليس في المسجد غيره، وسمعت حنينه وهو يقول: سبحانك اللهم أنت ربّي حقاً حقاً، سجدت لك تعبدناً ورقاً، اللهم إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم»^(١).

قال عبد الله بن عطاء المكي: «ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام»^(٢).

وقال عماد الدين بن عمر بن كثير: «أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب...، وسمى الباقي لبقره العلوم واستنباطه الحكم، وكان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عال الحسب، وكان عارفاً بالخطرات كثير البكاء والعبارات، معرضًا عن الجدل والخصومات».

عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر الأنصاري قال: سألت النبي ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ^(٣) عرفنا الله ورسوله فمن هم أولو الأمر؟

قال ﷺ: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي...»^(٤).

(١) الكافي ٣: ٣٢٣، حديث ٩.

(٢) الإرشاد ٢: ١٦٠.

(٣) النساء (٤): ٥٩.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ٢٤٢ وانظر ينابيع المودة ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩. حديث ٥٩.

إن دراستنا لحياة أئمّة أهل البيت عليهم السلام تعطينا اليقين أنّهم لا يختلف الواحد منهم عن الآخر في نمط تفكيره وطراز حياته وأسلوب تعامله مع قومه إلّا بقدر ما تفرض ذلك الظروف والمشاكل الاجتماعية والسياسية التي تمرّ على كلّ واحد منهم في جوّها الخاص فتجعله متبايناً عن غيره في العمل والحركة، بينما هم سبيكة واحدة، أكّدّها الرسول صلوات الله عليه لولده الحسين عليه السلام حين قال: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ صَلْبِكَ يَا حُسْنَى تِسْعَةَ أَئِمَّةً، تَاسِعُهُمْ قَائِمُهُمْ، وَكُلُّهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدِ اللَّهِ سَوَاءٌ»^(١).

وتتكشّف لنا روحانية الإمام الباقي عليه السلام في افتتاح على أعلى مستويات الوعي الذي ليس له نظير إلّا عند الأنبياء مع أنّه كان في وضع اقتصادي صعب لا يحسد عليه، وقد وصفه ابنه الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «كان أبي أقلّ أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة»^(٢).

ويروى عن سموه الأخلاقي وسعة صدره والتي هي أحسن «إِنَّ نَصْرَانِيًّا اعتدى عليه بأفحش القول حيث خاطبه قائلاً: أنت بقر؟ قال: بل أنا باقر. قال [النصراني]: أنت ابن الطّبّاخ؟ قال [الإمام]: ذاك حرفتها. قال [النصراني]: أنت ابن السوداء الزنجية؟ قال الإمام عليه السلام: إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك. مما كان من النصراني بعد أن سمع كلام الإمام وملاطفته له وعظمة الرسالة التي يتبنّاها والأخلاق التي يعيش بها إلّا أن أعلن إسلامه بين يدي الإمام»^(٣).

(١) ينایع المودة ٣: ٣٩٥، حدیث ٤٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٨٥.

(٣) انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٣٣٧.

لقد كانت منزلة الإمام الباقر العلمية في عصره أرفع بكثير من غيره من العلماء في جميع الأصعدة العلمية، وكانت مثار إعجاب القمم الفكرية في زمنه وما بعده، فعبد الله بن عمر بن الخطاب عندما يُسأل عن مسألة ويعجز عن الإجابة كان يرشد سائلها إلى الإمام الباقر عليهما السلام قائلاً له: أذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمك بما يجيئك، فيجيئه الباقر، ويعود السائل بعدها إلى ابن عمر ليخبره بما جنى من ثمر فيعلق ابن عمر على ذلك بقوله: «إنهم أهل بيت مفهّمون»^(١).

لم يكن فكر الباقر عليهما السلام ليعمل على صعيد واحد وإنما كان شمولياً متعدد الأبواب والإغراض والمضامين يجسد ذلك زعامته لمدرسة أهل البيت بعد أبيه عليهما السلام، وقد كانت تُشد إليه الرحال من أقطار العالم الإسلامي كافة، ويقصده رجالات الفقه والفكر وأصحاب المدارس التفسيرية والفقهية ليناقشوه وليستفيدوا من واسع علمه، ومنهم الحسن البصري^(٢) وطاووس اليماني^(٣) ونافع بن الأزرق^(٤) وعبد الله بن نافع^(٥) وغيرهم كثير^(٦).

إن الظروف القاسية التي عاشها الإمام الباقر في ظل السلطات المنحرفة قد عرقلت وجمدت نشاطه خلال ثلثي فترة إمامته التي كانت مشعلاً ربانياً

(١) المصدر السابق: ٣٢٩.

(٢) الاحتجاج: ٦٢: ٢.

(٣) المصدر السابق: ٦١.

(٤) الكافي ١: ٨٨، حديث ١ وروضة الوعظين: ٢٠٤ والإرشاد ٢: ١٦٤.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٢.

(٦) الاحتجاج: ٢: ٥٥.

للعقول، لو أنها أعطيت الحرية في القول والعمل ولم تحاصر في آخر عهد الوليد بن عبد الملك الأموي وحتى فترة من حكم هشام بن عبد الملك الذين كانوا منشغلين بدروب شتى من ألوان الترف واللهو والمجون، والذين كانوا يوجهون التهم والإهانات ويزجّون في أعماق السجون كلّ من لا يسبح بحمدهم ولا ينسج على منوالهم، ومع ذلك فقد عاش الإمام الباقر عليه السلام مكرساً كلّ جهوده وحسب ما تسمح له الظروف إلى عمله التغييري المقدام من خلال تبنيه السياسة التعليمية ودفعه للحركة الثقافية رافداً حركة الهدایة والتغيير بمزيد من الكوادر الرسالية الوعائية.

ويشير تلميذه محمد بن مسلم إلى عظمته المعرفية قائلاً:

سمعت من أبي جعفر عليه السلام ثلاثين ألف حديث^(١).

وقال جابر الجعفي: «حدثني أبو جعفر عليه سبعين ألف حديث»^(٢).

من أقواله وحكمه عليه السلام: «إياك والكسل والضجر؛ فإنّها مفتاح كلّ شرّ، من كسل لم يؤدّ حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حقٍ»^(٣).

ومن أقواله عليه السلام: «ما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل، وإن أسرع الشرّ عقوبة البغي، وإن أسرع الخير ثواباً البر والعدل، وكفى بالمرء عيباً أن يُبصر من الناس مما يعمى عنه عن نفسه، أو ينهى الناس عمّا لا يستطيع التحوّل عنه، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه»^(٤).

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٩٢، حديث ٢٨٠.

(٢) الاختصاص: ٦٦.

(٣) تحف العقول: ٢٩٥.

(٤) المحاسن ١: ٢٩٢، حديث ٤٤٧.

يقول الباهر عليه السلام: «يا جابر استكثر لنفسك من الله، قليل الرزق تخلاصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراء على النفس، وتعريضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل. وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ. واستخلب شدة التيقظ بصدق الخوف. واحذر خفي التزيين بحاضر الحياة. وتوقِّع مجازفة الهوى بدلالة العقل. وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم. واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء. وانزل ساحة القناعة بإتقاء الحرص...»^(١).

ويقول عليه السلام: «الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة»^(٢).

ومن أقواله عليه السلام: «لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ومحترراً لمن دونه»^(٣).

عاش الإمام محمد الباهر عليه السلام كما اسلفنا في عهد الأمويين فترةً عسيرةً من حياته تحت ظلال التهديد والارهاب والمضايقة فلم يأخذ ما يستحقه من الحقوق إلا في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي أعاد إلى أهل البيت بعض حقوقهم رغم قصر زمن خلافته فقد أرجع أرض فدك إلى الإمام الباهر عليه السلام^(٤)، ومنع اللعنة والسب على المنابر^(٥)، وأمر أن يتلى بدلاً عن ذلك:

(١) تحف العقول: ٢٨٥.

(٢) الكافي ١: ٣٢، حديث ٤.

(٣) تحف العقول: ٢٩٤.

(٤) الخصال: ١٠٥ وانظر معجم البلدان ٤: ٢٣٩.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٢ والكامن في التاريخ ٥: ٤٢.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

ثم أعطى أهل البيت عطاءً كبيراً^(٢) وأولاهم الإجلال والاحترام كله ولم يعترف لهم بأحقيتهم في القيادة لأنَّ الملك عقيم.

وجاءت بعد خلافة عمر خلافة هشام بن عبد الملك الذي أشخص الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ من المدينة إلى الشام^(٣).

وسمه إبراهيم بن الوليد بن يزيد^(٤). فسلام على الإمام الباقر يوم ولد ويوم رحل إلى ربِّه ويوم يبعث حياً. والحمد لله رب العالمين.

أخي القارئ ونحن نسرد غيضاً من فيض من سيرة هذا الإمام العظيم نرى فيها آيات من الإيمان الصادق والعمل الصادق والاستعداد للتضحية في سبيل الله، ونتلمسُ الحكمة الربانية في أقواله وعظاته حتى لنقف مذهولين مندهشين أمام هذا المثل الأعلى الذي يستحق عن جدارة لقب واحد من أعظم العظام ب بتاريخ البشرية ولا عجب في ذلك ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم واصطفاهم وطهرهم تطهيراً، وأهلهم لخدمة الدين ودنيا المسلمين والصلوة والسلام عليك يا سيدي يا أبا جعفر وعهداً لنسيرن على دربك ولنحوذون حذوك غير مبالين بأصاليل الصالين ودعائيات المنافقين المرجفين ؛ لأنَّ لنا من حياتك وفي موتك قدوةٌ حسنة وأسوةٌ أحسن يا سيدي يا أبا جعفر.

(١) النحل (١٦): ٩٠

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٣٩١

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٤ ودلائل الإمامة: ٢٣٧.

(٤) المصدر السابق: ٣٤٠.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

نحن جميعاً وكل مسلم بحاجة إلى دراسة التاريخ دراسة علمية، وإلى دراسة المذاهب الفقهية والسياسية دراسة عميقة لكي نستطيع أن نتبين مواطن الخطأ ونقول يا فلان أنت مخطئ، ولكي نتبين أيضاً مواطن الحق ونقول يا فلان أنت محق، وذلك بعد البحث العلمي والتمحيص وعدم الواقع في أحابيل اللعب السياسية من أموية وعباسية ضدّ أهل البيت الكرام أو من نسج على منوال المفترين حتى يومنا هذا.

إنّنا ننظر إلى حال الشيعة فنعجب وندهل لما لاقوا من الاضطهاد في العهود السوداء ولقرون عدّة، وتصيبنا الحيرة في أنّهم أي الشيعة كيف تمكّنوا برغم كل ذلك الاضطهاد أن يحافظوا على علمهم ومناهجهم وسيرتهم ورسالتهم واستمرّوا يحملون لواء الجهاد ضدّ كل الحكام المنحرفين والظالمين لشعوبهم متبعين العقيدة الصحيحة التي استقوها من منهلها الأوّل منهل الرسول ﷺ وأهل البيت عليهما متمسكين بها بكل القوة والإيمان والثبات ذلك ؛ لأنّها امترجت عندهم مع الدم واللحم امتراج الإيمان مع النفس المؤمنة كما وأنّهم (أهل البيت) لم يقفوا عند حدود التقليد والقول باللسان على عواهنه، بل كان دأبهم في الليل والنهار أن ينشروا علومهم وأن يشّعوا الروح الثورية روح رسالة الإسلام في نفوس المستضعفين وما تزال آثار هذه الدعوة تزداد يوماً بعد يوم بنور الحق حتى يومنا هذا.

ولقد كانت أفضل الفرص التي مرت في تاريخ الأئمة وحقّقوا فيها تحولات كبيرة وسطروا فيها صفحات خالدة هي الفرصة التي عاشها سليل أهل البيت ونسل النبوة وعالم زمانه كله وفقيه العلماء والمحدثين الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

لقد أراد الله سبحانه أن يهدي بنوره هذه الشخصية الملهمة وأن يمدّها بعاليته حتى استطاعت أن تسيطر بكلّ وضوح على علماء العصر وفقهائه ونوابغه بحيث كان يشعر الواحد منهم إلى جانب حضرة الإمام أنه إناء صغير إلى جوار بحر زخار، ومن المعروف أن أهل البيت الكرام لم يدرسوا على يد أحد ولم يتلقّوا على يد أستاذ لأنّهم درسوا على يد آبائهم وأخذوا عن جدهم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فاحتاج الناس إلى علمهم وفضلهم ولم يحتاجوا هم إلى أحد.

تُجْرِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذَكَرُوا	مَطَهَّرُونَ نَقِيَّاتُ ثِيَابِهِمْ
فَهَالَّهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخِرٌ	مِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنْسِبُهُ
صَفَّاكُمْ وَاصْطَفَاكُمْ أَيْهَا الْبَشْرُ	فَاللَّهُ لَمَّا بَرَى خَلْقًا فَأَتَقْنَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ ^(١)	فَأَنْتُمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى وَعِنْدَكُمْ

ما أشبه التاريخ بمرآة صافية تأخذ الصور ثم تحفظها للأجيال من كل الأمم، وهذه الصور هي مسجلة كما هي عليه في الحقيقة إذا كانت اليد التي قامت بالتصوير نزيهةً وشريفةً، ولكن من المؤسف أن المصالح السياسية والأهواء الشخصية تلعب دوراً هاماً في تشويه تلك الصور، وتسلبه حريتها في

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٥٥. وهذه الآيات لأبي نؤاس يمدح بها الإمام الرضا عليه السلام.

أداء الأمانة محاولة السيطرة على نظام التاريخ ومنعه من أن يصل الحقيقة للأجيال، والحقيقة دائماً هي المفخرة، ها نحن نحاول بكل جهد أن نمسح عن الصور الحقيقة للتاريخ مالحق بها من تشويه لنبيّن لأهل القرآن قبساً من حياة الإمام الصادق الذي حاول كلّ الحاقدين والمنافقين وسدّج العقول أن يطمسوا سيرته، وأن يبدّلوا الأسماء والصور بغير حقيقتها، والله يعلم أنّهم لكاذبون، إنّ من يدرس حياة الإمام الصادق عليه السلام يصاب بضرب من ضروب الحذر والتكتّم ؛ لأنّ ما يقرؤه كان مكتوباً إما عن طريق التعنيف والتضييق على أهل البيت وبالتالي فهو دراسة سطحية ومغرضة يتبنّاها ويصدقها من لا يمتلك الإيمان والإرادة والإدراك العقلي.

أقوال العلماء في الإمام عليه السلام :

زيد بن علي: «في كل زمان رجل من أهل البيت يحتاج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد لا يضل من تبعه، ولا يهتدى من خالفه»^(١).

وقال اليعقوبي في تاريخه: «وكان أفضّل الناس وأعلمهم بدين الله»^(٢).

وقال عنه أبو زرعة: - عندما سئل من أئمّهم أصحّ منهم الإمام جعفر بن محمد عليه السلام - «لا يقرن جعفر إلى هؤلاء»^(٣).

فقال أبو حاتم الرazi موضحاً مقصوده: «يريد جعفرًا أرفع من هؤلاء في

(١) الأمالى للصدوق: ٦٣٧، حدث ٨٥٦

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨٣

(٣) الجرح والتعديل ٢: ٤٨٧

كلّ معنى»^(١).

وفي ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: «وقد نقل أَنَّه يتكلّم بغوامض الأُسرار والعلوم الحقيقة وهو ابن سبع سنين»^(٢).

ولد الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم في المدينة المنورة سنة ٨٣٥ هـ، وعاش خمساً وستين سنة، وتتعلمذ على يد والده الباقر عَلَيْهِ الْكَلَم، وأُمّهُ أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر^(٣)، فكان إماماً صادقاً، ومفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي، يزيد في الزهاد زهاداً، ويكسب العلماء علماءً، ويهدى ويطمئن المضطرب القلق، ويشجع المقتحم بهدف هدم جدران الظلم والظالمين ليبني صرح العدالة.

وقال أبو نعيم: «الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العبادة والخصوص، وآثر العزلة والخشوع، نهى عن الرئاسة والجماع»^(٤).

مدرسة الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَم: إن مدرسة الصادق عَلَيْهِ الْكَلَم هي جامعة إسلامية عظمى خلّفت للمسلمين ثروةً علميةً هائلة، وخرجت من العلماء مالا يحصره العدد، وأنجبت خيرة المفكّرين، وصفوة الفلاسفة، وجهازدة العلم، وقد صنف الحافظ أبو العباس ابن عقدة كتاباً جمع فيه من تخرّج من مدرسة الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَم بلغوا الأربعـة آلاف كلام رروا عنه، فكانت مدرسته منارة للحضارة الإسلامية وللفكر العربي اللذان يدينان بفضلهما وبفضل عميدها

(١) المصدر السابق.

(٢) ينابيع المودة ٣: ٢٢٢.

(٣) الإرشاد ٢: ١٧٩ - ١٨٠.

(٤) حلية الأولياء ٣: ٢٢٥.

الإمام الصادق عليه السلام حتى أبد الأبدين.

أمّا السلطة الحاكمة آنذاك فقد اتخذت جميع التدابير لمحاربة تلك المدرسة التي اختصّت باستقلالها الروحي، وعدم خضوعها لنظام السلطة، وهذا ما أقضّ مضاجعهم وبعث في قلوبهم الوجل والخوف من نشاط هذه المدرسة، فوضعوا كلّ المخططات والمبررات والتدابير الممكنة حتّى يصلوا إلى إغلاق أبوابها والقضاء على عميدها الإمام الصادق عليه السلام، وبذل الخليفة العباسي المنصور كلّ ما في وسعه لكسب رضا الإمام والفوز به متقرّباً إليه ولكنّه لم يفلح.

كان من التلامذة المشهورين في هذه المدرسة العظيمة أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي الذي يقول: «ما رأيت أحداً أفقهه من جعفر بن محمد»^(١). وقوله أيضاً: «لولا السنتان لهلك النعمان»^(٢).

ومن تلاميذه مالك بن أنس^(٣) الذي كان وثيق الصلة بالإمام الصادق عليه السلام، وسفيان الثوري^(٤) الذي روى الكثير عن الصادق، وسفيان بن عيينة^(٥)، وفضيل بن عياض التميمي^(٦)، وحاتم بن إسماعيل^(٧)، وحفص بن غياث^(٨)...

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ٢: ١٣٢ وتهذيب الكمال ٥: ٧٩ وتذكرة الحفاظ ١: ١٦٦ والواфи بالوفيات ١١: ٩٩.

(٢) المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الثانية عشرية ٢٨.

(٣) و(٤) و(٥) تهذيب الكمال ٥: ٧٥.

(٦) خلاصة الأقوال ٣٨٧.

(٧) و(٨) تهذيب الكمال ٥: ٧٥.

وكلّ هؤلاء هم ممن تروي عنهم صحاح المسلمين كالبخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

الإمام الصادق عليه السلام وأنصاره:

نشأ الإمام عليه السلام في عصر كان أشدّ بلاء على المؤمنين الصادقين، عصر تنازع فيه الأهواء، وتضطرب فيه الأفكار، وتزداد موجة الحقد والانتقام، وتتلاطم أمواج الظلم والإرهاب، يتقرّب الناس فيه إلى ولاة الأمور بالوشيات وقدف الآخرين، فلا حرمة للنفوس، ولا قيمة للدين، لكنّها الفوضى بعينها حيث الأمراء يحكمون بما شاؤوا والرعية العوبة بين أيديهم، وكان أشد الناس بلاء هم آل محمد وشيعتهم وأنصارهم يلاقون شتى أنواع النوائب والمصائب والبلايا، لكنّهم يواجهونها بقلوب مطمئنة ونفوس راضية بما وعد الله الصابرين.

وكانوا أثناء دخولهم إلى المساجد وخر وجوههم منها يسمعون شتم علي عليه السلام وأبنائه بكلمات وعبارات تعبر عن سوء سريرتهم الخبيثة المنافقـة، وكان الإمام عليه السلام يسمع ويرى ما يجري من هتك لدینه وإهانة لأبيه وجده^(١)، ولكنّه ظلّ قدوة للمسلمين، وإماماً صالحـاً للأمة، تحمل من السجن والتشريد والقتل، فكان المدرسة المثلـى لكلّ داعية ولكلّ حامل عقيدة صافية، كان مثالـاً لتحمل المسؤولية ومثالـاً للصابرين، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

أما سيف المنصور فقد فعل الأفاعيل بال المسلمين، وقد سلبت الرحمة من قلبه فلم يراع القربي أو حرمة النسب، وكان يعتقد أن ليس لملكه دوام أوبقاء

(١) انظر المحاسن ١: ٢٥٩ - ٢٦٠، حديث ٣١٣.

(٢) البقرة (٢): ١٥٥.

إذا ما بقي من أهل البيت وأنصارهم أحدٌ على قيد الحياة، فأودع المنصور أبناء رسول الله في باطن الأرض، وسلط عليهم زبانيته ليفعلوا بهم مالا يفعله الحيوان المفترس بفريسته، وكانوا يموتون في السجون وتبقى الجثث فيما بينهم، وهم صابرون يقيمون الصلاة ويقرؤون القرآن حتى فرغ صبر المجرم المنصور ويأس منهم فأمر بأن يهدم عليهم السجن، وما توا جمياً تحت أنفاسه^(١)، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾^(٢)، وهو بقدرته وعظمته ردَّ كيد الظالمين عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ حَتَّى تَبْقَى الْإِمَامَةُ بِنُورِهَا الساطِعِ خَالِدَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ لَمْ يُقْلِّ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي حَدِيثِ الْشَّرِيفِ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطُوْلِ اللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمُ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ وَلْدِيِّ، يَوْطِئُ اسْمَهُ اسْمِي، يَمْلأُهَا عَدْلًا وَقَسْطًا كَمَا مَلَأْتُ جُورًا وَظُلْمًا»^(٣).

فالإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ هو الحريص رغم كل الصعاب على تمهيد الخط الرسالي ورفع رايته والذي يستمد من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ظهور المهدي المنتظر عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ.

في العام الذي حج فيه الخليفة المنصور إلى بيت الله كثرت أقاويل الوشاية على الإمام الصادق فاستدعاه الخليفة وهو يتوعده قائلاً: «ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً، قتلني الله إن لم أقتله» وجاءوا بالإمام عنوة فتلقاء المنصور بكلمات بذريعة قاسية قائلاً: «لقد اتخذك أهل العراق إماماً

(١) انظر مقاتل الطالبيين: ١٢١ - ٢٦٦.

(٢) الحج (٢٢): ٤٠.

(٣) روضة الوعاظين: ٢٦١. وانظر مستند أحمد ١: ٩٩ وسنن أبي داود ٢: ٣٠٩ - ٣١.

يجبون إليك زَكَاةً أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك».

فقال الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ: «يا أمير المؤمنين، سليمان أعطي فشكر، وإنّ أويوب ابتلي فصبر، وإنّ يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك النسخ» فكانت هذه الكلمات مزيلة للغيظ من قلب الخليفة الذي ناداه قائلاً: «إليّ وعندي يا أبا عبد الله أنت البريء الساحة، السليم الناحية القليل الغائلة، جراوك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم».

ثم تناول يده وأجلسه معه على فراشه، ثم قال: عليّ بالمنجفة فأتأتي بـدُهن فيه غالبة، فغلقه بيده حتى خلت لحيته قاطرة.

قال: يا رب الحق أبا عبد الله جائزته وكسوته.

كان الكثير من حرّاس المنصور من محبي أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ، وقد قال لهم الإمام إني دعوت بدعاء جعله الله حصنًا لي من القتل، قالوا ماذا دعوت: قال: عندما أدخلوني إليه قلت: «اللّهم احرسني بعينك التي لا تنام واكتفي بركنك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك على اللّهم إنك أكبر وأجل ممن أخاف - وأحذر، اللّهم بك ادفع في نحره واستعيذ بك من شره»^(١).

وعاش الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ سنوات طويلة يعاني في سبيل رسالته السماوية من الاتهامات والمعذبات والسجون حتى قتله الخليفة المنصور.

العباسيون وسياستهم: في بدء الثورة العباسية ضدّ الأمويين أيدّهم المسلمون جميعاً في كلّ البلاد؛ لأنّهم أعلنوا أنّ الثورة هي ثورة أهل البيت،

(١) صفوة الصفوة ٢: ٤٩٨ - ٤٩٩.

والتحق الناس بهم وناصروهم، ولكن عندما استتب لهم الأمر وتوطدت أركان ملتهم تنكروا لأهل البيت وادعوا أنهم هم أهل البيت، لكن أمّة الإسلام لا تخفي عليها هذه اللعبة الماكرة فتململ الناس وأخذوا بتنظيم وتحريك الحركات والثورات السرية في كل مكان، وعندما اقترب الخطر من عروش العباسين عمدوا إلى الحيلة يستعينون بها على تهدئة الأوضاع، واستخدموا بعض العلماء لبث الدعاية لهم، وسمحوا مكرهين للإمام الصادق عليه السلام أن يفتح مدرسته التي تهافت عليها المسلمين وازدحموا على أبوابها لينهلوا من علوم الإمام عليه السلام وليقتبسوا من أنوار معارفه، وأقبل طلبة العلم ومحبو أهل البيت عليهما السلام من جميع الأقطار الإسلامية حتى أصبح عددهم أربعة آلاف من الثقات، وألف ابن عقدة كتاباً ذكرهم فيه^(١).

وذكر الشيخ الطوسي في رجاله أكثر من ثلاثة آلاف رجل ممن رووا عن الإمام الصادق عليه السلام^(٢).

وكثieron منهم صاروا من أصحاب المذاهب، وقد مر ذكرهم. وكثير التأليف في عصر الإمام عليه السلام ودون فقه أهل البيت وحديثهم بصورة واسعة حتى أحصي أربعمائة مؤلف ألفها من سمع الحديث من الإمام ودوته وعرفت باسم الأصول الأربعمائة^(٣).

وهذا يوضح لنا أن المذهب الجعفري هو أقدم المذاهب لأنّه تخطى العصر الأموي ودخل في العهد العباسي رغم كل الظروف المضادة من الحكمين.

(١) خاتمة مستدرك الوسائل ١:٥١.

(٢) رجال الطوسي: ١٥٥ - ٣٢٨.

(٣) المعتر ١: ٢٦.

كانت الدولة العباسية تعارض انتشار مذهب أهل البيت من خلف ستار لأنّه ليس بإمكانها الجهر بالمعارضة خوفاً من نسمة وثورة الجماهير المسلمة ولأنّهم أيضاً كانوا يحاولون استمالة أعيان الشيعة والاستعana بزعمائهم لتشيّط أركان دولتهم بشتى الحيل والأساليب.

إن الإمام الصادق عليه رصيده ديني وأخلاقي وإنساني كبير وخالف للإنسانية، وبحر زاخر تنهل منه البشرية، وقمة شاهقة يقترب منها ويحاول الصعود كلّ من أراد المعالي، ثم إنّه مركبُ نوراني يُطاف به لكشف الغوامض في آفاق الحياة.

هذا الجبل الشامخ بل هذا الإمام العملاق عاش مع الولاة الظالمين مرتكبي واقعة الطف المؤلمة^(١)، وجريمة الحرّة الفاجعة، كان الإمام عليه يعيش معهم وينظر إليهم، والآلام تأكل قلبه، وطرق الرقابة السلطوية والتضييق والتهديد فوق رأسه وحول عنقه، ومع ذلك راح يؤدّي رسالته بشجاعة وإقدام وإخلاص المؤمن محاولاً إصلاح أمور الأمة الإسلامية وقادتها إلى طريق الهدایة والرشاد، ونشر العلوم، وكان يحيث أصحابه على التمسّك بالدعوة الصامدة وإزالة أسباب ورواسب الخلافات بينهم ليكونوا قدوة وقوّة متكاتفة تقف في وجه الظلم والظالمين.

لقد أعطى الإمام عليه كلّ ما يملك من حكمة وعلم ورجاحة عقل حتّى جعل الناس يتصدّون بشجاعة لكلّ اعوجاج في الدين أو التواء في المنهج. بقيت مدرسة الإمام الصادق عليه ثابتة المبدأ متصلة الكفاح ترتفقى

(١) تاريخيعقوبي: ٢٤٣: ٢ وتاريخ الطبرى: ٤: ٣٠١

بالأرواح وتسمو بالعقل إلى أوج المعرفة والكمال حتى يومنا هذا. أما بيته فكان جامعاً إسلامياً لكلّ الوفدين من أمصار وأقطار أمّة الإسلام، وبقي نهجه مورداً ينهلون عنه جواب كلّ ما أشكل عليهم في حياتهم الخاصة وال العامة.

يقول مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي: «اختلت إليه زماناً فما كنت أراه إلّا على ثلات خصال إما مصل و إما صائم وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلّا على طهارة»^(١).

كان الإمام عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِيْلَةَ في دروسه للناس المزدحمين على بابه يحثّهم على طلب الرزق والكسب الشرييف ليبعدهم عن مزالق الانحراف وليريهم أخطار الحاجة محافظاً على مستوى الأخلاق والقيم الروحية.

فكان يقول لأصحابه: «لا تدعوا التجارة فتهونوا، اتجرروا بارك الله لكم»^(٢).

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِيْلَةَ: «لا ينبغي أن يذل نفسه قيل: وكيف؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه»^(٣).

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِيْلَةَ: «إِيّاكُمْ أَنْ يَحْسُدَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ؛ فَإِنَّ الْكُفُرَ أَصْلُهُ الْحَسْدُ»^(٤).

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِيْلَةَ: «إِيّاكُمْ أَنْ تَعِنُوا عَلَى مُسْلِمٍ مُظْلُومٍ يَدْعُوكُمْ وَيَسْتَجَابُ لَهُ فَيَكُمْ فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ: إِنَّ دُعَوةَ الْمُظْلُومِ مُسْتَجَابَةً»^(٥).

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٨٩

(٢) الكافي ٥: ١٤٩، حديث ٨

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ١٨٠، حديث ٣٦٩

(٤) تحف العقول: ٣١٥

(٥) المصدر السابق.

وقال عَلَيْهِ الْكَفَافُ: «صَدَقَةٌ يَحْبُّهَا اللَّهُ إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتَقَارُبٌ
بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»^(١).

وقال عَلَيْهِ الْكَفَافُ: «لَا تَمَارِينَ حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًّا، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِيلُكَ وَالسَّفِيهُ
يُؤْذِيكَ»^(٢).

وقال عَلَيْهِ الْكَفَافُ: «مَنْ زَرَعَ الْعَدَاوَةَ حَصَدَ مَا بَذَرَ»^(٣) وَمَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ لَمْ
يَمْلِكْ عَقْلَهُ.

وقال عَلَيْهِ الْكَفَافُ: «إِيّاكُمْ وَهُؤُلَاءِ الرُّؤْسَاءِ الَّذِينَ يَتَرَأَسُونَ فَوْاللَّهِ مَا خَفَقَتِ النَّعَالُ
خَلْفَ رَجُلٍ إِلَّا هُلِكَ وَأَهْلِكَ»^(٤).

وقال عَلَيْهِ الْكَفَافُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ كَظُمَ غَيْظًا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزَّ ذِيَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٥).
وصَاحِيَّهُ لِأَصْحَابِهِ: وصيَّهُ لِحَفْصَ بْنِ غَيَاثٍ:

قال: «إِنْ قَدْرْتُمْ أَنْ لَا تَعْرِفُوا فَافْعُلُوا، وَمَا عَلَيْكُمْ إِنْ لَمْ يَشْرَكُوكُمْ
وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُ مَذْمُومًا عَنْدَ النَّاسِ إِذَا كُنْتُ مَحْمُودًا عَنْدَ اللَّهِ تَبارَكَ
وَتَعَالَى... إِنْ قَدْرْتُ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ فَافْعُلْ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّكَ فِي خَرْوْجِكَ أَنْ لَا
تَغْتَبْ وَلَا تَكْذِبْ وَلَا تَحْسَدْ وَلَا تَرَأَيِّ وَلَا تَتَصَنَّعْ وَلَا تَدَاهِنْ»^(٦).

(١) الكافي ٢: ٢٠٩، حديث ١.

(٢) المصدر السابق: ٣١٠، حديث ٤.

(٣) تحف العقول: ٣٧١.

(٤) الكافي ٢: ٢٩٧، حديث ٣.

(٥) المصدر السابق: ١١٠، حديث ٥.

(٦) المصدر السابق: ٨، ١٢٨، حديث ٩٨.

وصيته لسفيان الثوري:

«الوقوف عند كلّ شبهة خير من الاقتحام في التهلكة، وترك حديث لم تروه أفضل من روایتك حديثاً لم تحصه، إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله خذوه، وما خالفه فدعوه»^(١).

أمسك به سفيان صدفة وقال له يابن رسول الله أوصني قال: «يا سفيان لا مروءة لكذوب، ولا أخٍ لملول، ولا راحة لحسود، ولا سؤدد لسيء الخلق، قال يابن رسول الله زدني، فقال لي: يا سفيان ثق بالله تكن مؤمناً، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، ولا تصحب الفاجر يعلّمك من فجوره، وشاور في أمرك الذين يخشون الله ويجتنبونه فقلت: يابن رسول الله زدني، فقال لي: يا سفيان من أراد عزّاً بلا عشيرة وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان فليتقلّ من ذلّ معصية الله إلى عزة طاعته»^(٢).

أيها القراء الأعزاء من أراد أن يأخذ درساً في حقيقة الإيمان، من أراد أن يأخذ قدوة في عظيم الخلق، من أراد أن يتعلّم الصبر والجلادة ومقارعة الظلم والظالمين ليتأمّل حياة هذا الإمام ولينظر في سلوكه.

إنّهم أهل البيت الذين أبعد الله عنهم الرجس وطهّرهم، إنّهم النبراس المضيء، والمشعل الوهاج، والسلف الصالح، والقدوة الحسنة لكلّ مؤمن بل وكلّ إنسان شريف متعلّق بفضيلة الخلق وفضيلة العمل.

(١) تاريخ العقوبي ٢: ٣٨١.

(٢) الخصال: ١٦٩.

الإمام موسى الكاظم ع

إنَّ الْكَثِيرَ مِمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُرْتَبِطُ بِالرَّسُولِ وَبِالْأَئِمَّةِ
الْأَطْهَارِ ع، وَعِنْدَمَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَنَطْلُعُ عَلَى مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الثَّقَاتُ
نَشْعَرُ بِحَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى وَجْوبِ تَوْضِيحِ سِيرَةِ هُؤُلَاءِ السَّادَةِ وَالْقَادِهِ الَّذِينَ
تَرْتَبِطُ بِهِمْ وَبِحَيَاتِهِمْ كُلَّ جُوانِبِ مَبَادِئِنَا وَحَيَاتِنَا، إِنَّ هُؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ وَإِنَّ
اَخْتَلَفُوا فِي أَوْضَاعِهِمْ وَظَرُوفِهِمُ الْزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ لَكُنُّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي
قَدْرَاهُمْ وَلَا يَتَفَاقَوْنَ فِي إِيْضَاحِ الشَّرِيعَةِ الصَّحِيَّةِ لِلنَّاسِ وَلَا فِي إِقْدَامِهِمْ
عَلَى حَمْلِ رَايَةِ الْتَّوْرَةِ وَالْجَهَادِ لَكِنَّ اِخْتِلَافَ الْقَدْرَاتِ بَيْنَهُمْ يَنْتَجُ عَنْ ظَرُوفِ
تَارِيَخِيَّةِ سِيَاسِيَّةٍ تَتَحَكَّمُ بِهِمْ فَيَكُونُ مَدْىُ التَّحْرِّكِ وَمَقْدَارُ الْعَطَاءِ عَلَى قَدْرِ مَا
تَسْمِحُ بِهِ تِلْكَ الْفَرَصِ وَالظَّرُوفِ فِي ظَلِيلِ الْإِرْهَابِ وَالسَّيْفِ الْمُسْلَطِ عَلَى
رَقَابِهِمْ.

لقد تكلّمنا عن الأئمّةِ السَّلِيْلَةِ الستةِ السَّابِقِينَ ع وَهَا نَحْنُ نَبِيِّنَ الْيَسِيرَ مِنْ حَيَاةِ
الإمام السابع موسى الكاظم ع إنَّ جَمِيعَ الْأَئِمَّةِ جَاهَدُوا صَادِقِينَ ضَدَّ أَنْظَمَةِ
الْجُورِ وَالْفَسَادِ، فَمِنْهُمْ مَنْ شَهَرَ السَّيْفَ وَجَاهَدَ بِهِ مُضْحِيًّا بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ،
وَتَارَ كَأَنَّ لِلنَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ فِي وَاجْبِ الرِّسَالَةِ وَالتَّضْحِيَّةِ.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ آخِرُونَ جَاهَدُوا بِالسُّرِّ لِيَبْعَدُوا النَّاسَ عَنْ طَاعَةِ الظَّالِمِ، وَذَلِكُ
عَنْ طَرِيقِ الْأَدْعِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْدِينِيَّةِ، فَكَانَ جَهَادُهُمْ مُخْتَلِفًا مُتَنَوِّعًا فِي الْأَدَاءِ وَفَقَاءِ
لِمَقْتَضَيَاتِ الظَّرُوفِ وَطَبَيْعَةِ الزَّمِنِ.

مولده ونشأته: هو الإمام الكاظم عليه السلام، ولد سنة ١٢٨ هـ بالأبواء^(١)، والده الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ووالدته حميدة المصفّاة ابنة صابر البربرى، يقال إنها أندلسية، أم ولد تكنى لؤلؤة^(٢).

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «حميدة مصفّاة من الأدناس كسيبة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتّى أديت إلى كرامة من الله لي والحجّة من بعدي»^(٣).

بقي الإمام الكاظم عليه السلام تحت رعاية أعظم شخصية في عصره وهو والده الإمام الصادق عليه السلام، بقي عشرين سنة في ظلّ هذه الرعاية.

وقد قال عنه أبوه وهو صغير: إنّ هذا هو صاحب الأمر من بعدي وهو لا يلهو لا يلعب^(٤).

عاش الإمام موسى الكاظم ما يقارب خمسة وخمسين عاماً، عشرون منها مع والده، والبقية في العهد العباسى.

وبدأت إمامته منذ شهادة الإمام الصادق سنة ١٤٨ هـ.

وعاصر من الخلفاء في إمامته:

١) أبو جعفر المنصور (١٣٨ - ١٥٨ هـ).

٢) محمد بن المنصور المعروف بالمهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ).

(١) الإرشاد ٢: ٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ١.

(٣) الكافي ١: ٤٧٧، حدیث ٢.

(٤) انظر المصدر السابق ١: ٣١١، حدیث ١٥.

(٣) الهادي (١٦٩هـ - ١٧٠هـ).

(٤) هارون الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ).^(١)

حكم ثلاثةً وعشرين سنة وفي هذه الفترة قضى الإمام الكاظم أغلب حياته متقللاً من سجن إلى آخر حتى إنّه استطاع أن يؤثّر على السجانيين الذين كانوا يحرسونه في مختلف السجون حيث امتنعوا من حبسه وقتله لما رأوه من عبادة الإمام وتقواه ولما سمعوا من مواضعه الحكيمـة الصـحـيـحةـ^(٢).

عن طريق المنافقين والخونة المجرمين عمل هارون الرشيد بوسائل كثيرة على محاولة قتل الإمام غيضاً وحسداً وخوفاً لما يرى من موقعه الاجتماعي ومكانته الدينية وحبّ الناس له وتقديسهم لمكانته العلمية ولنسبـهـ الشـرـيفـ.

وكان المؤمنون عندما يُسألون عن مذهبـهـ يقولـأـناـ شـيـعـيـ منـأـشـيـاعـمـحـمـدـ وـآلـمـحـمـدـ، فـيـسـأـلـونـهـ مـنـأـيـنـ عـرـفـهــ؟ـ فـيـقـولـ«ـعـلـمـنـيـهـ الرـشـيدـ قـيـلـ لـهــ:ـ وـكـيـفـ ذـلـكـ وـالـرـشـيدـ كـانـ يـقـتـلـ أـهـلـ هـذـاـ الـبـيـتـ؟ـ قـالـ:ـ كـانـ يـقـتـلـهـ عـلـىـ الـمـلـكـ لـأـنـ الـمـلـكـ عـقـيمـ وـلـقـدـ حـجـجـتـ مـعـهـ سـنـةـ فـلـمـاـ صـارـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ تـقـدـمـ إـلـىـ حـجـابـهـ وـقـالـ:ـ لـاـ يـدـخـلـنـ عـلـيـ مـنـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ وـمـكـةـ مـنـ أـهـلـ الـمـهـاجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ وـبـنـيـ هـاشـمـ وـسـاـيـرـ بـطـوـنـ قـرـيـشـ إـلـاـ نـسـبـ نـفـسـهـ...ـ

فـاـنـاـ ذـاتـ يـوـمـ وـاقـفـ إـذـ دـخـلـ الـفـضـلـ بـنـ الـرـبـيعـ فـقـالـ:ـ يـاـ أـمـيـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـىـ الـبـابـ رـجـلـ يـزـعـمـ أـنـهـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـيـ اـبـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ فـأـقـبـلـ عـلـيـنـاـ وـنـحـنـ قـيـامـ عـلـىـ رـأـسـهـ وـالـأـمـيـنـ وـالـمـؤـمـنـ وـسـاـيـرـ

(١) انظر تاريخ الخلفاء: ٢٥٩ - ٢٩٦.

(٢) انظر الإرشاد: ٢٣٩ - ٢٤١.

القواد فقال: احفظوا على أنفسكم ثم قال لآذنه: أئذن له ولا ينزل إلا على بساطي فانا كذلك إذ دخل شيخ مسخداً قد أنهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم من السجود وجهه وأنفه فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد: لا والله إلا على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل ونظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام فما زال يسير على حماره حتى صار إلى البساط والحجاب والقواد محدقون به فنزل فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبل وجهه وعينيه وأخذ بيده حتى صيره في صدر المجلس وأجلسه معه وجعل يحدثه ويقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله...

ثم قام فقام الرشيد لقيمه وقبل عينيه ووجهه ثم أقبل على وعلى الأمين والمؤمن فقال: يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم امشوا بين يدي عمكم وسيدكم خذوا بر كابه وسروا عليه ثيابه وشييعوه إلى منزله فاقبل على أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام سراً بيني وبينه فبشرني بالخلافة فقال لي: إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي ثم انصرفنا و كنت أجري ولد أبي عليه فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته وأجللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟! قال: هذا إمام الناس وحجّة الله على خلقه وخليفة على عباده فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغيبة والقهر وموسى بن جعفر إمام حق والله يابني أنه لا حق بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ومن الخلق جميعاً والله لو نازعني هذا الأمر لأنخدت الذي فيه عيناك فان الملك عقيم...^(١).

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٨٤ - ٨٦، حديث ١١.

يبدو أن هذه القصة أثّرت كثيراً في نفسية المأمون وهو صبي صغير، ولذلك كان يبدي الاحترام والتجلّة للإمام حتّى إنّه قال: «برئت الذمة ممّن ذكر معاوية بخير... وإنّ أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ على بن أبي طالب»^(١).

عند استلامه الخلافة بعد أبيه لكنه كان متربّداً لا يقف على رأي واحد، وظلّ على هذه الحال حتّى هلك، وكانت له مواقف إيجابية جيدة وأخرى سلبية سيئة مع الأئمّة الأطهار الذين عايشهم، إن من يقرأ قراءة متأنيّة حياة أهل البيت ويطلع بشمولية، على الأوضاع التي مرّت بهم من قبل الحكّام المتسلّطين الظالمين سوف يسهّل عليه أن يفهم السرّ العميق في سبب دعوة القرآن الكريم إلى حبّ أهل البيت والانتصار لهم والالتزام بخطّهم الرسالي وسيكتشف أيضاً السبب الذي من أجله كان الرسول الكريم يجهد نفسه في حياته بالحثّ على حبّ أهل البيت والولاء لهم حيث يقول عاشّ عليه لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»^(٢).

وما أكثر القصص المأثورة التي تبيّن لنا مدى تعلّق الناس بآل البيت الأطهار وهذه القصة واحدة منها:

قال صفوان بن مهران الجمال: «دخلت على أبي الحسن الأول عاشّ عليه ف قال لي: يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً قلت: جعلت فداك أي شيء؟ قال: اكرأوك جمالك من هذا الرجل يعني هارون، قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد ولا للهبو ولكنّي أكريه لهذا الطريق يعني طريق مكة، ولا أتوّلاه بنفسي ولكنّي أنصب غلماني. فقال لي: يا صفوان أيقع

(١) تاريخ الإسلام ٦:١٥.

(٢) الأمالي للطوسي: ٣٣٦، حديث ٦٨٠ والمستدرك للحاكم ٣: ١٤٩.

كراوك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال لي: أتحب بقائهم حتى يخرج كراوك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحب بقائهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار. قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها، بلغ ذلك إلى هارون، فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك؟ قلت: نعم، فقال: لم؟ قلت: أنا شيخ كبير وأن الغلمان لا يفون بالأعمال. فقال: هيئات هيئات أني لأعلم من أشار عليك بهذا موسى بن جعفر، قلت: مالي ولموسى بن جعفر، فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلك^(١).

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٤٠.

الإمام علي الرضا عليه السلام

إنَّ أسمى ما نحرص عليه خلال رحلتنا الفكرية مع حياة أمتنا الأطهار عليهم السلام هو أن نأخذ عنهم الفكر الإسلامي نقِيًّا من منابعه الأصلية، وهم الأمانة على دين الله، وهم الذين قضوا حياتهم مجاهدين في سبيل الحفاظ على سلامة الفكر الإسلامي وخطه الرسالي من الانحراف والتشویش وتطهيره من الأدران التي يدسّها أعداء الدين.

إنَّ حياة المعصومين الاثني عشر زاخرة بالحكمة والمعرفة والتبصُّر وإن كان ما بلغنا عن بعضهم أكثر من البعض الآخر لا لفضل من أحدهم على غيره، وإنما كان ذلك بسبب الفرص السانحة التي تسمح في أداء وبيان ما يقوم به حقيقة الشريعة والعمل بها، وإنَّ من أولئك الذين أتيحت لنا فرصة الاهتداء إلى المزيد من فضائلهم والاستعانتة بسيرتهم الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، لقد كانت حياة هذا الإمام فتحًا جديداً في حياة الشيعة آنذاك حيث انطلقو بأفكارهم وأعمالهم من مرحلة الكتمان إلى الظهور والإعلان، وسادوا جميع البلاد والأمصار ولم يبقى لهم معارض أبداً آنذاك.

نسبة: هو ابن الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد الباير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

والدته: هي أمَّ ولد، واسمها تكتم، ويقال لها: خيزران المريمية وأمَّ

البنين وسكن النوبية^(١).

وقد اشتراطها حميدة أم الإمام موسى الكاظم، وتربت على يدها أفضل تربية، ثم أوصت ابنها موسى عليه السلام أن يأخذها زوجاً له وقالت: «يا بني إن تكتم جارية ما رأيت جارية قط أفضل منها، ولست أشك إن الله سيظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبها لك فاستوص بها خيراً»^(٢).

فتزوجها الإمام وولدت له الإمام الرضا عليه السلام، وقد مدح الشاعر الإمام الرضا عليه السلام وذكر أن اسم أمّه تكتم:

ورهطاً وأجداداً على المعظم	لا إن خير الناس نفسها ووالداً
إماماً يؤدي حجة الله تكتم ^(٣)	أتنا به للعلم والحلم ثاماً

وقد أشهد والده الإمام الكاظم عليه جماعة على إمامته ابنه الإمام علي الرضا عليه السلام^(٤) وذلك ل الاحتياط وحتى لا يدعى الإمامة أحد ولو لزرع الفتنة والخلاف.

وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة وقبض بطورس من أرض خراسان في صفر سنة ثلاثة ومائتين، وله يومئذ خمس وخمسون سنة^(٥).

زوجاته: من زوجاته أم حبيب بنت الخليفة المأمون^(٦)، وقد زوجه إليها

(١) روضة الوعظين: ٢٣٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٢٤، حديث ٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٥.

(٤) الكافي ١: ٣١٢، حديث ٧.

(٥) الإرشاد ٢: ٢٤٧.

(٦) عيون أخبار الرضا ٢: ١٥٨ - ١٥٩، حديث ١٩.

يظهر عن طريق هذا الزواج أَنَّهُ مع أَهْلِ الْبَيْتِ.

كان الإمام الرضا عليه السلام بمثابة القرآن الناطق لأنَّ القرآن معجزة الله لخلقِه يسره ربنا لمن يستقيم عليه ويصبح غريباً عمن لا يطلع عليه. كان الإمام الرضا عليه السلام حجَّةُ الله في الأرض يهتدى به من يتبعه ويضل عنده من يتركه ويركز إلى غيره.

لقد كان القرآن الكريم خلقاً لرسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من ميزات الإمام الرضا أَنَّ له أَذْنَاً واعية وبصيرة مدركة لمعاني القرآن ذلك لأنَّه جزء من أحد الثقلين، القرآن والعترة الطاهرة الذين كانوا مشكاة نور القرآن ومعدن الرسالة ومهبط الوحي، ولقد تمثَّل النور بكلٍّ وجوده حتَّى جاء في الحديث عن أبي ذكوان قال: «سمعت إبراهيم بن العباس يقول: إني ما رأيت الرضا عليه السلام سُئلَ عن شيءٍ قطٍّ إِلَّا عُلِّمَ، ولا رأيت أعلم منه بما كان من الزمان إلى وقته وعصره، وكان المؤمن يمتحنه بالسؤال عن كُلِّ شيءٍ فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثيله بآيات من القرآن»^(١).

إمام أطاع الله حق طاعته طيلة حياته فأحبَّه الله وأضاء قلبه بنور المعرفة والهدایة وكان فرعاً طيباً نضيراً من الشجرة الطيبة التي أكرمها الله وبارك فيها لأُمّة محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ذُرْيَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ ﴾.

يقول اليسع بن حمزة: «كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدهما وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام إذ دخل عليه رجل

(١) الأُمَالِيُّ للصادق: ٧٥٨

طوال آدم فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله رجل من محبّيك ومحبّي آبائك وأجدادك عليهما السلام مصدرى من الحج، وقد افتقدت نفقتي وما معى ما أبلغ مرحلة فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدى والله على نعمة فإذا بلغت بلدى تصدق بالذى توليني عنك فلست موضع صدقة.

قال له: أجلس رحمك الله وأقبل على الناس يحدّثهم حتى تفرقوا وبقي هو سليمان الجعفري وخيمه وأنا فقال: أناذنون لي في الدخول؟ فقال له سليمان: قدّم الله أمرك، فقام فدخل الحجرة وبقي ساعة ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: أين الخراساني؟ فقال: ها أنا ذا، فقال: خذ هذه المائة دينار واستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبّرك بها ولا تصدق بها عّني واخرج فلا أراك ولا تراني، ثم خرج.

قال له سليمان: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟ فقال: مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المستتر بالحسنة يعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخدول، والمستتر بها مغفور له».

كان علي بن يقطين أحد أتباع وتلامذة الإمام الكاظم ع عليهما السلام وقد استطاع بكفاءته أن يصل إلى منصب الوزير الأول في حكومة العباسين فراح يعمل جاهداً على مساعدة الكثير من أتباع أهل البيت بقضاء حاجاتهم وتسهيل أمورهم أو بالزاد والنفقة من ماله الخاص.

لقد ساء حال الحكم العباسي في خلافة المؤمنون حيث واجهه أخطار كبيرة بسبب الشورات العلوية، وقد اضطرّ المؤمنون أن يفكّر في تدابير وإجراءات تساعدهم على الاحتفاظ بمكانته وعلى سلطانه الذي هو أعزّ ما

بالوجود عنده وبما أنه يخشى أن يخوض نزاعاً مسلحاً مع الثوار العلوين فقد عمد إلى أسلوب الدبلوماسية سواء مع الإمام أو مع الثورة الشعبية فأعلن البراءة من معاوية بن أبي سفيان وممن يذكره بخير^(١)، معترفاً بذلك أنَّ الخلافة من بعد الرسول الكريم هي لعلي بن أبي طالب والأئمة من بعده وراح يخدع الناس ويمالئهم برغم مرارة هذا الدواء الذي هو مكره على شربه.

إنه لم يهادن ولم يعترف بأحقية الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده عن قناعة وعن رضا ولكن كان ذلك لأنَّه أحسنَ بلسع لهيب نار الثورة الشعبية وهي تقترب من عرشه يوماً بعد يوم فعمد إلى إعطاء ولایة العهد للإمام الرضا عليه السلام وأمر الناس بالبيعة له من بعده مع أنَّ الإمام علي ليس من أهله وذوي قرباه بل من أسرة رسول الله عليه السلام وهي الأعظم شأنًا والأقوى خطرًا عليه معترفاً للإمام بالإمارة علىبني هاشم طرًا عباسيهم وطالبهم وكتب له الوثيقة التي أعلنها للناس وفيما يلي بعض من نصَّ هذه الوثيقة: «وأمام ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى عليه السلام بعد استحقاق منه لها في نفسه، واختيار مني له، فما كان ذلك مني إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم باستدامة المودة بيننا وبينهم، وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب ومواساتهم في الفيء يسير ما يصيبهم منه»^(٢).

«حتى قضى الله بالأمر إلينا فأخفناهم، وضيقنا عليهم وقتلناهم أكثر من قتلبني أمية إياهم، ويحكم إنَّ بنى أمية إنما قتلوا منهم من سل سيفاً وإننا معشر بنى العباس قتلناهم جملًا فلتسائلنَّ أعظم الهاشمية بأيِّ ذنب قلت،

(١) تاريخ الطبرى ٧: ١٨٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٩: ٢١٣، حديث ٣.

ولتسائلنّ نفوس ألقيت في دجلة والفرات، نفوس دفت ببغداد والكوفة أحياه.
وهيئات إِنَّهُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(١).

سبب نقل مركز الخلافة إلى خراسان ذلك لأنّ يد المؤمن كانت فارغة منبني أبيه ومن قوة البرامكة ومن العرب فلم يبقى له معين وأراد بنقلها إلى خراسان أن يوحى للناس أنّه يحبّ أهل البيت ومن يحبّونه، ويكره أعداء أهل البيت، ثم قدم الدليل على إدعائه وتظاهره هذا أن أعطى ولادة العهد للإمام الرضا عليه السلام بعد أن استحضره من المدينة وأرغمه على القبول والرضوخ لهذا الأمر^(٢)، محاولاً تهدئة الأوضاع متظاهراً مجيء الوقت المناسب لكي يكيد له ويغدر به بعد أن استنفذ شتى الأساليب والحيل عمد إلى دسّ السمّ له عن طريق زبانيته اللثام^(٣).

قال ابن السمّاك في الفقيد الكبير هذين البيتين بعد أن أخذوه قبره:
مات الإمام المرتضى مسموماً وطوى الزمان فضائلاً وعلوماً
كما أضحى أبوه بكر بلاه مظلوماً قد مات في الزوراء مظلوماً

وقال أبو فراس الحمداني شاعر زمانه:
يا جاهداً في مساويم يكتُمها
عَذْرُ الرشيد بحبي كيف ينكتمُ
مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكمُ
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا

(١) الزلزلة (٩٩): ٧ - ٨

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٥٠، حديث ٢.

(٣) الإرشاد: ٢: ٢٧٠.

(٤) حياة الإمام الرضا: ٢: ٢٧٨ - ٢٧٩.

ذاق الزبيري غِبَّ الحنث وانكشفت
 عن ابن فاطمة الأقوال والتهُمُ
 باؤوا بقتل الرضا من بعد بيته
 وابصروا بعض يوم رشدهم وعموا
 يا عُصْبَةً شقيت من بعد ما سعدت
 ومعشرًا هلكوا من بعد ما سلموا
 بجنب الطف تل ذلك الأعظم الرمُّ
 لبئسها لقيت منهم وإن بليت

الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَام

الحمد لله الذي شرح صدورنا بمعارف القرآن ونور قلوبنا بضياء الفرقان
وأرشدنا إلى معالم الإسلام وهدانا إلى متابعة السنن والأحكام وبعث الأنبياء
ليبين عدله ونص الأوصياء ليظهر فضله ونشكره على جزيل نعمائه ونحمس
على مزيد آلاء.

أما بعد فنحن عشر القراء إليه تعالى نقول: بعد أن مضى المصطفى
صلى الله عليه وسلم وآلته إلى جوار رب خلف المسلمين القرآن والعترة قائلاً:
ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وأمر الناس باتباعهما وقال: إنهم لا
يفترقان حتى يردا على الحوض، وما زال يوصي بهما حتى وافته المنية^(١).

لقد خص الله سبحانه وتعالى بالفضائل أهل البيت ونرھم عن النعائص
وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تصهيراً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ نَطْهِيرًا﴾^(٢).

(١) انظر مسنـد أـحمد ٣: ١٤ و ١٧ و ٥٩ و سـنـن الدـارـمي ٢: ٤٣٢ و فـضـائل الصـاحـبة ١٥ و ٢٢
و المسـتـدرـك عـلـى الصـحـيـحـيـن ٣: ١٠٩ و ١٤٨.

(٢) الأحزـاب ٣٣: نـزلـت فـي رـسـول اللـه عـلـيـهـ الـسـلـامـ وـعـلـيـهـ وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ، وـقـدـ
توـاـرـتـ النـصـوـصـ عـلـيـهـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ: مـسـنـدـ أـحـمدـ ١: ٣٣١ و ٢٥٩ و ٢٨٥ و ٤: ٦ و ١٠٧، ٣: ٢٩٢ و ٢٧٤ـ
وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ ٧: ١٣٠ وـسـنـنـ التـرمـذـيـ ٥: ٣٠ حـدـيـثـ ٣٢٥٨ وـكـمـالـ الدـينـ: ٢٧٨ـ
حـدـيـثـ ٢٥ـ وـفـيـهـ أـنـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ قـالـ لـأـمـ سـلـمـةـ: «أـنـتـ عـلـىـ خـيـرـ، إـنـمـاـ أـنـزـلـتـ فـيـ وـفـيـ أـخـيـ
(ـعـلـيـ) وـفـيـ اـبـنـيـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ وـفـيـ تـسـعـةـ مـنـ وـلـدـ اـبـنـيـ الـحـسـيـنـ خـاصـةـ لـيـسـ مـعـنـاـ أـحـدـ غـيـرـنـاـ»ـ.

وتدلّ هذه الآية الشريفة على أنّ أهل البيت مطهرون من جميع الأرجاس، وهم صفوّة عباده وخيرتهم الذين فرض مودّتهم على المسلمين بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

فهم الشجرة الطيبة والغمامـة الصبيـة، والعلم الـزـاخـر، والـبـحـرـ الـذـي لـيـسـ يـدرـكـ لـهـ آـخـرـ. إـذـا عـدـتـ الفـضـائـلـ فـهـمـ بـنـواـ نـجـدـتـهـاـ وـإـنـ ذـكـرـتـ المعـالـيـ فـهـمـ بـنـواـ بـجـدـتـهـاـ أوـ دـارـتـ الـحـربـ فـهـمـ الـأـفـطـابـ أوـ تـحـاوـرـتـ الـمـقاـولـ فـهـمـ فـصـلـ الـخـطـابـ، وـمـنـ هـذـهـ الـعـتـرـةـ الـطـاهـرـةـ وـالـشـجـرـةـ الـطـيـبـةـ الـمـبـارـكـةـ الـتـيـ أـصـلـهـاـ ثـابـتـ وـفـرـعـهـاـ فـيـ السـمـاءـ الـإـيمـانـ الـطـاهـرـ (ـالـجـوـادـ) ﴿عـلـيـهـ﴾، وـإـنـنـاـ نـسـوـقـ الـكـلـامـ هـنـاـ لـإـيـضـاحـ الـمـرـكـزـ الـهـامـ الـذـيـ رـسـمـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ بـتـنـصـيـبـ الـإـمـامـ لـلـمـسـلـمـيـنـ بـعـدـ الرـسـوـلـ ﴿عـلـيـهـ﴾.

ولنبـيـنـ الـأـمـرـ الثـابـتـ وـالـحـقـيـقـيـ منـ خـالـلـ غـرـبـلـةـ الـأـحـدـاتـ التـارـيـخـيـةـ وـوـدـرـاستـهـ درـاسـةـ مـوـضـوعـيـةـ وـاعـيـةـ لـنـسـتـطـيعـ السـيـرـ بـوـعـيـ كـامـلـ عـلـىـ نـهـجـ الـقـرـآنـ وـالـعـمـلـ بـالـسـنـةـ الـمـطـهـرـةـ، وـلـنـكـوـنـ أـمـةـ وـاحـدـةـ كـالـجـسـدـ الـوـاحـدـ تـرـسـمـ خـطـىـ نـبـيـهـ الـعـظـيمـ ﴿عـلـيـهـ﴾ وـتـبـعـ الدـسـتـورـ الـقـرـآنـيـ النـيـرـ؛ لـأـنـ الـظـلـمـ الـذـيـ حلـ بـتـارـيـخـ الـإـسـلامـ الـمـشـرـقـ وـنـزـلـ بـسـاحـةـ سـنـةـ النـبـيـ الـعـظـيمـ، وـالـأـئـمـةـ الـمـعـصـومـيـنـ كـانـ أـفـدـحـ ظـلـمـ وـأـقـبـحـ عـمـلـ مـرـ بـتـارـيـخـ الـبـشـرـيـةـ لـأـنـ الـظـالـمـيـنـ حـالـوـاـ دـوـنـ ظـهـورـ حـقـائـقـ الـإـسـلامـ، وـعـمـلـوـاـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـتـرـكـوـاـ مـوـضـعـ قـدـمـ لـلـإـمـامـةـ فـيـ حـقـ الـخـلـافـةـ الـإـسـلامـيـةـ الـمـنـصـوصـ عـنـهـاـ مـنـ قـبـلـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ كـمـاـ قـالـ سـبـحـانـهـ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النـاسـ عـلـىـ مـاـ أـتـاـهـمـ اللـهـ مـنـ فـضـلـهـ﴾^(٢)، وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿أـوـلـئـكـ الـذـينـ آتـيـاـهـمـ الـكـيـنـاتـ وـالـحـكـمـ﴾

(١) الشورى (٤٢): ٢٣. نزلت في علي وفاطمة وأبنائهما، المعجم الكبير للطبراني ٤٧، حديث ٢٦٤١.

(٢) النساء (٤): ٥٤.

وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرُوا هُمْ لَهُمْ بَأْسٌ وَّكُلُّنَا بِهَا قَوْمًا لَّيُؤْسِأُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿١﴾.

حياة الإمام الجواد عليه السلام: ولد الإمام في شهر رمضان عام ١٩٥ هـ في المدينة المنورة وتوفي سنة ٢٢٠ هـ في بغداد^(٢) بعد أن دس له الخليفة العباسي المعتصم السم في طعامه وقتلته^(٣).

والدته السيدة سبيكة النبوية^(٤) ويقال إن الرضا عليه السلام سماها خيزران^(٥).

في عقيدتنا الإمام الذي يختاره الله لكي يكون قدوة صالحة يقتضي أن يكون كاملاً من جميع الوجوه بعيداً عن النقص والعيوب في الفكر أو الجسم، ويدرك أن الإمام الرضا عليه السلام كان قد بلغ السابعة والأربعين ولم يرزق بولد فشد ذلك انتباه الناس وحرك الألسن بالقول إنه عقيم لن يكون له ولد معتبرين إن هذا نقص في عدد الأئمة الاثني عشر وراحت الحيرة بالناس حتى «كتب ابن ياما إلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟! فأجابه أبو الحسن الرضا عليه السلام - شبه المغضب - : وما علمك أنه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً ذكرأً يفرق به بين الحق والباطل»^(٦).

أما أتباع الإمام المخلصون فكانوا يعيشون حالة انتظار وارتقاء؟

(١) الأنعام: ٨٩.

(٢) الإرشاد: ٢٧٣.

(٣) تفسير العياشي ١: ٣١٩ - ٣٢٠، حديث ١٠٩.

(٤) الإرشاد: ٢٧٣.

(٥) تاج المواليد: ٥٢.

(٦) الكافي ١: ٣٢٠، حديث ٤.

منتظرين مقدم المولود، وجاءت الليلة المباركة التي ولد فيها الإمام الجواد عليه السلام وقد قال والده فيه: «هذا المولود الذي لم يولد أعظم على شيعتنا برقة منه»^(١) عندها ذهبت ادعاءات الواقفية أدراج الرياح وذابت ذوبان الملح في الموجة الهاדרة.

«الواقفية: وهم كل من وقف في الإمامة على موسى بن جعفر عليه السلام وينكر موته ويدّعي أنه قائم الأئمة عليهم السلام»^(٢).

عاش الإمام الجواد عليه السلام طفلاً تحت رعاية والده الإمام الرضا عليه السلام كما يعيش الورد على كنف اليابس فنهل من والده العلوم كلّها، وخصّته البركة الإلهية بالإيحاء القلبي النوراني الذي أعطاه الله لأئمّة الهدى ليغدوا سيداً وإماماً سبق الدهر كلّه في حياته ومشي الدهر خادماً من ورائه

عندما بلغ الإمام الجواد عليه السلام الخامس من عمره استدعي الخليفة العباسي المأمون الإمام الرضا إلى خراسان وأعلن للناس أنه ولّى لعهد الخلافة من بعده ذلك لأن المأمون أراد بذلك مارب متعددة منها إخماد ثورات الذين يحبّون أهل البيت. ترك الإمام الرضا المدينة مرغماً مستجيناً لأمر الخليفة وتوجه إلى خراسان تاركاً طفلاً الإمام الجواد الذي ارتقّت به القلوب كثيراً، تركه وعمره خمس سنوات ولكن بعد أن غرس فيه كلّ ما يمكن غرسه، وكان هذا الولد من ضياء الله العجيبة علمًا ومعرفة فهو مذ كان بهذا العمر والناس تحبّط به وتسأله وتقرّ بإمامته بعد أبيه وراح والده يغذيه من خراسان عن طريق الرسائل

(١) الإرشاد ٢: ٢٧٩.

(٢) رياض المسائل ٩: ٣٢٥.

التي يقرأها الطفل بتبصرٍ وإمعانٍ فيزداد بها علمًاً ومعرفةً في كلّ وجه من وجوه الدين والحياة، وكان من وصاياته في رسائله لابنه:

«يا أبا جعفر... فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألوك أحد شيئاً إلّا أعطيته... إنّي أريد بذلك أن يرفعك الله، فأنفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً»^(١).

وكان والده يعده ويربيه وهو بعيد عنه في المدينة ثلاثة سنوات حتّى قصد ذات الطفل المبارك الناس من كلّ حدب وصوب، يسألونه عن غواصات الأمور وأعقداتها فيجيب بأسرع الإجابات وأحكامها، وكان العلماء يقفون حيari أمام إجاباته فيتعلّمون منه ويبدون له كلّ تجلة واحترام.

زوج المأمون بنته أم حبيب لوالد الجواد علیه السلام^(٢) ليعلن للناس حبه وموته لأصحاب أهل البيت، لكنه عندما رأى شدة افتتان الناس بالرضا ومحبّتهم له دسّ له السم في الطعام فقتلته^(٣). ثم انتقل إلى بغداد سنة ٢٠٤هـ^(٤)، والمأمون كان يتخوف من الإمام الجواد علیه السلام ومن حب الناس له كما تخوف من قبل من أبيه الرضا فاستدعاه من المدينة المنورة إلى بغداد حيث نظم له الخليفة هناك استقبلاً عظيماً محاولاً أن يستميل قلبه إليه وطلب إليه أن يزوجه ابنته الأخرى أم الفضل كما زوج أمّاه من إختها واعتراض كثير من المنافقين من بنى العباس قائلين: «إنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقّه في

(١) الكافي ٤: ٤٣، حديث ٥.

(٢) تاريخ الطبراني ١٤٩: ٧.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٧٠.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

الدين ثم اصنع ما تراه بعد ذلك فقال لهم: ويحكم إبني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل بيته علمهم من الله ومواده وإلهامه، لم يزل آباءه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعایات الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر^(١).

فامتحنوه وعرفوا قدره ومكانته وتم زواجه بأم الفضل ابنة المأمون، لكنه لم يطق البقاء في قصور بغداد حيث الترف واللهو والبذخ فعزم على الرحيل إلى المدينة المنورة.

دخل حسين المكارى عليه ببغداد فلما رأى طيب حاله قال في نفسه لا يرجع أبداً إلى موطنه، فقال: «خبز شعير وملح جريش وحرم الرسول أحب إلى مّما ترى»^(٢).

وذهب إلى المدينة ليواصل فيها أداء مسؤولياته الخطيرة حيث أنشأ مدرسة فكرية فأدت جامعة لكل العلوم حتى وفاة المأمون الذي استلم الخلافة من بعده المعتصم العباسي الذي أشخص الإمام من المدينة في مطلع عام ٤٢٠ هـ إلى بغداد^(٣).

وكان المعتصم عارفاً بمحبة الناس للإمام وأنه خطر على ولاته فخبت ظنه وبدأ يفكّر في كيفية يقتل بها الإمام الجواد وأخيراً دس له السم في الطعام وقتلها^(٤). مطفئاً بذلك المشعل الوهاب بظلم، تاركاً أمّة الإسلام تندب وتبكي

(١) الإرشاد ٢: ٢٨١ - ٢٨٤.

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٢٠٠، حديث ٧.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٨٩.

(٤) تفسير العياشي ١: ٣١٩ - ٣٣٢، حديث ١٠٩.

إمامها المقتول مثلما الأرض تبكي مغيب الشمس.

إمامته: مفهوم الإمامة في عقيدة الشيعة يختلف عنه عند الآخرين فهو يعني الخلافة المطلقة لشخص الرسول ﷺ وعلومه ومعارفه ومؤهلاته وصلاحاته ومسؤولياته (صورة كاملة للنبوة) بفارق واحد أن الإمام لا يوحى إليه بينما النبي يوحى إليه، فلا نبوة بدون وحي، ومع أن الإمام لا يوحى له إلا أنه صورة كاملة ولكن مصغرة عن النبي، وكما تصح النبوة للصبي كذلك الإمام تصح للصبي فالعمر ليس مقاييساً عند الله كما هو عند الناس، وليس الطاعون في السن هو العظيم دائماً، فرب شيخ بغرض عند ربّه، ورب طفل أو شاب محظوظ عند بارئه، النية الصالحة والعمل الصالح هما المقاييس الأول في منطق القرآن.

وقد بيّن سبحانه وتعالى للبشرية ما أدهشها عندما بعث الله يحيى نبياً وهو صبي، ليدرك الناس معنى النبوة، وأنّها ليست موهبة عادية تتبع الشروط البيئية والتربية وإنّما هي خرق للمأمول، خرق لسنة الكون، ونداء جديد ليس يشابهه نداء ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١).

عن صفوان بن يحيى أنه قال: «قلت للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قد كنا نسألوك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: «يهب الله لي غلاماً» فقد وهب الله لك وقرّ عيوننا به، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر - وهو قائم بين يديه - فقلت له: جعلت فداك، وهذا ابن ثلات سنين قال: وما يضر من ذلك، قد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقل من ثلاثة سنين»^(٢).

(١) مريم (١٩): ١٢.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٧٦.

آية: ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ تُمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(١).

بعض من أحاديثه:

«إياك ومصاحبة الشيرير فإنه كالسيف المسلط يحسن منظره ويصبح أثراه»^(٢).

«كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة»^(٣).

«العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم»^(٤).

كيف يضيع من الله كافله؟ وكيف ينجو من الله طالبه؟! ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال، من أطاع هواه أعطى عدوه منه، من هجر المداراة قاربه المكروه، ومن لم يعرف الموارد أعيته المصادر، ومن انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للتلهك وللعقابة المتبعة، ومن عتب من غير ارتياض أعتب من غير استعتاب، راكب الشهوات لا تستقال له عترة»^(٥).

«لا يضرك سخط من رضاه الجور»^(٦).

«العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء»^(٧).

(١) القصص (٢٨): ٥.

(٢) بحار الأنوار ٧١: ١٩٨، حديث ٣٤.

(٣) المصدر السابق: ٧٢: ٣٨٠، حديث ٤٢.

(٤) كشف الغمة للأربلي: ٣: ١٤١.

(٥) بحار الأنوار ٧٥: ٣٦٣ - ٣٦٤، حديث ٤.

(٦) المصدر السابق: ٣٦٥، حديث ٥.

(٧) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ٢: ١٠٥٥.

«يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»^(١).

ومن وصايا الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ يبدو بكلّ وضوح أنّه كان يعدّ أصحابه وأتباعه للعمل الرسالي في آن معاً لكنه كان يحذّرهم من الإنسياق وراء الانفعال أو مجابهة التيار العنيف بالاستعداد الضعيف لثلا يخسر الموقف ويعطي فرصة الانتصار للخصم وكان دائمًا يحثّ أصحابه على عدم الثرة ويوصيهم: «مقتل الرجل بين فكيه»^(٢).

لقد أدى الإمام الجواد عَلَيْهِ الْكَلَمُ مهمّته الرسالية والسياسية في الحدود التي سمحت بها ظروف العسف والجور والطعام المسموم والسيف المسلّط، أدّاها بلا أيّ تباذل أو جبن أو خوف أو ضعف أو خور.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الإمام الهاדי عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ هي من أقوى أدوات الحصر والتوكيد، وقد أكدت إرادة الله سبحانه وتعالى في إذهاب الرجس من أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل الكساء لا أهل القرابة والنساء. إن الله سبحانه وتعالى يعلم أن إرادة هؤلاء المطهرين لا تجري إلا وفق ما شرعه لهم من أحكام وهم على ما هم فيه من الإمكانيات الذاتية والمواهب المكتسبة نتيجة لتربيتهم وفق تعاليم الشريعة وقد استوعبوا أحكامها عملاً وخبرة، وهم الذين أفضى الباري عليهم من لطفه وتخصيصه بما يريدون لأنفسهم شيئاً من دنس الدنيا وشوائبها ومتاعها الغرور، وبهذا يتضح معنى اصطفاء الخالق جل جلاله لهم واختيارهم للقيام بحمل الرسالة المقدسة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمَيْنَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾^(٢).

قال أبو نواس:

مطهرون نقىاتٌ ثيابهم
تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) آل عمران (٣): ٣٣ - ٣٤.

فِي الْهُدَىٰ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخِرٌ
مِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنْسِبُهُ
صَفَّاكُمْ وَاصْطَفَاكُمْ أَيْهَا الْبَشْرُ
فَاللَّهُ لَمَّا بَرَىٰ خَلْقًا فَأَتَقْنَهُ
عِلْمَ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ^(١)
وَانْتُمُ الْمُلَأُ الْأَعْلَىٰ وَعِنْدَكُمْ

إِذَا كَانَتِ الْعَظَمَةُ هِيَ قُوَّةُ الْإِرَادَةِ وَشَرْفُهَا وَرْدَعُ النَّفْسِ عَنِ الْهُوَى امْتَثَالًا
لِأَوْامِرِ اللَّهِ إِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِشَارَةٌ وَاضْحَىٰ إِلَىِ الْعَصْمَةِ الَّتِي نَزَّلَتْ
بِحَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ اصْطِفَاهُمْ رَبَّهُمْ لِقِيَادَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُمْ أَهْلُ الْكَسَاءِ
الَّذِينَ دَعَا لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ جَلَّهُمْ بِكَسَاءِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هُؤُلَاءِ أَهْلَ
بَيْتِي فَاذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا».

ثُمَّ جَاءَتْ زَوْجَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَرَفَعَتِ الْكَسَاءَ مُحَاوِلَةً أَنْ تَدْخُلَ مَعَهُمْ إِلَّا أَنْ
الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ جَذَبَهَا قَائِلًا: إِنَّكِ إِلَىِ خَيْرٍ»^(٢).

وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَسْتَضِيءُ بِالْيُسْرَىٰ مِنْ سِيرَةِ الْإِمَامِ الْعَاشِرِ مِنْ أئمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ
عَلَيِ الْهَادِي عَلَيْهِ الْكَلَّىٰ إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدَ الْجَوَادَ عَلَيْهِ الْكَلَّىٰ.

وَرَثَ الْإِمَامُ هَذِهِ الْقِيَادَةَ الرَّشِيدَةَ مِنْ وَالَّدِهِ الْجَوَادِ عَلَيْهِ الْكَلَّىٰ الَّذِي انتَهَىَ إِلَيْهِ
مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخُيُورِ ﴾^(٣).

وَكَذَلِكَ كَانَ كُلُّ مَنْ اسْتَلَمَ مَنْصَبَ الْوَلَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ مِيزَانًا لِلْحَقِّ وَفِرْقَانًا

(١) عيون أخبار الرضا: ٢: ١٥٥.

(٢) مسند أحمد: ٦: ٢٩٢ و ٣٠٤. وانظر: سنن الترمذى: ٥: ٢٩ - ٣٠، حديث ٣٢٥٨ والمستدرك للحاكم: ٢: ٤١٦ وكتاب سليم: ٢٠٠ وكمال الدين وتمام النعمة: ٢٧٤ - ٢٧٨، حديث ٢٥.

(٣) فاطر: ٣٥: ٣٢.

ونوراً يضيء للناس دروبهم إذا تشبهت عليهم المذاهب واختلفت عندهم السبل والآراء. تميز الإمام الهادي عليه السلام بالقدرة على قيادة الخط الرسالي على جميع الأصعدة وذلك بالرغم من الإرهاب العباسي الذي كان قد توسع في إيدائه لأهل البيت وخاصة في فترة الصراع الذي دار بين الأخوين الأمين والمأمون، وعندما أراد المأمون تزويج ابنته أم الفضل إلى الإمام الججاد والد الإمام الهادي ثارت ثائرة بني العباس وقالوا كيف تزوج صبياً في التاسعة من عمره وهؤلاء أعداؤنا نشذك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه فإننا نخاف أن تخرج به علينا أمراً قد ملكتنا إياه الله وتنزع منها عزّاً قد لبسناه، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قدّيماً وحديثاً^(١).

وراحوا يحاولون بكل الأساليب ويصيرون حقدهم وحنقهم على أهل البيت وعلى الإمام الذي بُرِزَ بعد أبيه، وكان الإمام الرضا عليه السلام ضحية لهذا الخلاف بين الأخوين من جهة وبين حقد المنافقين للسلطان من جهة أخرى خوفاً على كراسيهم ومكانتهم، لا يمكن أن نعمد إلى تشخيص كل إمام على انفراد، وكذلك خط الإمامة وامتدادها في العمل ليس أمراً عفوياً ولا قضية يضعها يقنتها الأتباع كما يصنع أفراد القبيلة في أعراف الزعامة المتوارثة، بل إنه كان امتداداً وتتابعاً مرتبطاً باللطف الإلهي وبقضية الشريعة والأمة الإسلامية فكان كل إمام من خلال الظروف التي تحيط به يحاول بكل جهده أن يقوم بدوره وأن يكون محور الصراع ومركز الصدارة وموقع المرجعية والإمامية العلمية بحيث لم يكن ليجهلها أو ينكر عليهم ذلك أحد لا من الحكام ولا من العلماء ولا حتى من عامة الناس.

(١) الاختصاص: ٩٨

فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام تحمّلوا دور الكفاح المسلح والصراع السياسي المباشر من موقع الخلافة أمّا زين العابدين السجاد والباقر والصادق عليهم السلام فقد كانت مواقفهم ومهامّهم مختلفة في بعض جوانبها عن آبائهم إذ اتجهوا نحو العلم والمعرفة فنشروا معارف الإسلام وبيّنوا للناس واجب الجهاد وفضيلته.

أمّا الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام فقد كان دورهم السياسي أكثر وضوحاً ومثّلوا المرحلة الثانية من حياة أهل البيت عليهم السلام.

عوده إلى الإمام الهادي عليه السلام فقد بدأت إمامته وحياته السياسية في أواخر عهد المعتصم العباسي الذي تولى الخلافة سنة ٢١٨هـ وتوفي سنة ٢٢٧هـ ونقل مركز خلافته إلى مدينة بناها على بعد ١٢٠كم إلى الشمال من بغداد سماها سرّ من رأي ^(١).

بعد المعتصم عاش الإمام الهادي عليه السلام في عهد ابنه الواثق بالله توّلى الخلافة في عام ٢٢٧هـ وتوفي في نهاية عام ٢٣٢هـ ^(٢).

هذه الفترة أو الفرصة سمحت للإمام أن يتفرّغ للعلم والتدريس وهو في سنّ الشباب رافعاً مشعل رسالته قائداً للناس في درب الحقّ والفضيلة بينما تتلاعب بالدولة الحاشية والقادة من الأتراك، وتمتلئ القصور بالجواري والمعنى وأجواء الفساد.

لقد اغتنم الإمام هذه الفرصة وركّز كلّ جهوده على دور العلم واستطاع

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٢) المصدر السابق: ٣٤٤.

بذلك أن يزرع الوعي والمعرفة الحقة عند الناس، وأن يكتسب الكثير من الأتباع إلى أن جاء حكم الخليفة المتكّل وقتل سنة ٢٤٧هـ وقد كان أشدّ أهله عداوةً لأهل البيت فقد هدم قبر السبط الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام سنة ١٣٢هـ وهم ما حوله من الدور وأمر أن يعمل مزارع، ومنع زيارة قبره الشريف^(١)، وأمر بسجن كلّ من يزوره ثمّ أمر بمنع العطاءات وقطع الحقوق عن أهل البيت من دون الناس جميعاً لعلّهم يموتون جوعاً.

وضيق الحصار على الإمام علي الهادي عليهما السلام وأمر بجلبه سنة ٢٤٣هـ من المدينة إلى سامراء وبقي فيها إلى شهادته سنة ٢٥٤هـ^(٢).

« وإنّما أشخاصه المتكّل من مدينة رسول الله صلّى الله عليه وسلم لأنّ المتكّل كان يبغض علياً وذرّيته فبلغه مقام علي [الهادي] بالمدينة وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة وانظر حاله وأشخاصه إلينا.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس مثله، خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق؛ لأنّه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري - وكان والياً على بغداد فقال لي: يا يحيى، إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله صلّى الله عليه وسلم والمتكّل من تعلم، فإنّ حرّضته عليه قتلته، وكان رسول الله صلّى الله

(١) المصدر السابق: ٣٤٧.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٠٩ - ٣١٢.

عليه وسلم خصمك يوم القيمة، فقلت: والله ما وقعت منه إلّا على أمر جميل...

فلمّا دخلت على المُتوكّل فسألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته ؛ وسلامة طريقته ؛ وورعه وزهادته، وإنّي فتشت داره فلم أجده فيها غير المصاحف وكتب العلم وإنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المُتوكّل... وأنزله مدينة سُرْ من رأى»^(١).

وفي سامراء قام العباسيون بتشديد الرقابة والتضييق على الإمام واتباعه وكانوا يهاجمون داره متّى شاؤوا متهمينه بوجود أسلحة في داره لكن العناية الإلهية كانت ترعى الإمام رغم أنوف الظالمين ورأس الفساد والفاشدين^(٢).

وقتل المُتوكّل سنة ٢٤٧هـ ابنه المنتصر الذي خفّف الحصار عن العلوين وسمح بزيارة قبر الحسين علّيَّ وأعاد أرض فدك^(٣).

وبعد وفاته ٢٤٨هـ استلم المستعين بالله الذي كثرت في عهده الخلافات والفتنة الداخلية والتي كان من نتيجتها فتح السجن الرهيب في سامراء وخروج المظلومين منه^(٤).

كانت وفاة الإمام علي الهادي علّيَّ سنة ٢٥٤هـ في داره التي دفن فيها^(٥)، وله مزار شامخ هناك يأمه الأحباب والأتباع زائرين ذاكرين حتّى يومنا هذا.

(١) تذكرة الخواص: ٢: ٤٩٣ - ٤٩٥.

(٢) تذكرة الخواص: ٢: ٤٩٦ - ٤٩٧.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٤) المصدر السابق: ٣٥٨.

(٥) الإرشاد: ٢: ٣١١.

والدته جارية اسمها سمانة المغربية^(١) كانت من القانتات الصالحات، وأولاده كانوا أربعة من الذكور وبنت واحدة^(٢).

مما تقدم نرى أن طبيعة الحكم العباسي في سلوكه وأخلاقه وصلت إلى حالة من الخلافات والتدھور والانحطاط إلى درجة لم تصل إليها الفترات السابقة فالابن يقتل أباً من أجل الخلافة، والأخ يؤتى له برأس أخيه من أجلها كذلك، وعمّت الفتن والجرائم والفوضى وكان التخلف هو الحالة العامة المسيطرة على عموم الناس، ولذلك كانت مهمّة الإمام الهادي عَلَيْهِ الْكَلَمَة مهمّة كبيرة وصعبة تحتاج إلى الذكاء والفطنة السياسية الحكيمية والإقدام الشجاع للتوجيه وإعادة الناس إلى الخط الرسالي الصحيح مثل الإمام في ذلك مثل كلّ الأئمّة من قبله في الحكمة السياسية والدعوة إلى الهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) بحار الأنوار ٥٠: ١١٤.

(٢) الإرشاد ٢: ٣١١ - ٣١٢.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

عندما تمرّ بنا ذكرى شهادة أو وفاة أحد الأئمّة الأطهار عليهم السلام نستذكر ونتذكّر مدى اتساع الفجوة بين حياتنا والحياة التي عاشها الرسول الأعظم صلوات الله عليه وتجلّت فيها سيرته المصحوبة بالوحى الإلهي، وهو الذي قرن مع سيرته الشريفة سيرة أهل بيته، وإنّها لمصيبة كبرى أنّ الكثيرون لا يعرفون إلا النزد اليسير عن حياة أهل البيت عليهم السلام ولا يتمكّن من خلال مثل هذه المعرفة البسيطة أن يتبيّن الطريق السليم والصحيح وأن يأخذ بنهجهم القويم وإنّه لحاجز مضلل وحجاب مظلم أن لا نعرف وأن لا نتبين من هم أهل البيت ثم ما هي صفات وسلوكيات وافتراطات أعدائهم أعداء الحق والشريعة والإنسانية.

في هذه الأسطر القليلة من سيرة الإمام الجليل الحادى عشر وأبى خاتم الأئمّة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والذي هو والد الإمام المهدي صلوات الله عليه، في هذه السيرة نعيش.

ولادته: ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٣٢ هـ في المدينة المنورة^(١) لأبيه الإمام علي الهادى عليه السلام ولأم اسمها حديث^(٢)، وبقي مع والده

(١) الإرشاد ٢: ٣١٣.

(٢) المصدر السابق.

في المدينة أحد عشر سنة ثم رحل معه إلى العراق إلى مدينة سامراء حيث سكن في منطقة العسكر؛ ولذلك غالب عليه اسم الحسن العسكري^(١)، وكانت له ألقاب شريفة أخرى منها الهادي والسراج^(٢).

كان للإمام الحسن عليه السلام أخي أكبر منه يسمى محمدًا وكان عظيم الشأن وجليل المنزلة تتجه إليه أنظار أبناء الطائفة وترممه ظنًا من الناس أنه هو الإمام من بعد والده، لكن الإمامة ليست في الأكبر أو الأصغر وإنما هي اختيار وقع من قبل باختيار من الله ورسوله إلى أبناء الرسول وبإشارات ربانية تبين من هو الإمام وما هي الخصائص الدالة عليه^(٣).

كان الإمام علي الهادي عليه السلام يشير إلى خواص أصحابه وشيعته أن صاحب العهد من بعده هو ابنه الأصغر الحسن العسكري^(٤) وبسبب وجود أخيه الأكبر محمد وكرم شمائله داخل الناس بعض الريب لكن حكمة الله فوق كل شيء إذ توفي الأخ الأكبر^(٥) بعد فترة وجيزة عندها تنفس الناس الصعداء وعرفوا أن كلام والده هو الحق عندما قال لهم أن العهد لبني الأصغر وهو إمامكم من بعدي^(٦)، ودفن ابن الأكبر محمد ما بين بغداد وسامراء وعلى مرقده هناك مزار كبير يزوره الناس متبركين ويطلبون بالبركة

(١) علل الشرائع ١: ٢٤١، باب ١٧٦.

(٢) تاج المواليد: ٥٧.

(٣) الكافي ١: ٣٢٧، حديث ١٠.

(٤) المصدر السابق: ٣٢٥، حديث ١.

(٥) المصدر السابق: ٣٢٦، حديث ٤.

(٦) انظر المصدر السابق: ٣٢٥ - ٣٢٦، حديث ٢.

حاجاتهم إلى الله وتأكد الناس من إمامية الأخ الأصغر الذي قال له أبوه كلمة مشهورة: «يابني أحدث الله شكرًا فقد أحدث فيك أمرًا»^(١).

يعني بذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يكذبه عندما أوصى بالإمامية إليه قبل أخيه الأكبر، وكتب الإمام لأصحابه ما يؤكّد لهم فيه أن ابنه هذا هو الإمام من بعده، وهو الخلف الذي ينتهي إليه عرش الإمام وأحكامها فإن أردتم شيئاً تحتاجونه فسائلوه يجيبكم، واستلم الإمام مهماته الإلهية بعد وفاة والده سنة ٢٥٤هـ وعاصر من الخلفاء العباسين المعترض بالله بن المتوكل (٢٥٢هـ - ٢٥٤هـ) ومن بعده المهتدي بن المتوكل (٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ) ثم المعتمد بالله (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ). الذي حكم ثلاثة وعشرين سنة. أما وفاة الإمام فكانت سنة ٢٦٠هـ حيث كان عمره ثمانى وعشرين سنة^(٢)، وهو في ريعان الشباب ولم تطل مدة إمامته إلا لست سنوات.

تميز هذا الإمام بحسن طلعته وجلالته وهيبته، وكان في نشاطه الرسالي كالبحر الظاهر، ولها قصة عجيبة مع الخليفة العباسى الذى أودعه السجن وأوكل به حراساً أشداء غلاظ القلوب وأوصاهم بالتضييق عليه إلا أن رئيس الحراس جاء إلى الخليفة ذات يوم وقال له: إنْ أمر هذا الرجل لعجب أننى بقدر ما أوصى الحراس في معاملته بقسوة والتضييق عليه لا أجد عندهم إلا محبّته والإيمان به ولقد أصبحوا بسببه من العباد الزاهدين فجمعهم الخليفة وسألهم: ويحكم كيف أوصيكم أن تضيقوا عليه لكنكم تصبحون له أصحاباً؟ قالوا: ماذا نعمل وماذا نقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كله ولا يتكلّم

(١) المصدر السابق: ٣٢٦، حديث ٤ و ٥.

(٢) الإرشاد: ٢: ٣١١.

ولا يتشغل بغير العبادة فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا منه مالا نملكه من أنفسنا، فتركهم الخليفة وشأنهم^(١).

ومرة أخرى أوكل الخليفة للإمام أكثر حراسه شراسة وظلماً وسوء خلق وكان اسمه نحرير وكان يمتلك سباعاً في قفص فأراد إلقاء الإمام في وسطهن، وقالت له زوجته: يا نحرير اتق الله في هذا الرجل ولا تظلمه فإنك لا تعلم مكانته عند الله. أجابها نحرير: والله لألقينه للسباع وأمر زبانيته فألقوا بالإمام وسطهن وغادروه ثم رجعوا بعد فترة فوجدوه آمناً بين السبع وهو قائم يصلي^(٢)، وهكذا قضى الإمام عَلِيُّ عَلِيُّ مدة من حياته في السجون أو تحت التهديد والإرهاب والتضييق والمراقبة الشديدة من حوله، ولقد زاد الطين بلة أي زادت نعمة الحاكمين عليه عندما شاع بين الناس أن المهدى المنتظر من سيهدي هذه الأمة هو من صلب هذا الإمام فسلكوا نفس سلوك فرعون معبني إسرائيل عندما قيل له أنه سيولد فيهم صبيًّ يكون زوال ملك فرعون على يده فأمر فرعون بقتل جميع الأولاد وأمر بالتفتيش عن النساء الحوامل ومراقبتهم ولقد قام جهاز الخلافة العباسى بنفس ما قام به فرعون وفي ذلك قال المولوى: هجمت نحو حصن الغيب كي تسد الدرب عن رجال الغيب.

إنَّه لتفكير ضعيف ضحل أن يعدل الخليفة العباسى إلى الوقوف في وجه الإرادة الإلهية لأنَّ الله سبحانه وبحمته وقدرته قام بحماية زوج الإمام العسكري والدة الإمام المنتظر وكانت ولادته سراً رغم العديد من النساء الجاسوسات اللواتي يتربدن إلى بيت الإمام حتى أن الشكوك راودتهم مرة

(١) انظر الكافي ١: ٥١٢، حديث ٢٣.

(٢) انظر المصدر السابق: ٥١٣، حديث ٢٦.

في أحدى الجواري وأنها حامل فأوقفوها سنتين كانت فيها تحت المراقبة ثم أطلقوا سراحها بعد ذلك عندما تبيّن لهم بطلان الحمل^(١).

كان القتل عن طريق دس السم من أشهر وسائل الاغتيال عند المسلمين في ذلك العهد وخشيتم وخوفهم من القادة العظام والمصلحين الكبار من أمثال الإمام فقد كانوا يعمدون إلى تصفيتهم والخلاص منهم بهذه الطريقة الغادرة وقد عمد المعتمد إلى قتل الإمام الشاب في ريعان شبابه (سنة ٢٨) بدس السم له^(٢) وتظاهر بالبراءة من دمه وبتكريره وخوفاً من ثورة شعبية ضده أمر أقطاب السلطة أن يصلوا عليه وأن يكفنوه بالشكل الذي يليق بمكانته ثم كشف وجهه للناس ليشاهدوه محاولاً بذلك أن يزيل عنه تهمة قتله بالسم وقال أعون السلطة لقد مات الحسن بن علي حتف أنفه^(٣).

رحل الإمام عَلِيُّ بْنُ ابْرَاهِيمَ ولكن بعد أن خلف وراءه سيرة وضاءة تهتدي بنورها الأجيال، ودفن في مقامه الشريف بمدينة سامراء عند قبر والده^(٤)، أما المسلمين المؤمنون فسيظلون يتوافدون على ضريحه لزيارته والتبرّك به وإحياء ذكراه على مرّ الأجيال. فسلام الله وسلام الأبرار على أهل البيت يوم ولدوا ويوم استشهدوا ويوم يبعثون أحياء.

(١) بحار الأنوار ٥٠: ٣٢٩.

(٢) انظر أعلام الورى ٢: ١٣١.

(٣) الكافي ١: ٥٠٥، حديث ١.

(٤) إعلام الورى ٢: ١٣١.

من كلامه وأقواله:

«خير إخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك إليه»^(١).

«أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته»^(٢).

«جعلت الخبائث في بيت والكذب مفاتيحها»^(٣).

«من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة»^(٤).

«قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه»^(٥).

«لا تكرم الرجل بما يشق عليه»^(٦).

صراع أبدى بين الخير وأهله والحق وأهله وما بين الشر وأهله والشيطان وذويه، فبعد ما قدّمت من سطور حول حياة الإمام عَلَيْهِ مَا أَنْتَ بِهِ أَعْلَم ما الذي استطاع أن أقول فيه وفي أهله الأئمة الأبرار وهم الذين أبعد الله تعالى عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، لن أقول إلّا أنني آمنت بكم أهل البيت وبخطكم الرسالي وبأحقيّتكم في قيادة أمّة الإسلام، ومهما دجت الظلمات فإنّ الله سبحانه مظهر نوره ولو كره الكافرون.

(١) و(٣) و(٤) و(٥) بحار الأنوار ٧٥: ٣٧٩.

(٦) تحف العقول: ٤٨٩.

الإمام المهدى المنتظر عَلَى سَلَيْلِهِ

ليس في قضية المهدى عَلَى سَلَيْلِهِ أي خلاف بين مفكّري وعلماء الإسلام، بل إنّهم اتفقوا وإن اختلفت مفاهيمهم على التسليم بظهور المهدى^(١)، وأنه من أهل بيته النبوة^(٢)، ومن ولد فاطمة^(٣)، يدلّ على هذا حديث الرسول الكريم: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدى، فينزل روح الله عيسى بن مريم فیصلّی خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»^(٤).

تؤكّد هذه الفكرة الحقيقة القرآنية التي تؤكّد على أنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾^(٥)، و قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلَفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَمْكُنْ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُدَلَّنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٦).

(١) مسنّد أحمد ٣: ٢١.

(٢) المصدر السابق ١: ٨٤.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨، حدّيث ٤٠٨٦.

(٤) كمال الدين: ٢٨٠، حدّيث ٢٧، وانظر سنن أبي داود ٢: ٣٠٩، حدّيث ٤٢٨٢.

(٥) الأنبياء (٢١): ١٠٥.

(٦) النور (٢٤): ٥٥.

هذه الحقائق تنسجم مع واقع إلهي رسمه الخالق البارئ للخليقة عندما وضعهم تحت الاختبار والابتلاء والتمحيص وأعطاهم نور العقل والمعرفة وحرّية العمل والعبادة، وهو سبحانه يعلم أنّ هذه الظروف سوف تفرز صراغاً دائماً بين الخير والشرّ وتبقى المعركة سجالاً بين خطين خط الهدى وخط الأنبياء وخط الجاهلين الطغاة، ولكي تكون حجّة الله باللغة على عباده يظهر فيها عده أنه لن يعذّب أحداً إلا بحقّ، فقد بعث لهم الرسل والأنبياء مزودين بالمناهج والمعجزات، وكان آخرهم وخاتمهم الرسول الأعظم ﷺ الذي اختتم الله سبحانه وتعالى رسالته المحمدية رسالات السماء، وهي قانون إلهي كلّه معجزات ولا يأتيه الباطل والتحريف من بين يديه ولا من خلفه فإذا ما عملت البشرية به وأدركت مراميه ومعجزاته فستنال سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

ارتحل النبيُّ الكريم إلى الرفيق الأعلى بعد أن بين كلَّ شيء، وبقي القرآن الكريم مؤكّداً على كلِّ ما قاله وعمله رسول الله وحافظاً لسننته التي لا يمكن أن تخالف القرآن ونستقرّ في سيرة حياته ﷺ كما نفهم من ثانياً القرآن الكريم أنَّ الصراع باق أبداً بين الخير وأهله والشرّ وأهله، لكنَّ الشرّ مهما انتصر فلابدّ ولا مناص من أن يتحقق وعد الله الحقّ المتمثل بظهور المهدي المنتظر علیه السلام محطمًا أوثان الجهل والجاهلية وعروش الظلم والظالمين، وليملاً هذه الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وسيكون هذا المصلح المعموت المنتظر من ولد فاطمة بنت محمد ﷺ ومن ذريتها المباركة يا جماع المفسرين لقوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

(١) القصص (٢٨): ٥

إنَّ وراثة الأرض لابدَّ وأن تكون للصالحين المجاهدين الذين استضعفوا من قبل الجبارية الطغاة، ولا بدَّ أن تكون الغلبة في النهاية لمن يدافع عن الحقّ وأهله مؤمناً بما جاء به القرآن الكريم وبما بلغ عنه رسول الهدى.

إنَّ الجهاد في صفة المستضعفين والانتصار لحقّ أهل الحقّ هو واجب على كلّ مسلم مؤمن بظهور المنقذ، منقذ البشرية من الظلم والفساد، وحتى يتحقق ذلك يجب أن يبقى المسلم المؤمن في جاهزية تامة متسلحاً بإيمانه وبفضيلته ريثما يلتحق بإمامه القادر المنتظر، مثله في ذلك مثل من يعلم أنَّ حاكماً كبيراً سوف يأتي لزيارته فهو سيكون بانتظاره بأفضل اللباس واللباقة المناسبة اللائقة بالرائي العظيم، يقول الرسول ﷺ: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عَزَّلَه»^(١).

إنَّ المسلمين لا يختلفون حول موضوع ظهور المهدي فهو أمر مسلم به ولكن الاختلاف يدور حول هل أنَّه سوف يلد ولادة في بعض العصور ويظهر كما أمره الله سبحانه، أم أنَّه ولد في زمن سابق كما تقول شيعة أهل البيت مستندين في ذلك إلى أقوال الرسول المؤكدة أنَّه ابن الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنَّ الله قد غيبه مرتين، وأنَّه عاش فترةً وغاب أخرى، وكان يدعو الناس ويعلّمهم أمور دينهم عن طريق رجال خاصين كانوا رسلاً بينه وبين الناس، فأيُّ الرأيين هو الحقيقة؟ وفيه ما يقبله العقل والشرع: هل أنَّه موجود بيننا ومغيّب، أم أنَّه سوف يولد مستقبلاً؟ فإنَّ كان سوف يولد مستقبلاً فهذه قضية لا تحتاج إلى نقاش أمّا الثانية فتحتاج إلى براهين وأدلة.

(١) كمال الدين: ٦٤٤، حديث ٣.

حقيقة الظهور: إنَّ الذي خلق الكونalamحمدود بكلِّ ما فيه من عجائب وآلاء ومعجزات، وخلق السماوات والأرض وجعل فيها ملائكة يسبحون لا يسأمون ثمَّ خلق الجنَّ ومنهم فريق الشياطين الذين نصيبيهم إغواء الناس وفتنتهم وجعل في هذا الكون ملايين القضايا الغيبية، وجعلنا نؤمن أنَّ دعوة المظلوم تخترق السماوات وتقطع مليارات الأميال في لحظة واحدة، إذ ليس بينها وبين الله حجاب ثمَّ جعلنا نؤمن بالوحي الذي ينزل على الأنبياء أسرع من الحسن والإدراك ومن الفكر والحركة فكيف نقول أنَّ هذا الأمر غير مقبول لا عقلاً ولا شرعاً؟!

إِنَّه إذا كانت القضية تتعلق بطول العمر حتَّى ألف أو ألف وخمسمائة سنة فهذا أمر لا يرفضه العلم ولا العقل ولا الشَّرْع، لأنَّ العلم في عصرنا هذا قد توصل إلى تنمية الخلايا على صعيد الإنسان والحيوان والنبات وأعطتها ما يجعلها تعيش أكثر من العادي والمألوف، ويؤكِّد العلم أنَّ حياة الإنسان وإن كانت مرتبطة ببعض الأسباب كالهرم مثلاً فإنَّ العلم يستطيع أن يمدَّ في حياة الخلايا الجسدية، وأن يجددها لتستمرُّ في البقاء مدة أطول، وذلك بالأسلوب العلمي وبالأدوية الالزمة وتنظيم الحياة في الغذاء والنوم والرياضة والعمل، أمّا أن نقول إنَّ الزمن أو الوقت محدود بالنسبة للإنسان فهذا يخالف العقل والشرع؛ لأنَّ الذي يهلك نفسه يموت قبل أوانه، ولنأخذ مثلاً على ذلك حوادث السيارات أو التأثيرات والنتائج السلبية للدخان والخمر والمخدِّرات والتتخمة، فهذه كلُّها عوامل تقصير في حياة الإنسان قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْرِيَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا بِالْأَسْبَابِ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا»^(١).

(١) بصائر الدرجات: ٢٦، حديث ٢.

النتيجة: إنَّ من لا يؤمن بحقيقة الإمام الثاني عشر المنتظر يخالف رسول الله ﷺ ويخالف القرآن الكريم؛ لأنَّ جميع كتب الصحاح تمتلئ بالروايات المتواترة والأحاديث المتضارفة على حقيقة ظهور المهدي، وإنَّ الذين ينكرون هذه الحقيقة لا يصدرون في ذلك عن عقل ولا عن سند شرائيٍ ولكتَّهم وجدوا على ذلك أبائهم الأولين فاتّبعوا عقائدهم وسنتهم وخضعوا لبيئتهم خضوعاً أعمى، أو لم يقل الرسول الكريم ﷺ: «لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتَّى يملك رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^(١).

والروايات تقول إنَّ الغيبة الكبرى للإمام المهدي الذي يجدد دين الله وسنة جده رسول الله قد انقطع فيها اتصال عن الأُمَّةَ بعد أن أعلم بذلك وأوصى بالرجوع إلى الفقهاء بقوله عليه السلام: «وأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارجِعُوهَا إِلَى رَوَاةِ حَدِيشَةِ إِنَّهُمْ حَجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حَجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»^(٢) حتَّى تتهيأ له ظروف الظهور وممارسة مهمة الإصلاح الإسلامي وإقامة دولة العدل الإلهي الكبرى على وجه الأرض بقيادة هذا الإمام الذي اختاره الله لأصعب الأدوار في الحياة، إنَّه الإمام المنتظر ابن رسول الله وأنَّ الأحاديث المتعلقة بذلك والواردة عن الرسول الكريم تؤكِّد الامتداد الطبيعي لدور آبائه الكرام وربطهم بهذه السلسلة وأنَّهم اثنا عشر خليفة^(٣) كمثل قوله عليه السلام: «إِنِّي تارَكُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمْسِكُمْ بِهِ لَنْ تَضْلُلُوا بَعْدِي، كِتَابُ اللَّهِ وَعَرْتَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيْيَ الْحَوْضَ فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»^(٤).

(١) كنز العمال ١٤: ٢٦٣، حديث ٣٨٦٥٥.

(٢) كمال الدين: ٤٨٤.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٣.

(٤) إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطى: ٨، حديث ٦ وانظر الحديث ٧ و ٨

وقوله ﷺ: «مثُل أَهْل بَيْتِي فِيكُم مثُل سُفِينة نُوحٍ مِنْ رَكْبَهَا نَجَا وَمِنْ تَخْلُفِهَا غَرَقَ وَهُوَ»^(١).

محنة الأُمّة الإسلامية في هذا الزمان هو أنها إما أن تصدق أن الأئمة هم اثنا عشر وآخرهم هو المهدي المنتظر وإما أن تكذب وجود أهل البيت الذين أقرهم القرآن الكريم وعندما يكون إنكارهم للأئمة وللمهدي وللنصل القرآني الشريف ويكون إخفاء الناس للحقيقة هو من أجل الدنيا وحياةً من الناس ومجاملةً إذ كيف يخالفون ما شاهدوا عليه آباءهم الأولين كما بینا منذ قليل.

قصة: يقول كميل بن زياد تلميذ الإمام علي عليهما السلام: أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام بيديه فأخر جني إلى ظهر الكوفة فلما أصرح تنفس ثم قال: «يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أو عاها، أحفظ عنّي ما أقول لك: الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح...»

ها إنّ هنا - وأشار بيده إلى صدره - لعلّماً جمّاً لو أصبت له حملة...

اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجّة إما ظاهر مشهور أو خائف
غمور لثلا تبطل حجّ الله وبيناته»^(٢).

إنّ مسألة المهدي المنتظر من أكبر القضايا الإسلامية من حيث الأهمية والمكانة لأنّها تشكّل منعطفاً خطيراً بين الإيمان بغيته وظهوره أو عدم الإيمان به وبعد وفاة والده العسكري ونظراً لأهمية مرحلة الاتصال بين الإمام المهدي

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢: ٣٤٣ و ٣: ١٥١.

(٢) كمال الدين: ٢٩٠ - ٢٩١.

وبيـن رسائله وسفرائه والاتصال الحسي والسرىـي المنظم بهـم والذى اتصف بالدقـة والضبط التنظيمـي فإـنه كان يتصل بأربـعة من سفـراءه ويـوصل من خـلالهم الأوـامر والتـوجهات إلى إـتباعـه الذين كانوا يـعيشـون مرـحلة السـرية والـكتـمان ويعـملـون في ظـل الـاضـطـهـاد والإـرـهـاب السـلطـوي العـبـاسـي فـإن هـذا العـلـم يـهـيـء لـنا صـورـة واـضـحة حتـى نـهـيـئ أنفسـنا لـاستـقبـالـه وإـقـامـة دـولـة المـهـدى الكـبـرىـ.

الـلـهـم اـجـعـلـنـا مـمـن تـشـمـلـهـم رـحـمـتـك وـعـنـيـتك فـي الدـنـيـا وـالـآخـرـةـ.

الـلـهـم إـنـما نـقـسـم عـلـيـك بـذـاتـك المـقـدـسـة وـبـحـقـيـقـة أـولـيـائـك الـكـرام أـن تـجـعـلـنـا مـنـ الـذـين يـلـيقـ بـهـم هـذـا الـأـمـل الـكـبـير وـأـنـت أـصـدـقـ الصـادـقـين وـأـنـت سـبـحـانـك مـنـ إـذـا أـرـادـ شـيـئـاً قـالـ لـهـ كـنـ فـيـكـونـ.

خاتمة

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخْذَتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخْذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَنِي عَنِ الذُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلنِّسَانِ خَدُولًا﴾^(١).

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، ولا نتمسّك إلّا بحبله المتين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى أبنائه المطهرين، الأئمة الأخيار الذين وجبت ولائهم ونصرتهم شرعاً، ويجب معرفة الإمام لقوله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٢).

ذلك لأن الولاية هي نظام المجتمع في قاعدته وفي قمته، ولا بد لكل مجتمع من عملية تجمع يكون على رأسها قائد ولن تجتمع فيه شروط الولاية التي عرفناها عن طريق القرآن الكريم وعن طريق سنة نبيه العظيم وأحاديثه الشريفة، أما في غير هذه الحالة الصحيحة فيصبح التجمع غير شرعي ولا محكوم بحكم الله بل بحكم شياطين الأهواء ومردة المصالح.

ومع مرور الزمن السيئ والصعب بلياليه الحالكة السوداء وظروفه الخانقة

(١) الفرقان (٢٥): ٢٧ - ٢٩.

(٢) أكمال الدين: ٤٠٩، حديث ٩ وانظر مستند أحمد ٤: ٩٦.

صار الناس يرون رؤيةً مشوهةً، فيحسبون الحقَّ باطلًا، والباطل حَقًّا، وعمَّ الخلط والتشويه في سيرة شيعة الأئمَّة الأطهار، وبمرور الزمِن أيضًا سوف تنعدم النعمة الإلهية عن هؤلاء الناس المشوهين حتى يأتي يوم يصبح فيه المسلم مقولبًا مصنوعًا في مصانع الافتراضات، وفريسة سهلة للأخطاء والضلالات، وهو - المسكين المغدور - ما يزال يظنُّ أنه هو المؤمن الحقيقي وهو التقى النقي الطاهر، بينما في واقعه بعيد كلَّ البعد عن الخطَّ الرسالي وظهوره ونقاءه، وإنَّ مثل هذا المسلم المخدوع والمغرر به مع أمثاله من مشايخه الجهلة اللاهفين وراء متاع الدنيا.

«ومنهم قوم نصاب لا يقدرون على القدر فيما، يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجّهون عند شيعتنا وينتقصون [بنا] عند نصابنا ثمَّ يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها فيستقبله المسلمون من شيعتنا على أنَّه من علومنا فضلوا وأضلُّوا وهم أضرُّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه»^(١).

جاء في مستدرك الصحيحين. وغيره من الصاحح والمسانيد: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»^(٢) صدق رسول الله ﷺ.

وجاء في صحيح الترمذى ورواية عمران بن معين، ومسند أحمد، وفي

(١) تفسير الإمام العسكري: ٣٠١.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٤٣: ٢ والمعجم الأوسط: ٣٥٥: ٥ و٦: ٨٥ والدر المنشور: ٣: ٣٣٤.

وانظر مجمع الزوائد: ٩: ١٦٨ ونظم در السمعتين: ٢٣٥ والجامع الصغير للسيوطى: ١: ٣٧٣.

الحديث: ٢٤٤٢ وكنز العمال: ١٢: ٩٤، حديث: ٣٤١٤٤.

الفضائل الخمسة والمحب الطبرى أن رسول الله ﷺ قال: (إن علياً مني، وأنا منه، وهو ولي كلّ مؤمن من بعدي) ^(١) صدق رسول الله ﷺ.

لقد استطاع شارب الخمر وخدفين الجواري، وجليس القردة وال مجرمين، يزيد بن معاوية أن يعيد كلّ ما في الجاهلية من معان بغية، وأن يمارسها ممارسةً عملية في ساحة كربلاء فأمر بقطع الرؤوس وحملها على الرماح، وأمر بسبى نساء آل بيت النبي، وأسر أطفاله، وسلب ما على جسد الحسين الطاهر من ثياب، ورضّ جسده والتتميل به، بل لقد قام ابن معاوية، وقائده المجرم المارق ابن زياد بكلّ هذا وبأكثر منه، وكلّ ذلك - يا وليلهم - زعموا أنّهم إنّما عملوه تنفيذاً لأوامر الله والقرآن، متخذين من الشريعة سلاحاً يقتلون به الشريعة، وفي ظلّ مثل هذا الإرهاب الذي لا حدود له، سقطت الكثير من الصمامير في سوق النخاسة الأموية، وقيل للكثيرين أنّ كلّ شيء قد انتهى، وأنّهم أراحوا واستراحوا من أهل البيت، وأنّ الساحة قد خلت من كلّ معارضة أو مقاومة، متتجاهلين أنّ هذه الممارسات الظالمة الرعناء والبربرية النكراء كانت تحمل في طياتها وأعماقها نواةً ثورية، نواةً حيةً يريد لها سبحانه وتعالى أن تندثر وأن تموت، وأخذت النواة تكبر وتعاظم حتّى أصبح دم سيد الشهداء الإمام الحسين علیه السلام يغلي ويغور في قلوب المؤمنين وأرواح الأحرار والصادقين وصارت كربلاء علمًا في رأسه النار التي يستهدي بها كلّ ثائر على الظلم والطغيان.

وأخيراً سوف تتصرّ بإذن ربها كربلاء الدماء والدموع والقلق والخوف

(١) مسند أحمد ٤: ٤٣٨ وسنن الترمذى ٥: ٢٩٦، حديث ٣٧٩٦ وفضائل الصحابة: ١٥.

والعطش والجوع، وسيظل سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام يخاطب المؤمنين من ذوي العقول المنيرة والقلوب السليمة، فيعلمهم كيف تكون الشهادة سبيلاً إلى الحياة، وكيف يكون الموت رسالة تدل على مالك البغي والطغيان وعروش الجرائم والآثام.

أخي المؤمن، أخي القارئ الكريم، إنك لو شاهدت شريطاً سينمائياً أو تلفازياً ورأيت وشاهدت منابر الظلم والضلال تشتم وتلعن على ابن أبي طالب، لأصابك القرف والاشمئزاز والاحتقار، ولقللت لنفسك: إن ما أراه كذب ونفاق ومحاالة ما بعدها غلواء، وإن الأغراض الدنيوية والمآرب الرخيصة تقف خلف هذا التجديف والبهتان الذي يتعارض ويتصاد مع عظمة الحق والبطولة والشجاعة والعلم والسماحة في سيرة علي وأل بيته والأئمة الأطهار ونحن نقول لمن أراد أن يكون نعامةً تدفن برأسها في الرمال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَخْبَيْتَ﴾^(١)، ونقول لمن يحب الحقيقة أينما كانت وكيفما كانت وأنى كان السبيل إليها، ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّهْلٌ﴾^(٢).

أخي المؤمن، أخي القارئ الكريم، لقد بذلت قصارى جهدي في هذا الكتاب الصغير بحجمه، والكبير العظيم في موضوعه ومحتواه، مدفوعاً إلى ذلك ليس بمحبّتي وحدها وتقديسي لرسول الله الكريم، ولا أخيه ووزيره وولييه من بعده، بطل التاريخ الإسلامي علي بن أبي طالب، ولآل بيته الأئمة الأطهار الأبرار من بعده، لكنني كنت مدفوعاً في عملي أيضاً بأمر الرسول الكريم: «من رأى منكم منكراً فليغیره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع

(١) القصص (٢٨): ٥٦.

(٢) الزمر (٣٩): ٣٧.

فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفقاً

والله سبحانه وتعالى يعلم أنني أقول الصدق، فلا أداري، ولا أماري بل أحاول أن أقوم بهذا الواجب الديني والأخلاقي والإنساني والتاريخي إنصافاً للحق والحقيقة، ودفاعاً عن الشريعة، وانتصاراً لآل البيت الميمانيين البررة الذين طهّرهم الباري وأبعد عنهم الرجس، وإنني في عملي هذا لا أهدف إلى تحقيق مصلحة، أو إلى ربحٍ وكسب دنيوي رخيص، ولا إلى إرضاء سيد أو كبير، اللهم فلتكن وحدك من وراء القصد، اللهم إهدنا سواء السبيل، سبيلك وسبيلك أحبابك ولا تجعلنا من الذين تتوعدهم بغضبك وعذابك إنك تعلم السر وما يخفى، يا من سوف تسألنا عما عهدت به إلينا لا مما قضيت به علينا يا أرحم الراحمين، والصلة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

(١) مسند أحمد: ٤٩٣ وصحيح مسلم: ١٥٠

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١. المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق: الشيخ مالك محمودي، مؤسسة سيد الشهداء عٰلِيَّة - الطعة الثانية ١٤١١هـ.
٢. الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ.
٣. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري الشهيد في بلاد الهند (ت ١٠١٩هـ)، مع تعلقات آية الله السيد شهاب الدين النجفي، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي قم - إيران.
٤. أحكام القرآن، ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان - دار الفكر للطباعة والنشر.
٥. أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٦. الإحکام، ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، مطبعة العاصمة - القاهرة، قوبلت على

نسخة أشرف على طبعها الأستاذ العلامة أحمد شاكر.

٧. إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام، جلال الدين السيوطي (ت ١٤٤٩هـ)، تحقيق الشيخ كاظم الفتلاوي والشيخ محمد سعيد الطريحي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - م٢٠٠٠.

٨. الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن النعمان العكاري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت ١٤٦٤هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري رتب فهارسه السيد محمود الزرندي المحرمي منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٩. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق ميرداماد الإسترادي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ١٤٠٤هـ.

١٠. الأدب المفرد، الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكاري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت ٣٣٦ - ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بيروت - لبنان.

١٢. الاستيعاب، ابن عبد البر أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمد أحمد بن عبد البر النمري الفقيه الحافظ الأندلسي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد الباجوبي، دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٣. الإصابة في تميز الصحابة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معرض، قدم له، الدكتور محمد عبد المنعم البري جامعة الأزهر الدكتور عبد الفتاح أبو سنة الدكتور جمعية طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٤. الأصول الأصيلة، المولى محمد محسن الفيض القاساني قائلاً، عنى بطبعه ونشره وتصححه والتعليق عليه مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ويلي الكتاب رسالة «الحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين» للمصنف رحمه الله: سازمان جاب دانشکاه، ١٣٩٠هـ.
١٥. إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المعروف بأمين الإسلام (٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ.
١٦. الأم، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٧. الأمالى، الشيخ محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصادق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، مؤسسة - قم الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
١٨. الأمالى، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة - قم الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٩. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، مكتبة الصدر - طهران ١٤١١هـ.

٢٠. الإمامة والتبصرة من الحيرة، أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢١. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: الأستاذ علي شيري، انتشارات الشري夫 الرضي ١٣٧١ش - ١٤١٣هـ الطبعة الأولى في إيران.

٢٢. إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرizi (ت ٨٤٥هـ) تحقيق محمد عبد الحميد النمسي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣هـ.

٢٤. البحر الزخار.

٢٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاشاني الحنفي الملقب بملك العلماء (ت ٥٨٧هـ)، الناشر المكتبة الحبيبية - باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهما السلام، أبو جعفر محمد ابن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت ٢٩٠ هـ)، تحقيق: ميرزا محسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران، الطبعة في سنة ١٣٦٢ ش - ١٤٠٤ هـ.
٢٨. تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ).
٢٩. تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٠. تاريخ الأمم والملوک، أبو جعفر محمد بن جریر الطبری (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات بيروت - لبنان.
٣١. تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
٣٢. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، دار صادر، بيروت - لبنان، الناشر: مؤسسة نشر فرهنك أهل البيت عليهما السلام، قم - إيران.
٣٣. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣٤. تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن

عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٥. تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم، الحافظ الشيخ أبو محمد عبد الله ابن النصر ابن الخشاب البغدادي (ت ٥٦٧هـ)، مكتبة المرعشلي النجفي - قم ١٤٠٦هـ، باهتمام: السيد محمود المرعشلي.

٣٦. تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام، الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، من أعلام القرن الرابع، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجامعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية ١٣٦٣ش - ١٤٠٤هـ.

٣٧. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، أبو العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية.

٣٨. تذكرة الخواص من الأئمة بذكر خصائص الأئمة، يوسف بن فرغلي البغدادي سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ)، تحقيق: حسين تقى زاده، المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٣٩. التعديل والتجریح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب الباقي المالكي (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق: أحمد البزار أستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش.

٤٠. تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا.

٤١. تفسير ابن زمين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمين

- (ت١٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشه، محمد بن مصطفى الكتر، الفاروق الحديثة - القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤٢. تفسير البحر المحيط، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي الجياني (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معرض، شارك في التحقيق: ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي. ٢) د. أحمد النجولى الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤٣. تفسير البغوي، البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة - بيروت.
٤٤. تفسير الثعلبي، الثعلبي (ت٢٧٤هـ)، تحقيق أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٤٥. تفسير السمرقندى، أبو الليث السمرقندى (ت٣٨٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي - بيروت، دار الفكر.
٤٦. تفسير السمعانى، السمعانى (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنىم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٧. تفسير القرآن العظيم، الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية ، دار المعرفة، بيروت - لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٨. تفسير القرآن، الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٤٩. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله من أعلام قرنٍ ٣ - ٤هـ، تحقيق: حجة الإسلام العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم - إيران الطبعة الثالثة.
٥٠. التفسير الكبير، الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة.
٥١. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي (ت ٥٣٧هـ).
٥٢. تفسير مجاهد، الإمام المحدث المقرئ المفسر اللغوي أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية - إسلام آباد (باكستان).
٥٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، أبو محمد الحسن بن علي العسكري، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي - قم الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٥٤. تهذيب الأحكام في شرح المقمعة، للشيخ المفید، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - طهران الطبعة الرابعة ١٣٦٥هـ.
٥٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزني (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة

- الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
٥٦. الثقات، الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)، طبع بمساعدة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة العالية الهندية تحت الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
٥٧. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، مقدمة وتحقيق: السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات الرضي - قم الطبعة الثانية هـ ١٣٦٨.
٥٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)، قدم له الشيخ خليل الميس، تحقيق: صدقى جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٥٩. الجامع الصحيح، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر بيروت - لبنان.
٦٠. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٦١. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري المعروف بابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت هـ ١٣٩٨.
٦٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

القرطبي، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٦٣. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، الطبعة الأولى.

٦٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٦٥. حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، باقر شريف القرشي، منشورات سعيد بن جبير، الطبعة الأولى ١٣٧٢ ش.

٦٦. خاتمة مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى رجب ١٤١٥ هـ.

٦٧. خزانة الأدب، البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، محمد نبيل طريفى وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

٦٨. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الشافعي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة.

٦٩. الخصال، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصادق (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٠٣ هـ.

٧٠. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، العلامة الحلبي أبو منصور الحسن

- ابن يوسف بن المطهر الأسدی (ت٧٣٦ھ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى عيد الغدير ١٤١٧ھ.
٧١. الدر المنشور في التفسير بالتأثر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١ھ)، وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس رضي الله عنه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
٧٢. دلائل الإمامة، المحدث الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبرى الصغير من أعلام القرن الخامس الهجرى، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة - قم الطبعة الأولى ١٤١٣ھ.
٧٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العالمة الشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت١٣٨٩ھ)، الطبعة الثانية دار الأضواء - بيروت.
٧٤. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت٧٨٦ھ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى محرم ١٤١٩ھ.
٧٥. رجال الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠ھ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المقدسة الطبعة الأولى شهر رمضان المبارك ١٤١٥ھ.
٧٦. روح المعاني المعروف بتفسير الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠ھ).
٧٧. روضة الطالبين للإمام أبي زكريا، يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت٦٧٦ھ)، ومعه المنهاج السوى في ترجمة الإمام النووي منتدى

الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع للحافظ جلال الدين السيوطي،
تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض،
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧٨. روضة الوعاظين، محمد بن الفتال النيسابوري (استشهد ٥٠٨هـ)، وضع
المقدمة: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي،
قم - إيران.

٧٩. رياض المسائل، السيد علي الطاطبائي (ت ١٢٣١هـ)، تحقيق مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى
شهر رمضان ١٤١٩هـ.

٨٠. الرياض النبرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبراني (ت ٦٩٤هـ)،
أخرجه عبد المجيد طعمة، دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى
١٤١٨هـ.

٨١. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن
علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق: محمد
ابن عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني
زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى جمادى الأولى
١٤٠٧هـ كانون الثاني ١٩٨٧م.

٨٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة
المعارف - الرياض ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٨٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني،
مكتبة المعارف - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٨٤ سنن ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٥ سنن ابن ماجة بشرح السندي، أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي (ت ١١٣٨هـ)، وبحاشية تعلیقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للإمام البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيخا، دار المعرفة - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.

٨٦ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٧ سنن الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

٨٨ سنن الدارقطنى، علي بن عمر الدارقطنى (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: مجدى ابن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨٩ سنن الدارمى، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى (ت ٢٥٥هـ)، طبع بعنایة: محمد أحمد دهمان.

٩٠ السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البهقى (ت ٤٥٨هـ)، دار الفكر.

٩١. السنن الكبرى المعروف بسنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، (ت ٣٠٣هـ)، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع - بيروت.

٩٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٩٣. السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبـي الشافعي (ت ٤٠٤هـ) - بيروت دار المعرفة ١٤٠٠هـ.

٩٤. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهـار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاـلي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسـين بقمـ.

٩٥. شرح الكافي الجامـع للمولـي محمد صالح المازنـدراني (ت ١٠٨١هـ)، مع تعـالـيقـ: المـيرـزاـ أبوـ الحـسنـ الشـعـرـانـيـ، تـحـقـيقـ: السـيـدـ عـلـيـ عـاـشـورـ، دـارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ العـرـبـيـ بـيـرـوـتـ - لـبـانـ الطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ ١٤٢١ـ هـ ٢٠٠٠ـ مـ.

٩٦. شـرحـ تـجـريـدـ الـاعـتقـادـ لـنـصـيرـ الدـيـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ الطـوـسيـ، عـلـاءـ الدـيـنـ عـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ الـقـوـشـجـيـ (ت ٨٧٩هـ)، منـشـورـاتـ الرـضـيـ، الطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ ١٣٧٨ـ هـ.

٩٧. شـرحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ، اـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ (ت ٦٥٦هـ)، تـحـقـيقـ: مـحـمـدـ أـبـوـ الـفـضـلـ إـبـرـاهـيمـ، دـارـ إـحـيـاءـ الـكـتـبـ الـعـرـبـيـةـ - بـيـرـوـتـ الطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ ١٣٧٨ـ هـ.

٩٨. شـواـهـدـ التـنـزـيلـ لـقـوـاـعـدـ التـفـضـيلـ فـيـ الـآـيـاتـ النـازـلـةـ فـيـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ الـهـاـجـيـ الـحـافـظـ عـبـيـدـ اللـهـ بـنـ أـحـمـدـ الـمـعـرـوفـ بـالـحـاـكـمـ الـحـسـكـانـيـ الـحـذـاءـ الـحـنـفـيـ الـنـيـساـبـورـيـ مـنـ أـعـلامـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ الـهـجـرـيـ، تـحـقـيقـ

وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م طهران - إيران.

٩٩. شيخ المضيرة أبو هريرة، تأليف محمود أبو رية، الطبعة الثالثة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، دار المعارف بمصر.

١٠٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م طبعة جديدة مزيدة ومنقحة.

١٠١. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن برذبة البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ - ١٩٨١م طبعة بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامة باسطنبول.

١٠٢. صحيح شرح العقيدة الطحاوية أو المنهج الصحيح في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة مع التبيح، حسن بن علي السقاف القرشي الهاشمي الحسيني، دار الإمام النووي، الأردن - عمان الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٠٣. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.

١٠٤. الصحيفة الجامعة لأدعية الإمام السجاد، «علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ» بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي

- الإصفهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الطبعة الأولى ١٤١١هـ مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر شارع الشهداء، قم - إيران.
١٠٥. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، العلامة المتكلم الشيخ زين الدين أبو محمد علي بن يونس (ت ٨٧٧هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
١٠٦. صفوۃ الصفوۃ، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي وحياة شیخا اللاذقي، دار المعرفة - بیروت الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٠٧. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر - بیروت.
١٠٨. علل الشرایع، الشیخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویه القمی رَحْمَةُ اللَّهِ (ت ٣٨١هـ)، منشورات المکتبة الحیدریة ومطبعتها في النجف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
١٠٩. عمدة القاری، العینی (ت ٨٥٥هـ) - بیروت دار إحياء التراث العربي.
١١٠. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (ج ١٧) الإمام الحسین عَلَيْهِ الْكَلَمُ، الشیخ عبد الله بن نور الله البحراني الإصفهاني (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عَلَيْهِ الْكَلَمُ - قم الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
١١١. عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ، الشیخ محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی المعروف بالصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: الشیخ حسین الأعلمنی، مؤسسة الأعلمنی - بیروت ١٤٠٤هـ.
١١٢. الغدیر في الكتاب والسنة والأدب، الحبر العلم الحجة الشیخ عبد

الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان
الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١١٣. غنية المتملي في شرح قيمة المصلي.

١١٤. فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري لشيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان الطبعة الثانية أعيد طبعه بالأوفسيت.

١١٥. فتح العزيز شرح الوجيز وهو الشيخ الكبير للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ)، دار الفكر.

١١٦. الفتوح، العلامة أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق علي الشيري، دار الأضواء بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١١٧. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١١٨. فضائل الصحابة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي (ت ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١١٩. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢٠. قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٢١. القطوف الدانية في المسائل الثمانية، السيد عبد المحسن علاوي العبد الله الحسيني السراوي، تقديم الأستاذ عبد الله عدنان المتنفكي، دار المودة الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

١٢٢. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي (ت ٧٤٨هـ)، وحاشيته لبرهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي الحلبي (ت ٨٤١هـ)، وحاشيته: للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي الحلبي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق: محمد عوامة، وخرج نصوصهما: أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة جدة مؤسسة علوم القرآن جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٢٣. الكافي، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى (ت ٢٢٨هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفارى، دار الكتب الإسلامية الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ الطبعة الخامسة ١٣٦٣ش.

١٢٤. الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

١٢٥. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني

- (ت ١٣٦٥هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
١٢٦. كتاب التفسير، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندى المعروف بالعيashi، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران سوق الشيرازي.
١٢٧. كتاب المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ١٣٧٠هـ)، عنى بنشره وتصحيحه وتعليقه عليه: السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، يطلب من دار الكتب الإسلامية .
١٢٨. كتاب تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، صُحّح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية دار إحياء التراث العربي.
١٢٩. كتاب تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٥٨٢هـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣٠. كتاب سليم بن قيس، التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦٠هـ)، تحقيق محمد باقر الأنباري الزنجاني.
١٣١. كتاب مقتل الحسين عليه السلام، لوط بن يحيى بن سعيد بن سليم الأزدي العامدي، مع التعليق النفيسي بقلم: حسن الغفارى.
١٣٢. كتاب من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفارى، منشورات جماعة المدرسین في الحوزة العلمية في قم المقدسة الطبعة الثانية.

١٣٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو

القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)،

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عباس

ومحمد محمود الحلبي وشركائه خلفاء ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.

١٣٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي

الفتح الأربلي (ت ٦٩٣ هـ)، دار الأضواء بيروت - لبنان.

١٣٥. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد الثعلبي

(ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشر، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير

السعدي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

.٢٠٠٢ م.

١٣٦. كفاية الأثر في النص على الأئمة الثاني عشر، أبو القاسم علي بن

محمد بن علي الخازن القمي الرازي من علماء القرن الرابع، تحقيق:

السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري الخوئي، انتشارات بيدار

مطبعة الخيام - قم.

١٣٧. كفاية الأصول، تأليف الأستاذ الأعظم المحقق الكبير الآخوند الشيخ

محمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٨ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام

لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

١٣٨. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي

ابن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري،

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

١٣٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة علاء الدين علي المتقي

ابن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)، تحقيق: الشيخ
بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

١٤٠. للزهراء شذى الكلمات، تأليف المكتبة الأدبية المختصة.
١٤١. اللهو في قتل الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس
الحسيني (ت ٦٦٤ هـ)، أنوار الهدى قم - إيران الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
١٤٢. المبسوط، شمس الدين السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، دار المعرفة للطباعة
والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٤٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن
الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق: لجنة من
العلماء والباحثين الأخصائيين قدم له السيد محسن الأمين العاملي،
مؤسسة العلمي للمطبوعات بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.

١٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر
الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار
الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

١٤٥. المجموع شرح المذهب للإمام أبي زكريا، محبي الدين بن شرف
النووي (ت ٦٨٦ هـ)، دار الفكر.

١٤٦. مختصر التحفة الثانية عشرية، شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوi، نقله
من الفارسية إلى العربية سنة ١٢٢٧ الشیخ الحافظ غلام محمد بن محیی
الدین بن عمر الاسلامی، اختصره وهذبه سنة ١٣٠١ هـ السيد محمود شکری
الآلوسی، اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفسیت حسين حلمی بن سعید

- الاسطنبولي، مكتبة ايشيق اسطنبول - تركية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٤٧. مختصر المزني، إسماعيل المزني (ت ٢٦٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.
١٤٨. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
١٤٩. مستند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر - بيروت.
١٥٠. مسند الإمام أبي حنيفة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: نظر محمد الفارابي، مكتبة الكوثر - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٥١. مسند الشاميين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٥٢. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٥٣. مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ابن أبي بكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، ضبطه وعلق عليه: الأستاذ سعيد اللحام، الإشراف الفني والمراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر، الطبعة الأولى جمادي الآخرة ١٤٩٠هـ - ١٩٨٩م.

١٥٤. المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المعروف بابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، ابن قتيبة، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشه - القاهرة دار المعارف.
١٥٥. معالم العلماء، محمد بن علي بن شهرآشوب أبو جعفر السروي المازندراني رشيد الدين (ت ٥٨٨هـ).
١٥٦. معاني الأخبار، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٣٦١ش.
١٥٧. المعتبر في شرح المختصر، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن المحقق الحلبي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: عدة من الأفضل، مؤسسة سيد الشهداء عاشوراء قم - إيران تحت إشراف آية الله ناصر مكارم الشيرازي ١٣٦٤ش.
١٥٨. المعجم الأوسط، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، قسم التحقيق بدار الحرمين: أبو معاذ طارق بن عوض الله ابن محمد أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ١٤١٥هـ.
١٥٩. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٩٧٩هـ - ١٣٩٩م.
١٦٠. المعجم الكبير، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.
١٦١. معرفة علوم الحديث، الحكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ

النيسابوري، اعنتى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المصنف:
الأستاذ الدكتور السيد معظم حسين، رئيس الشعبة العربية والإسلامية بجامعة
دكة بنغاله، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة،
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

١٦٢.المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وبيان أفضليته على جميع العالمين بعد الأنبياء والمرسلين،
أبو جعفر الإسکافي محمد بن عبد الله المعزالی (ت ٢٢٠ هـ)، تحقيق:
الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

١٦٣.مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، قدم له وأشرف على طبعه:
كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم - إيران منشورات
المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

١٦٤.قتل الإمام الحسين عليهما السلام، أبو المؤيد الموقّق بن أحمد المكي خطب
خوارزم (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، تصحيح ونشر:
أنوار الهدى الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

١٦٥.ملحقات الإحقاق، آية الله العظمى المرعشى النجفي رحمة الله عليه، نشر: مكتبة
آية الله المرعشى النجفي الطبعة الأولى - قم.

١٦٦.الملل والنحل، محمد بن عبد الكرييم الشهري (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق:
محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.

١٦٧.مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ)،
المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٧٦ هـ.

١٦٨.مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي، أبو بكر أحمد

- ابن موسى ابن مردویه الإصفهانی (ت ٤١٠ھ)، تحقيق: عبد الرزاق
محمد حسين حرز الدين - قم دار الحديث ١٤٢٢ھ.
١٦٩. المحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الثانية عشرية، عبد العزيز بن
ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوی (ت ١٢٣٩ھ)، اختصار وتهذيب السيد
محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢ھ)، تحقيق: الدكتور مجید الخليفة
مكتبة الإمام البخاري - القاهرة.
١٧٠. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن
عبد الرحمن المغربي المعروف بالخطاب الرعینی (ت ٩٥٤ھ)، ضبطه
وخرج آياته وأحادیثه: الشیخ زکریا عمیرات، دار الكتب العلمیة
بیروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦ھ - ١٩٩٥م.
١٧١. الموضوعات للعلامة السلفي الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي القرشي (ت ٥٩٧ھ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان،
محمد عبد المحسن صاحب المکتبة السلفية - بالمدينة المنورة الطبعة
الأولى ١٣٨٦ھ - ١٩٦٦م.
١٧٢. الموطأ، مالك بن أنس (ت ١٧٩ھ)، صححه ورقمه وخرج أحادیثه
وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بیروت -
لبنان ١٤٠٦ھ - ١٩٨٥م.
١٧٣. نظم درر السمطین في فضائل المصطفی والمترضی والبتول والسبطین،
جمال الدین محمد بن یوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفی
المدنی المتوفی (ت ٧٥٠ھ)، الطبعة الأولى ١٣٧٧ھ - ١٩٥٨م.
١٧٤. نهج البلاغة، ما اختاره الشیف الرضی من کلام أمیر المؤمنین علی

ابن أبي طالب عليه شرح: محمد عبده، دار الذخائر، قم، المchorة على طبعة دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٧٥. نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلبي (العلامة الحلبي)، علق عليه: الشيخ عين الله الحسني الأرموي قدم له: السيد رضا الصدر، منشورات دار الهجرة قم - إيران ١٤١٤هـ.

١٧٦. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتدى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، دار الجيل ١٩٧٣م.

١٧٧. الهدایة الكبرى، أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ١٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٧٨. الواقي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٧٩. وفيات الأعيان وأباء أبناء الزمان، ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس - لبنان دار الثقافة.

١٨٠. وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

١٨١. ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم الفندوزي الحنفى (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

فهرس المباحث

٥	مقدمة المركز
٧	المقدمة
١٣	شرعية الإمامة
١٤	الإمامية
٢٣	الإمامية ضرورة حضارية
٢٧	فلسفة الإمامة
٢٧	الإمام ترجمان القرآن
٣٠	الترابط العلمي بين القرآن والإمام
٣٣	الإمامية ومنطق القرآن
٣٦	من يعين الإمام
٤٢	القرآن وأهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٤٥	جملة من الأحاديث الشريفة بحقّ أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٥١	حبّ أهل البيت
٥٤	سورة الفاتحة وصراط أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٥٧	أهل البيت <small>عليهم السلام</small> عدل القرآن

٥٨	حديث الشقين ومكانته
٦٣	هجر القرآن
٦٧	كيف نطمئن إلى أعمالنا
٧٥	ابحث عن الحق تجد أهله
٧٨	الحوار يولد التقارب
٨٠	لماذا نكره كلمة شيعة؟
٨٤	نبذ الفرقة والخلاف
٩٣	نظيرية عدالة الصحابة
١٠٢	حادثة الغار مع الهجرة
١٠٩	الغلاة المنسوبون إلى أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١١١	الشفاعة
١٢١	نشوء المذاهب
١٢٥	زمن العباسين
١٢٦	قبسات عن المذاهب الأربعة
١٣٨	الاختلافات الهامشية
١٣٨	المتعة
١٤٣	كيفية الزواج المؤقت
١٤٤	تشريع الأذان
١٤٨	ما يصح عليه السجود

فهرس المواضيع

٣٥١

الجمع بين الصالاتين ١٥٤
المسح على القدمين ١٥٩
الآراء حول المسع ١٥٩
العرفان ونشأته ١٦٤
التصوّف والحقيقة ١٧٠
البدع ١٧٣
الخرافات ١٧٧
حملة الإسلام عبر التاريخ والقرآن ١٨٩
الأئمّة الأطهار <small>عليهم السلام</small> ١٨٩
الإمام علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> ٢٠٠
فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> ٢٠٨
الإمام الحسن <small>عليه السلام</small> ٢١٨
الإمام الحسن المجتبى وأسباب الصلح ٢٢١
الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> ٢٢٨
أهداف ثورة الحسين ٢٣٥
الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> ٢٣٩
مولده وحياته ٢٤٠
رسالة الإمام في دعائه ٢٤٥
سبايا آل محمد إلى الشام ٢٤٧

خطبة الإمام زين العابدين علیه السلام في مجلس يزيد.....	٢٤٨
الإمام الباقر علیه السلام.....	٢٥١
الإمام جعفر الصادق علیه السلام.....	٢٦١
أقوال العلماء في الإمام علیه السلام.....	٢٦٣
الإمام الصادق علیه السلام وأنصاره	٢٦٦
وصيته لسفيان الثوري.....	٢٧٣
الإمام موسى الكاظم علیه السلام.....	٢٧٤
الإمام علي الرضا علیه السلام.....	٢٨٠
الإمام الجواد علیه السلام.....	٢٨٧
بعض من أحاديثه	٢٩٤
الإمام الهادي علیه السلام.....	٢٩٦
الإمام الحسن العسكري علیه السلام.....	٣٠٣
من كلامه وأقواله	٣٠٨
الإمام المهدي المنتظر علیه السلام.....	٣٠٩
خاتمة.....	٣١٧
فهرست المصادر.....	٣٢٣
فهرس المواضيع.....	٣٤٩